

نُورُ الوَعْدِ الإِلَهِي

٣- فِقْهُ التَمْكِينِ بآفَاقٍ وأَبْعَادٍ جَدِيدَة

سعيد أحمد رشيد توكل
ماجستير الشريعة الإسلامية
جامعة الأزهر



الطبعة الإلكترونية الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

نُورُ الوَعْدِ الإِلَهِي

٣- فِقْهُ التَمْكِينِ بآفاقٍ وأَبْعَادٍ جَدِيدَةَ

سعيد أحمد رشيد توكل
ماجستير الشريعة الإسلامية
جامعة الأزهر

الطبعة الإلكترونية الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

| للتواصل مع المؤلف: |
| nahowalnour@gmail.com |


بسم الله الرحمن الرحيم

عن حُذَيْفَةُ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(تكونُ النُّبوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافةٌ على مِنهاجِ النُّبوَّةِ، فتكونُ ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء اللهُ أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ مُلكًا عاضًّا، فيَكونُ ما شاء اللهُ أنْ يكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ مُلكًا جَبريَّةً، فتكونُ ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافةٌ على مِنهاجِ نُبوَّةٍ)

[أخرجه أحمد (١٨٤٠٦) واللفظ له، و أبو داود (٤٣٩)، والبزار(٢٧٩٦)]


مُقَدِّمَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولى الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحِكم العجب العُجاب، وجعله أجَلَّ الكتب قدرا، واغزرها علما، وأعذبها نظاما، وأبْلغها في الخطاب، قرآنا عربيا، غير ذي عوج، لا شُبهة فيه ولا ارتياب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، رب الأرباب، الذي عنت لقيوميته الوجوه، وخضعت لعظمته الرقاب. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، المبعوث من أكرم الشعوب، وأشرف الشِّعاب، إلى خير أمة، بأفضل كتاب، صلى الله وسلم عليه، وعلى آلة وصحبه الأنجاب، صلاة وسلاما دائمين إلى يوم المآب.

وبعد

يعيش المسلمون اليوم مرحلة استثنائية غير مسبوقة في تاريخهم، يواجهون فيها تحديات وجودية، فلأول مرة في تاريخها تجد الأمة الإسلامية نفسها بشكل كامل في (جُحْر الضَبّ)، باتباعها سَنَن الأمم السابقة، بتقليدهم في: أفكارهم الباطلة، وعادتهم السيئة، وأخلاقهم الذميمة، وأفعالهم المشينة، على غير ما أمرهم به رسولهم ﷺ. فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: **(لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟).**

وتظهر البلاغة النبوية في اختيار التشبيه بجُحْر الضَب: المظلم، القذر، الذي تعيش فيه معه العقارب، والعناكب، وبعض السحالي، والذي ليس له إلا فتحة واحدة - عكس باقي جحور الحيوانات التي لها عدة فتحات للتهوية والتمويه، وللهروب من الأعداء. فكأنما ترك المسلمون النور، والنظافة، والأمن، والسعة، واليسر، إلى الظلام، والقذارة، والضيق، وقلة الأمن!

والأمر سهل يسير ليخرج المسلمون من هذا الجُحر؛ فما عليهم إلا أن يبحثوا عن النور الذي ولوه ظهورهم بدخولهم إلى هذا الجُحر. هذا النور القادم من الفتحة الوحيدة لهذا الجحر، والتي منها وحدها الخروج، فإذا هم ساروا في اتجاه هذا النور، سيزداد النور شيئا فشيئا كلما تقدموا في اتجاهه، حتى يجدوا أنفسهم وقد خرجوا إلى نور ربهم، ليحيوا في إشراقاته.

وهذا الكتاب هو الجزء الثالث من سلسة (نور الوعد الإلهي)، وهو الجزء النظري من (فقه التمكين)، والذي سيليه بإذن الله ﷻ، الجزء العملي الخاص بـ (المنهج الحركي لفقه التمكين). وقد سبقنا في موضوع البحث في موضوع فقه التمكين، جمع من العلماء والأساتذة الأجلاء، كالدكتور على الصلابي، في كتاب: **(تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم)**، والباحث أ. عمر لطفي الجزار، في رسالته للماجستير: **(فقه التمكين و أثره في تطبيق الأحكام الشرعية)**، والشيخ رمضان خميس زكي الغريب في بحثه: **(التمكين في ضوء القرآن الكريم)** وغيرهم. وقد أشرت إلى مؤلفاتهم جميعا، في كل ما نقلته عنهم في هذا البحث، جزاهم الله ﷻ عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرا.

وقد سميت هذا الكتاب: **(نور الوعد الإلهي، ٣- فقه التمكين بآفاق و أبعاد جديدة)**؛ حيث قمت بترجيح بعض مفاهيم وعناصر فقه التمكين، يحسن - من وجهة نظري - تدقيق النظر والبحث فيها، والتأكيد عليها، قبل المضي قدما في السبيل العملي لاستنهاض الأمة، وإعادة بعثها من جديد، لأثرها المباشر المؤثر في هذا السبيل العملي، وفيما يلي ما رجحته:

أ- آية الوعد الإلهي - الآية رقم (٥٥) من سورة النور، هي عمدة قضية التمكين، ودرة تاجها، والمَعْلم الرئيسي الذي تُنسج حوله خيوطها. بالإضافة إلى الآيات (٥٧،٥٦) من نفس السورة.

ب- تعريف فقه التمكين، بما يتناسب مع البُشرى النبوية، بخلافة على منهاج النبوة.

ء- الإيمان والعمل الصالح، في قوله ﷻ : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ سبب الوعد الإلهي، فعلى هذا السبب يتوقف الوعد الإلهي، وجودا أو عدما؛ فإذا وُجد الإيمان والعمل الصالح، بالحد الأدنى المقبول، في الغالبية المؤثرة — كما وكيفا - في الأمة، كانت الأمة موعودة بالوعد الإلهي، والعكس. حيث ينعدم الوعد الإلهي بانعدام وعدم وجود هذا السبب — وهو أيضا اختيار العلامة ابن عاشور.

هـ- الاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين في قلوب الناس وواقع حياتهم، والأمن الشامل، في قوله ﷻ: ﴿ **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارتضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناًۚ** ﴾، هي مقاصد لهذا الوعد الإلهي، يجب مراعاتها، بالفهم النظري، والتطبيق العملي، أثناء السير في طريق التمكين للأمة الإسلامية.

و- العبادة بلا شرك، في قوله ﷻ : ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ شرط تحقيق الوعد الإلهي – وهذا أيضا اختيار جمع غفير من العلماء - حيث يدور تحقيق الوعد الإلهي مع تحقق هذا الشرط وجودا وعدما، لكن بلا تأثير في تحقيق الوعد الإلهي.

فإذا وُجد السبب، ووُجد الوعد الإلهي، نتجه إلى تحقيق شرط الوعد: فإذا لم يتحقق الشرط، لم يتحقق الوعد، وإن تحقق الشرط لا يعني ذلك تحقيق الوعد الإلهي تلقائيا؛ وذلك لضرورة انتفاء المانع من تحقيق الوعد الإلهي، بعد مشيئة الخالق ﷻ، العالِم بكل شيء، الذي له وحده الخلق والأمر.

ولم أُدخِل الإيمان والعمل الصالح ضمن الشروط، ورجحت اعتبارها فقط سبب – مع إمكان اعتبارها سبب وشرط – لما لذلك من أثر هام في فهم قضية التمكين، وما يترتب على ذلك من تطبيقات عملية.

ز- قوله ﷻ: ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ومَأْواهُمُ النّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾، إشارة إلى الموانع التي قد تمنع تحقيق الوعد الإلهي، مع وجود السبب، وتَحقُّق الشرط. وهي هنا في هذه الآية الكريمة: الهزيمة النفسية التي قد تلحق بالمسلمين - لرؤية قوة الأعداء – فتثبطهم وتوهن عزائمهم.

وإذ تواجه المسلمين اليوم تحديات ضخمة، وتغيرات متسارعة، فإن ذلك يدعونا إلى مزيد من البحث في موضوع فقه التمكين، بما يعود بالفائدة على التطبيق العملي لهذا الفقه. وفي هذا الإطار يندرج هذا البحث، لمزيد من التحرير لقضايا فقه التمكين، والترتيب لمسائله، والتقريب بينها، وبين أوضاع المسلمين، لتكون أكثر فاعلية.

وقد عمدنا إلى الشرح بما لا يخل ولا يمل، قدر المستطاع، وأحلنا إلى المصادر والمراجع المعتبرة، لمن أراد أن يتوسع في البحث والفهم لقضية معينة من قضايا فقه التمكين، والهدف أن يكون تفاعل القارئ تفاعلا أكثر إيجابية، بحيث تصبح قضايا فقه التمكين حاضرة في الذهن، موجّهة للمسلم في تفكيره الحركي، ومُؤَسِّسَة لما بعد النظرية من التطبيق.

والله من وراء القصد، وهو المستعان، وعليه التكلان، ومنه القبول.

المؤلف

١٢ محرم ١٤٤٦ هـ

١٨ يوليو ٢٠٢٤م



الباب الأول - فقه التمكين

الفصل الأول: الفقه

الفصل الأول: الفقه

أولا – تعريف الفقه

١ – الفقه في اللغة

الفِقْه: هو الفهم[١]، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ** ﴾[٢]. والفِقه: الفطنة[٣]. والفقه: العِلم. وفَقِه الشيء: أذا عَلِمه. ويتفقه في العلم: يتعلم[٤]. قال ﷻ: ﴿ **لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ** ﴾[٥]، أي: ليكونوا عُلماء به. وكان ابن عباس – رضي الله عنهما - من أعلم الناس في زمانه بكتاب الله ﷻ[٦]؛ بسبب دعاء النبي ﷺ له: (**اللَّهُمَّ فَقِّهْه في الدِّينَ وعَلِّمْه التأْويل**)[٧]، أي فَهِّمْه تأويله ومعناه. وفَقَّهَهُ، وأَفْقَهَهُ: عَلَّمَهُ، وبَيَّن له. وفَقِه عنه: فَهِم. ويُقال للرجل: فَقِيه، وللأنثى: فَقِهَةٌ[٨].

ويقال للعِلْم: (فقه)؛ لأنه عن الفهم يكون، ويقال للعالم: (فَقِيه)؛ لأنه إنما يعلم بفهمه، على مذهب العرب في تسمية الشيء بما كان له سببا[٩]. ويُفسر الفقه بالفهم؛ لأن الفقه يتعلق بالمعاني لا بالذوات، فتقول: فَقِهت الكلام، أي فهمته، ولا تقول: فَقِهت الرجل، بل عَرفته[١٠]. وكل من عَلِم علما، فهو فَقيه في ذلك العِلم[١١].

---

[١] - الرازي: محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦ هـ)، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، ص: ٢٤٢.

[٢] - سورة هود، الآية رقم: ٩١

[٣] - ابن سيده: علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، ت: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١٢٨/٤، الصاحب بن عباد: إسماعيل (ت ٣٨٥ هـ)، المحيط في اللغة، ت: محمد حسن آل ياسين، ط: عالم الكتب – بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، ٣٤٧/٣.

[٤] - الفيومي: أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط: المكتبة العلمية – بيروت،٤٧٩/٢.

[٥] - سورة التوبة، الآية رقم: ١٢٢

[٦] - ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، حواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، ط: دار صادر – بيروت ١٤١٤ هـ، ٥٢٢/١٣.

[٧] - ابن حنبل: أحمد (ت ٢٤١ هـ) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، حديث رقم: ٢٣٩٧.

[٨] - المحكم والمحيط الأعظم، ، ١٢٨/٤، الصاحب بن عباد: إسماعيل (ت ٣٨٥ هـ)، المحيط في اللغة، ت: محمد حسن آل ياسين، ط: عالم الكتب – بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، ٣٤٧/٣.

[٩] - الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٢ هـ)، الفقيه والمتفقه، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ط: دار ابن الجوزي – السعودية، ١٤٢١ هـ، ١٨٩/١.

[١٠] - الأشقر: عمر سليمان، تاريخ الفقه الإسلامي، ط: مكتبة الفلاح – الكويت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، ص: ١٠.

[١١] - المصدر السابق، ص: ١١.

والمراد بالعلم أحد معان ثلاثة:

١- معرفة مسائل العلم (موضوع الدراسة).

٢- فهم هذه المسائل العلمية.

٣- المَلَكَة التي تحصل لدارس هذه المسائل، ولمن مارسها وطبقها[١].

أما الفهم فقد أُختلِف في معناه على أقوال ثلاثة:

أ- مُطلق الفهم، سواء ما ظهر أو ما خفي. (هذا هو المعنى الراجح).

ب- فهم غرض المتكلم من كلامه.

ج- فهم الشيء الدقيق[٢].

٢- الفقه في الاصطلاح

مفهوم الفقه في الاصطلاح يختص بدراسة النص الشرعي، لاستخلاص الأحكام الشرعية العملية، كأحكام الصلاة، والزكاة، والبيع، والإجارة[٣]. وقد اختلف المفهوم ما بين الصدر الأول، والمتأخرين:

أ- الفقه في اصطلاح الصدر الأول

بعد مجيء الإسلام غَلب اسم الفقه على (عِلْم الدين)، لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم[٤]. فإذا أطلق علماء الصدر الأول اسم: (الفقه) فإنه ينصرف في عرفهم إلى عِلْم الدين، دون غيره من العلوم. وهذا العلم كان يتمثل في كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ[٥]، تأويلا لحديث: (**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**)[٦]. حيث يدل

---

[١] الزحيلي: وهبة، أصول الفقه الإسلامي، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر – دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ١٥/١.

[٢] - زهير: محمد أبو النور، أصول الفقه، ط: المكتبة الأزهرية للتراث،

[٣] - فيلالي: مريم، فقه التمكين ودلالاته للنهوض الحضاري، بحث منشور في مجلة الإحياء الصادرة عن كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة ١ – الجزائر، مجلد: ٢٠، العدد: ٢٥، جوان ٢٠٢٠، ص: ٥٦٩.

[٤] - لسان العرب، ٥٢٢/١٣.

[٥] - تاريخ الفقه الإسلامي، ص: ١١.

[٦] - أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥ هـ)، مسند أبو داود، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، حديث رقم: ٣٦٦٠.

هذا الحديث على أن الفقيه هو صاحب البصيرة في دينه، الذي خلص إلى معاني النصوص، واستطاع أن يخلص إلى الأحكام والعبر والفوائد التي تحويها النصوص[١].

فقد كان الفقه عند أهل الصدر الأول فقها شاملا للدين كله، غير مختص بجانب منه دون الآخر، فقد كان الفقه عندهم يُعنَى بالأصول قبل الفروع. والفقه كان يشمل في ذلك العهد: علم العقيدة، وأحكام العبادات وأحكام المعاملات، والأخلاق[٢].

ب- الفقه في اصطلاح المتأخرين

عندما ظهرت التخصصات العلمية، واختص كل علم باسم خاص، اختص الفقه بالأحكام الشرعية العملية[٣]. فالفقه في اصطلاح المتأخرين يعني: (علم القانون الإسلامي)[٤]، وعرفه الكاساني بأنه: (علم الحلال والحرام، وعلم الشرائع والأحكام)[٥]. والتعريف المختار للفقه، هو تعريف الإمام الشافعي، وهو الأشهر والأضبط عند علماء أصول الفقه: (**الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّة الْمُكْتَسب مِنْ أَدِلَّتها التَّفْصِيلِيَّة**)[٦].

والفقيه هو من عنده مَلَكة الاستنباط، وقادر على أن يستنبط الأحكام من أدلتها التفصيلية (كالآيات والأحاديث[٧]) وبهذا يخرج أيضا من الفقه بالمعنى الاصطلاحي:

١- كل ما عُلِم من الدين بالضرورة، كوجوب الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج على المستطيع، وكحرمة الرّبا، والزّنى، والخمر؛ لإنه غير حاصل بالاستنباط، بل بالضرورة، بدليل حصوله للعوام، والنساء، والصبيان المُمَيّزين، وكل من نشأ في دار الإسلام.

---

[١] - تاريخ الفقه الإسلامي، ص: ١٢.

[٢] - تاريخ الفقه الإسلامي، ص: ١٥

[٣] - عدلان: عطية، فقه التمكين، المعنى والملامح وواقع الأمة، حلقة تليفزيونية على قناة التناصح الفضائية، تقديم: د/ فوزي الغرياني، يوم ٢٣ أغسطس ٢٠٢١. https://www.youtube.com/watch?v=M٦U٢CKefo٩I

[٤] - المصدر السابق، ص: ١٥

[٥] - الكاساني: أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧ هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط: مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر، ١٣٢٧ - ١٣٢٨هـ، ٢/١.

[٦] - أصول الفقه الإسلامي – الزحيلي، ص: ١٩.

[٧] - السبكي: على بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هـ)، وولده عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ)، الإبهاج في شرح المنهاج، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، ٣٧:٢٨/١.

٢- معرفة العلماء للأحكام الشرعية الفرعية العملية، بطريق تقليد أحد علماء المذاهب، وليس استنباطا، كمعرفة علماء مذهب معين الأحكام الشرعية في المذهب، المنقولة عن إمام المذهب[١].

الراجح

مفهوم الفقه الذي يتركب منه مصطلح (فقه التمكين) : هو الفقه بالمعنى اللغوي: أي العلم بالشيء، وفهمه، وحسن إدراكه، ومصطلح الصدر الأول.

---

[١] - الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ، ١٣/١،١٤.

الفصل الثاني: التمكين

الفصل الثاني: التمكين

أولا – تعريف التمكين

١– التمكين في اللغة

التمكين في اللغة: إعطاء ما يصح به الفعل كائنا ما كان من الآلات والعدد والقوى[١]، والتمكين: إزالة الموانع. ومكن الله ﷻ للعبد: أي أعطاه آلة يقدر معها على الفعل[٢]. وقال ابن عرفة: التمكين أعم من الإعطاء لغةً، لأنه بمعنى الإذن[٣]. و التمكين عند أهل الله ﷻ: مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة[٤]. وقولهم: مَكَّن له: أي جعل له سلطانا وقدره[٥]، ومنه قوله ﷻ: ﴿ **مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾[٦].

فالتمكين لغةً يدور حول معاني: الاستقرار، والثبات، والرسوخ، وكذلك يدل على القدرة على التصرف، والسيطرة، والتحكم.

أما (التمكين) على صيغة المصدر فيحمل فضلا عن تلك المعاني، معنى: التوكيد؛ فهو مصدر الفعل المضعَّف (مَكَّن). وبذلك يجوز القول أن التمكين يمتد بظله نحو معنى الاستقرار المؤكد الراسخ، ويحمل في طياته معنى التوكيد[٧].

٢–- التمكين في الاصطلاح

مفردة (التمكين) لها نصيب وافر في مجال الاصطلاح، فلها ظلال في علم البديع، وعلم المعاني، وعلوم القرآن، وفي مصطلح أهل التصوف، وفي القانون، والإدارة، والصحة، وغير ذلك. وفي العصر الحديث فإن

---

[١] - العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥ هـ)، الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ص: ١١١.

[٢] - الحميري: نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت: د. حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، ط: دار الفكر المعاصر -بيروت، ودار الفكر – دمشق، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، ٦٣٦١/٩.

[٣] - الرصاع: محمد بن قاسم (ت ٨٩٤ هـ)، شرح حدود ابن عرفة، ط: المكتبة العلمية، ١٣٥٠ هـ، ص: ٣٧٩.

[٤] - المناوي: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي ١٠٣١ هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط: عالم الكتب – القاهرة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، ص: ١٠٩.

[٥] - جبل: محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ط: مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠م، ٢١٠٤/٤.

[٦] - سورة الأنعام، الآية رقم: ٦

[٧] - الخطيب: حذيفة تقي الدين، التمكين، أسسه وأساليبه – دراسة بلاغية تطبيقية، ط: دار الكتب الوطنية – هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي)، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص: ١٣.

مفهوم (التمكين) هو الترجمة العربية الشائعة لمفهوم (empowerment)، أحد المفاهيم المستحدثة التي تم تداولها وتوظيفها بكثرة في عدد من المجالات والحقول المعرفية، وقد وقع اختيار الأمم المتحدة على هذا المفهوم ليشكل حجر الزاوية في منظومتها التنموية، منذ نهايات القرن الفائت، والتي استهدفت دمج النساء والفئات المهمشة في عملية التنمية، وهو ما أدى إلى انتشار المفهوم عالميا على صعيد واسع[١].

وبالنسبة للأفراد والمجتمعات، فإن مفهوم التمكين ينطوي على زيادة القوة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.[٢] وعموما فإن التمكين في المدلول الاصطلاحي يتلازم مع المراد اللغوي، أي القدرة على السيطرة، والثبات والاستقرار، والتحكم، والهيمنة، وتَبَوُّء المكانة المرموقة، والرسوخ[٣].

٣ – مصطلح التمكين في القرآن الكريم

وردت صيغة الفعل المضّعف (مَكَّن) باشتقاقاته المتنوعة في عدة مواضع في القرآن الكريم[٤]، وكلها تدور حول القدرة على التصرف. وبوجه عام، فإن التمكين في الاستعمال اللغوي، والاستعمال القرآني: هو (تثبيت مؤكد، ثم سلطان، وقدرة على التصرف)[٥]، وقد غلبت على مفردة (التمكين) في القرآن الكريم، الصيغة الفعلية التي يبدو فيها التمكين كأنه صيرورة وليس مفهوما ساكنا[٦].

٤- تعريف التمكين لأمة الإسلام في العصر الحديث

حديثنا عن التمكين يُقصد به التمكين لأمة الإسلام في العصر الحديث، وفيما يلي بعض تعريفات التمكين:

أ- **د. عمر بعد الكافي:** " هو أن تعود الأمة إلى ما كانت عليه أيام سلفنا الصالح "[٧].

---

[١] - حافظ: فاطمة، التمكين بين الرؤية القرآنية والرؤية الحداثية، مقال على موقع: إسلام أون لاين. https://islamonline.net/التمكين-بين-الرؤية-القرآنية-والرؤية-ا/

[٢] - موقع: لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا – WSCWA، مصطلح: تمكين. https://www.unescwa.org/ar/sd-glossary/%D٨٪٩AA%D٨٪٩D٪٨٥٪٩D٪٨٣٪٩A%D٨٪٩A%D٨٦٪٩

[٣] - - بلعربي: كريمة، سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم، نظرات في الغايات والأهداف، مقال منشور على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية. https://tafsir.net/article/٥٤٧١/snt-al-abtla-a-waltmkyn-fy-al-qr-aan-al-krym-nzrat-fy-al-ghayat-wal-ahdaf

[٤] - بحسب ترتيبها في المصحف: (الأنعام ٦)، (الأعراف ١٠)، (يوسف ٥٤،٥٦)، (الكهف ٥٤،٨٤)، (النور ٥٥)، (القصص ٦،٥٧)، (الأحقاف ٢٦).

[٥] - التمكين، أسسه وأساليبه، ص: ١٤.

[٦] - التمكين بين الرؤية القرآنية والرؤية الحداثية، (مقال).

[٧] - عبد الكافي: عمر، حلقة تليفزيونية من برنامج الدين القيم، راديو وتليفزيون الشارقة. https://www.youtube.com/watch?v=_yyt٧VjwRiw

ب- أ. فتحي يكن: " بلوغ حال من النصر، وامتلاك قدر من القوة، وحيازة شيء من السلطة والسلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع، وهو لون من ألوان الترسيخ في الأرض، وعلو الشأن "[١].

ج- د. علي عبد الحليم: " التمكين: هو مرحلة استخلاف الله ﷻ للصالحين من عباده في الأرض، يحكمون فيها بشرعه، ويطبقون منهجه ونظامه، وهو استخلاف مشروط، وتمكين له أهلية وشروط "[٢] . أو" هو السلطان للدين الإسلامي، على كل دين ونظام، والمُلْك: أي الحكم للمسلمين بهذا الدين على البشرية كلها "[٣].

ء - أ. عمر لطفي الجزار: " هو سلطة ذات قدرة تؤهلها من حراسة الدين وسياسة الدولة، أو بعضا من ذلك "[٤].

هـ- أ. طلال مشعل: التمكين في الأرض: " استخلاف الله ﷻ لعباده الصالحين، واستلامهم الملك والقيادة لجميع الناس "[٥].

و- أ. محاسن إدريس الهادي: " السعي الجاد من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة في دنيا الناس "[٦].

ز- أ. كريمة بلعربي: تدل كلمة (التمكين في الأرض) على: " هيمنة منهاج الله ﷻ على ما عداه من المناهج في الأرض، والقدرة التامة لعباد الله ﷻ على التصرف في أرض الله ﷻ حسب منهاجه حسا ومعنى، بأن تصطبغ الحياة بصبغة الإسلام كما أراد الله ﷻ "[٧].

ح- الشبكة الإسلامية: " كمال ورسوخ أحكام الإسلام، وسلامتها من التغيير، واستعلاؤه في الأرض، ونصرة أتباعه على عدوهم "[٨].

---

[١] - يكن: فتحي، فقه سنة التمكين، مقال منشور بمجلة المجتمع، العدد ١٢٤٩، ٦ محرم ١٤١٨ هـ - ١٣ مايو ١٩٩٧م، ص: ٤٤.

[٢] - عبد الحليم: علي، فقه الدعوة إلى الله، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ١٤١٠،١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ٢/ ٧١٠.

[٣] - فقه الدعوة إلى الله، ٢/ ٧١٤.

[٤] - الجزار: عمر لطفي، فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الفقه المقارن، كلية الشريعة والقانون، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية. ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م، ص: ١٣.

[٥] - مشعل: طلال، ما هي شروط تمكين الله لعباده في الأرض، مقال منشور على موقع "موضوع" ، يوم ١٩ سبتمبر ٢٠٢٢. https://mawdoo٣.com/ما_هي_شروط_تمكين_الله_لعباده_في_الأرض

[٦] - الهادي: محاسن إدريس: فقه التمكين بين الإيمان على مستوى الفرد والدولة، بحث منشور على موقع الألوكة، يوم ١٤٣٥/٩/٢٥ هـ - ٢٠١٤/٧/٢٣. https://www.alukah.net/social/ ٧٣٨٧٤/٨٠١١/

[٧] - سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم، نظرات في الغايات والأهداف، (مقال).

[٨] - موقع: الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، فتاوى الشبكة الإسلامية، التمكين للإسلام، فتوى رقم: ١٠٠٩١، ١١/ ٢٠٧٤٨.

ط- تعريفنا للتمكين

التمكين هو: إقامة خلافة على منهاج النبوة، والمحافظة على بقائها، وتنميتها المستدامة، بحيث يهيمن فيها دين الإسلام الكامل الشامل، على قلوب المسلمين وواقع حياتهم- الأفراد والمجتمعات والحكام - وتسترد بها الأمة الإسلامية: حريتها، ووحدتها، وخيريتها، ووسطيتها، وتقيم حضارتها على أساس العقيدة، لتكون شاهدة على الأمم في الدنيا والآخرة، تحقيقا لمراد الله ﷻ من خلقه.

شرح التعريف:

خلافة على منهاج النبوة: تحقيقا لبشرى النبي ﷺ.

المحافظة علي بقائها: أي من عوامل الضعف، أو الانهيار، أو التفكك، بعد إقامتها، حتى يستمر التمكين.

تنميتها المستدامة: أي التنمية المستمرة التي لا تتوقف، في شئونها الدينية، والدنيوية، لأن التنمية المستدامة هي سبيل الشهود الحضاري[١].

الإسلام الكامل: أي الذي يجمع بين الإيمان والعمل الصالح، فيجمع بين العقيدة الإسلامية الصحيحة، والتكاليف العينية (الفردية)، والتكاليف الكِفائِية[٢] (المجتمعية)، والمعاملات (الشرائع)، والأخلاق، بلا تفرقة بين أي منها.

الإسلام الشامل: الذي يشمل مجالات الحياة كلها، وكيان الإنسان كله : فكره، وقلبه، وجوارحه، ومشاعره، في كل الأماكن والأوقات والأحوال، ومع الكون، والمخلوقات.

واقع حياتهم: أي سيطرة الدين على حركة الحياة، فلا يصدر أمر من أمور الحياة، إلا في ضوئه وعلى هَدْيه، وتوظيفه وقيامه بدوره في حركة الحياة، تنظيما وصيانة[٣].

الحُكام: كل من في موقع حُكم: كالرؤساء، والقادة، والقضاة، وولاة الأمور[٤].

---

[١] - المرهبي: يحيى أحمد، دور الفروض الكفائية في تحقيق التنمية المستدامة - رؤية إسلامية، الجمهورية اليمنية، العاصمة صنعاء - محافظة عمران. ١٤٤٢هـ , ٢٠٢٠ م، ص: ٧٧.

[٢] - لمزيد من التفصيل حول الفروض الكفائية، انظر كتابنا: نور الوعد الإلهي، ١- لزوم الفروض الكفائية، ودور الأفراد والمجتمع المدني.

[٣] - الشعراوي: محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر، ط: مطابع أخبار اليوم ، ١٠٣٢٤/١٧.

[٤] - لحساسنة: حسن، الحاكمية في الفكر الإسلامي، إصدارات مجلة الأمة – كتاب الأمة، العدد رقم ١١٨، ربيع الأول ١٤٢٨ هـ - آذار، مارس ٢٠٠٧م، ص: ٣٧.

وحدتها: أي وحدة الأمة الإسلامية، بمختلف أنواعها: السياسية، والاقتصادية، والمالية، والعسكرية، .. والقائمة على أساس العقيدة الإسلامية.

خيريتها: خيرية الأمة التي حصَّلتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالإيمان بالله ﷻ، وكونها خير الأمم وأنفعها للناس.

وسطيتها: لهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلَّها، ومن الأعمال أفضلها. وقد وهبها الله ﷻ من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواها، ليكون المسلمون شهداء على الناس، ويقيموا الحجة عليهم.

الشهادة على الأمم في الدنيا: وذلك بالشهود الحضاري، أي التحضر القائم على العلم بحقائق الوجود غيبا وشهادة، والظاهر في منجزات عملية حاضرة في حياة الناس مؤثرة فيها، والمبين للعالمين، والمبلغ إليهم حقائقه ومنجزاته على سبيل تعميم الخير للناس كافة، والمحقق للأمة عزتها ومناعتها[١].

الشهادة على الأمم في الآخرة: بأنهم قد بُلِّغوا الدين. ﴿ **لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾[٢].

مراد الله ﷻ من خلقه: حيث جعل ﷻ آدم عليه السلام وذريته خلفاء في الأرض، لعبادته العبادة الشاملة.

٥- ألفاظ ذات صلة بالتمكين

من الألفاظ التي لها صلة بالتمكين:

١- **النصر:** وهو العون على المنازع والخصم والمناوئ، بالظفر عليه أو دفع ضرره[٣]. كقوله ﷻ: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ** ﴾[٤]. والتمكين أعظم من النصر، لأن حدوث التمكين قد يتطلب سلسلة من الانتصارات[٥].

---

[١] - لمزيد من التفصيل: انظر كتابنا: نور الوعد الإلهي، ٢- مقدمات فقه التمكين / الشهود الحضاري.

[٢] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٤٣

[٣] - الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت، ص: ٨٠٨. الفروق اللغوية، ص: ١٨٩، أبو البقاء الكفوي: أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤ هـ)، يع، ت: عدنان درويش – محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ص: ٩٠٩.

[٤] - سورة النصر، الآية رقم: ١

[٥] - موقع: سورة، التفسير الموضوعي/السنن الإلهية/التمكين. https://web.surahapp.com/ar/objective-interpretation/%D٣٢-٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٦٪D٩٪٨٦-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٥٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٧٪D٨٪A٨%A٩/٣٢٠-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AA٩٪٨٥٪D٩٪٨٣٪D٨٪A٨%A٩٪٨٦.

٢- **الغَلَبَة:** وهي القهر، ولا تكون إلا على المقدور الكبير، ولا تكون إلا بفضل قدرة الغالب، وبفضل علمه[١]. والتمكين يكون معه دوام الغلبة واستقرارها؛ لإن الغلبة قد تكون مؤقتة، كما غَلبت الفرس الروم، ثم غلبتها الروم[٢]، قال ﷻ: ﴿ **وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾[٣].

٣- **الاستخلاف:** يقول الله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ** ﴾[٤] تُظهِر الآيات وجود علاقة ارتباطية وثيقة بين مفهومي: (التمكين) و (الاستخلاف)؛ وفي الآية يبدو تمكين الدين (المستوى الروحي) نتيجة مترتبة على عملية الاستخلاف في الأرض (التمكين الحسي المادي)، ثم يفضي الاستخلاف والتمكين للدين إلى تحقيق الأمن للإنسان. فتتحقق تكاملية عملية التمكين في بعديها المادي والروحي[٥].

ثانيا – التمكين لأمة الإسلام مشيئة ووعد إلهي وبُشرى نبوية

أ- التمكين لأمة الإسلام مشيئة ووعد إلهي

ينسب الله ﷻ في القرآن الكريم التمكين إلى ذاته العلية؛ فهو وحده من يُمَكِّن للإنسان، وليس الإنسان من يُمَكِّن لذاته فردا أو جماعة. وقد أكد الله ﷻ مشيئته بتمكين المؤمنين الذين يعملون الصالحات، من أمة محمد ﷺ بوعد يساوي في قوته القسم، قال ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[٦]، وهذا دليل قاطع على أن التمكين يتبع المشيئة الإلهية، وليس لإرادة بشرية مهما بلغت من القوة، فالله ﷻ يعز من يشاء بعزه، ويذل من يشاء متى شاء بما يشاء، فهو القوي القدير، صاحب العزة والجبروت[٧].

---

[١] - الفروق اللغوية، ص: ١٠٥.
[٢] - التفسير الموضوعي /السنن الإلهية/التمكين. (موقع: سورة).
[٣] - سورة الروم، الآية رقم: ٣
[٤] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥
[٥] - التمكين بين الرؤية القرآنية والرؤية الحداثية، (مقال).
[٦] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥
[٧] - موقع: سورة، التفسير الموضوعي/السنن الإلهية/التمكين.

ب- التمكين لأمة الإسلام بُشرى النبي ﷺ

عن حذيفة، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **تكونُ النُّبوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافةٌ على مِنهاجِ النُّبوَّةِ، فتكونُ ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء اللهُ أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ مُلكًا عاضًّا، فيَكونُ ما شاء اللهُ أنْ يكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ مُلكًا جَبريَّةً، فتكونُ ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافةٌ على مِنهاجِ نُبوَّةٍ** "، ثُمَّ سَكَتَ. رواه أحمد (١٨٤٠٦)، واللفظ له. وأبو داود (٤٣٨). وذكره ابن حبان في الثقات. واخرجه البزار (٢٧٩٦) في البحر الزخار، باختلاف يسير.

وبُشرى رسول الله ﷺ بخلافة على منهاج النبوة، وعد ضمني[١]، يتوافق مع الوعد الإلهي في سورة النور: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)** ﴾.

حيث يشير هذا الحديث إلى أن حال الأمة الإسلامية سينحدر بشكل تدريجي، حتى يصل إلى أدني مستوى، ثم تبدأ الأمة الإسلامية مرة أخرى بالنهوض، من خلال اتباع هداية القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

تاريخيا: استمرت دولة الخلافة الراشدة لمدة ثلاثين سنة بعد وفاة النبي ﷺ، ثم تبعتها الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية، وفي النهاية، تأسست الدولة العثمانية وسيطرت لفترة طويلة قبل سقوطها. وتزامن ذلك مع تأسيس دول أخرى كالسلجوقية، والخوارزمية، والأندلس، والدول الإسلامية في الهند، وغيرها. وعلى الرغم من أن إعلان سقوط الدولة العثمانية التام كان في بداية القرن العشرين، إلا أن بداية سقوطها كان قبل ذلك بفترة طويلة، لأسباب كثيرة.

---

[١] - البُشرى من ألفاظ الوعد الضمني. السعيدي: عيسى بن عبد الله، الوعد الأخروي شروطه وموانعه، ط: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ٢٣/١.

ويُعتبر نَصْب الخليفة (الإمام الأعظم، أو أمير المؤمنين)، فرض كفائي[1]، وترجع أهمية نصب الخليفة إلى الدور الذي يقوم به والذي يُختصر في قولهم: (**حفظ الدين، وسياسة الدنيا به**)، فهو يحمي الدين، وينفذ الأحكام الشرعية، ويقيم الحدود الشرعية، ويحصن الثغور، ويجاهد الكفار، ويجبي الفيء والصدقات، ويوزعها كما أمر الشرع، وغير ذلك مما يقوم به رئيس الدولة الإسلامية[2] .

والاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن، كل ذلك يشير إلى وجود سلطة حاكمة إسلامية. وقبل ذلك: مجتمعات إسلامية، ملتزمة بالإسلام الكامل الشامل، فيخرج منها مثل هذا الخليفة، وتكون عونا له، لا حربا عليه.

ج- التمكين وتحرير المسجد الأقصى وتحرير الأمة

لا يتم التمكين في زماننا إلا بتحرير الشعوب الإسلامية، من أي هيمنة، غير هيمنة الإسلام: كالهيمنة الصهيونية، والصليبية، أو عملائهما، وإلا بتحرير فلسطين، وتحرير المسجد الأقصى، وأي تمكين مظنون لا يسبقه هذا التحرير فهو إما وهم وإما تمكين غير كامل.

---

[1] - الماوردي: علي بن محمد بن محمد بن حبيب، أبو الحسن (ت ٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانية، ط: دار الحديث – القاهرة، ص: ١٧.

[2] – المصدر السابق، ص: ٤٠.

الفصل الثالث: سُنة التمكين

الفصل الثالث: سُنة التمكين

تعريف السُنَّة في اللغة

السُنَّة في اللغة: السيرة والطريقة، سواء كانت حسنة أو سيئة، وسواء كانت مقبولة أم لا. وعلى ذلك سارت كتب اللغة[1]. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا** ﴾[2].

وقال ابن تيمية – رحمه الله – : " السُنَّة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول" ؛ ولهذا أمر ﷻ بالاعتبار فقال ﷻ: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾، والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله، فيعلم أن حُكْمه مثل حُكْمه[3].

والخلاصة: أن السُنَّة هي: (القانون الضابط المهيمن، والفعل النافذ الحاكم، الذي يجري باطراد وثبات وعموم وشمول، وعدم تبدل أو تحول، مُرتبًا على سلوك البشر)[4].

تعريف السنن الإلهية وأنواعها

١- تعريف السنن الإلهية

عرف الإمام النورسي السنن الإلهية، بأنها: " القوانين الإلهية الجارية في العالم، التي تبين تنظيم الأفعال الإلهية ونظامها، وتنظم شئون الكون، وهي تجلٍ كلي للأمر الإلهي والإرادة الإلهية"[5].

وتمثل السنن الإلهية نبراس الهدى، والمقياس الذي تقاس به الأمور، وهي فلسفة الكون والحياة والإنسان، وتجسد النقطة الناظمة بين مختلف الفئات الاجتماعية، والتفكير الإنساني، وتعد مفتاحا لمعاني الحياة

---

[1] - لسان العرب، ١٣/ ٢٢٦ ، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: ١٩٨ ، المحكم والمحيط الأعظم، ٤١٧/٨.

[2] - سورة الفتح، الآية رقم: ٢٣

[3] - ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، ١٣/ ١٩،٢٠.

[4] - الغريب: رمضان خميس زكي، سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، بحث منشور على موقع المنتدى العالمي للوسطية، يوم ١٧ فبراير ٢٠١٨، ص: ١٠. https://www.wasatyea.net/ar/content/سنة-التمكين-في-ضوء-القرآن-الكريم

[5] - سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم، نظرات في الغايات والأهداف، (مقال).

والوجود، وحركة التاريخ، وينبني عليها صلاح المجتمعات البشرية ونهوضها، فيتحصل بمدى الاهتداء بأنوار السنن، والاقتداء بأحكامها، والعمل بمقتضاها[١].

٢- أنواع السنن الإلهية

السنن الإلهية، تنقسم إلى:

أ- السنن الجارية الكونية

وهي التي تخضع للإجبار الإلهي[٢]، وهي النواميس الحاكمة في الطبيعة وفي العالم المادي وفي نظام الكون وتركيبه وحركته ومجرياته، وتُسمى (الآيات الكونية)، و(آيات الآفاق)، و(سنن الطبيعة). وتُسمى بلسان العصر: علوم الفلك والفضاء والأرض والبحار والأحياء، وهذه السنن تخضع لها جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية، ويخضع لها كيان الإنسان المادي، وما يطرأ عليه مثل: نموه وحركة أعضائه، ومرضه وهرمه، ولوازم بقائه حيا، ونحو ذلك، وهي حتمية الوقوع[٣]. قال الله ﷻ: ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[٤].

ب- السنن الجارية الاجتماعية

السنن الاجتماعية أو الإنسانية، هي: " المنظومة السُننية التي تحكم صيرورة العمران البشري، وتؤطر حركة الحياة، وسير المجتمعات، وتحقق الاستخلاف الإنساني ".[٥]

وقال عنها د. عماد الدين خليل: إنها المبادئ الأساسية في حركة التاريخ البشري، والتي دعانا القرآن الكريم إلى تأملها واعتماد مدلولاتها في أفعالنا الراهنة، ونزوعنا المستقبلي، حيث جاءت لكي تعلم المؤمنين من

---

[١] - المصدر السابق.

[٢] - رفعت: جيهان محمد، السنن الإلهية الفاعلة وأثرها في التطور الاقتصادي في القرآن الكريم، مع المقارنة بفلسفات معاصرة في التطور، ٢٠٢١، ص: ٤٧ .

[٣] - رشيد: كهوس، في تعريف السنن الإلهية، مدونة على موقع الجزيرة، يوم ٢٠١٨/٧/١٧م. https://www.aljazeera.net/blogs/١٧/٧/٢٠١٨/في-تعريف-السنن-الإلهية

[٤] - سورة يس، الآية رقم: ٤٠

[٥] - سحتان: أنيسة بنعيم، مقاصد السنن الاجتماعية في بعدها الاجتماعي والحضاري /١، بحث منشور على موقع مركز الشهود الحضاري، للدراسات الشرعية والمستقبلية، ٣٠ مارس ٢٠٢٢. https://shuhoud.com/مقاصد-السنن-الاجتماعية-في-بعدها-الاجت/

خلال التجارب الماضية، ولكي تحركهم عبر الأضواء الحمراء والخضراء، التي أشعلتها لهم هذه التجارب في طريق الحياة المزدحم الطويل[١].

وهذه السنن تخضع للاختيار البشري، والإرادة الإنسانية، سواء بالتأثير فيها بقصد وقوعها أو منعها أحيانا، والنتائج المترتبة على الإقدام أو الإحجام، تشبه أن تكون محتومة تترتب على كل من الفعل والترك. ويدخل في هذا النوع من السنن: السنن التاريخية، كقوله ﷻ: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[٢] والسنن النفسية، كقوله ﷻ: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾[٣] وقوله ﷻ: ﴿ **إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**﴾.[٤] والسنن الأخلاقية، كقوله ﷻ : ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ** ﴾[٥] وهذه السنن نتائجها متوقعة الحدوث عادة، إذا توافرت شروط حدوثها[٦].

ومجمل القول أن السنن الاجتماعية هي: النواميس المتحكمة في الإنسان (باعتباره فردا وجماعة وأمة) وفي فكره وسلوكه وحركته في المجتمع، وفاعليته في التاريخ. أو هي مجموعة من القواعد والضوابط والمبادئ والأحكام التي رسمها الله ﷻ من أجل إصلاح حال الأفراد والجماعات والأمم، في شؤونهم الدنيوية والأخروية، والارتقاء بالنفس البشرية إلى المراتب العلوية[٧]. وقد أمر الله ﷻ عباده بالنظر إليها والاعتبار بها، فهي تبصر المؤمن بما يجري حوله، وتجعله يستطيع تفسير الأحداث السابقة، واللاحقة[٨].

اهتمام القرآن الكريم بالسنن الاجتماعية

اهتم القرآن الكريم بالحديث عن السنن الاجتماعية في مواطن عديدة، وقلّما نجد سورة من السور لم يرد فيها ذكر لبعض السنن الاجتماعية، إما بدلالة المنطوق أو بدلالة المفهوم، كما أبرز القرآن هذه السنن بصورة تدعو المسلم المتدبر لكتاب الله ﷻ، والمتأمل لمعانيه، إلى البحث عن أسرارها، وإدراكها بوجه يؤدّي إلى حسن الاستفادة منها، في أداء طاعة الله ﷻ، وفي تحمل مسؤولياته للقيام بعمارة الأرض بموجب نظرية

---

[١] - خليل: عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط: دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ص: ٩٧.
[٢] - سورة الرعد، الآية رقم: ١١
[٣] - سورة الإسراء، الآية رقم: ١٦
[٤] - سورة اقرأ، الآيات أرقام: ٦،٧
[٥] - سورة المائدة، الآية رقم: ١٠٠
[٦] - السنن الإلهية الفاعلة وأثرها في التطور الاقتصادي في القرآن الكريم، مع المقارنة بفلسفات معاصرة في التطور، ص: ٤٩.
[٧] - في تعريف السنن الإلهية، (مدونة).
[٨] - فقه سنة التمكين – فتحي يكن، (مقال) ص: ٤٤.

الاستخلاف، خاصة في سياق الصراع والتدافع الحاصل بين أجناس البشر، وما كان هذا التأكيد على هذه السنن وفوائدها إلا لكونها حوت مقاصد جليلة، تعود أهمية إدراكها على حياة الفرد والمجتمع، ويتحقق بها الاستخلاف المنشود. [١]

سُنة التمكين

(سنة التمكين) من السن الاجتماعية. ونعني بسنة التمكين: " قانون الله ﷻ المطرد في خلقه، ونظامه الحاكم المهيمن في أفعالهم، الذي إذا اتبعه عباده أقدرهم على التصرف في أرضه والهيمنة عليها، وجعل لهم مكانة مكينة في كيفية التعامل مع مفرداتها، وإحسان توظيفها "[٢]. فهي إحدى السنن المنظِمة للكون، الراجعة إلى الإرادة الإلهية الكونية، وإلى الكلمات الإلهية التكوينية التي يكون بها خلق[٣]، قال ﷻ: ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[٤]. وهي قانون كوني، ومشيئة إلهية، وقانون مطرد، وحقائق ثابتة تستدعي امتثال الخلق لها، وهي وعد الله ﷻ المُحَقق لا محالة[٥].

وكون سنة التمكين من السنن الإلهية المطردة، يجعلها كغيرها من السنن الثابتة: كالموازين والمعايير والقواعد، التي من خلالها يمكن تفسير الكثير من المخفيات، والحكم على الكثير من الدروس والعبر. وبسُنة التمكين يسهل استكشاف عوامل الهزيمة، ومقومات النصر، وعناصر الثبات، وإلا اختلطت الرؤى، وغابت الصورة، واهتزت المعالم، وحلت الأهواء، وأُعجب كل ذي رأي برأيه[٦].

وقد أَوْلَى القرآن الكريم عناية بارزة بسُنة التمكين، وأعطى لمحات مضيئة على مكانة هذه السُنة ودورها في نهوض الأمة الإسلامية، وساق جملة من القصص القرآن، للاقتداء بها وبهدايتها، والتنويه بغاياتها الشريفة، والأخذ بأسرارها، وقد استحضرت سورة الكهف دور سُنة التمكين، والاستعانة بها في القضاء على بطش يأجوج ومأجوج[٧]، قال ﷻ على لسان ذي القرنين: ﴿ **قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا** ﴾[٨].

---

[١] - مقاصد السنن الاجتماعية في بعدها الاجتماعي والحضاري / ١ (بحث)

[٢] - سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، (بحث)، ص: ١٢.

[٣] - الشنقيطي: محمد الحسن ولد الددو، سنن التمكين، المؤتمر الإغاثي الدولي لصالح الشعب السوري، بتركيا، سنة ٢٠١٤. https://dedewnet.com/index.php/component/elmedia/?view=media&id=٢٠٣٨

[٤] - سورة النحل، الآية رقم: ٤٠

[٥] - سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم نظرات في الغايات والأهداف، (مقال).

[٦] - فقه سنة التمكين – فتحي يكن، (مقال) ص: ٤٤.

[٧] - سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم نظرات في الغايات والأهداف، (مقال).

[٨] - سورة الكهف، الآية رقم: ٩٥.

أهمية مراعاة سنة التمكين

للوصول إلى غاياتها، يجب على الأمة الإسلامية مراعاة سُنة التمكين، للأسباب الآتية:

١- التمكين لهذه الأمة لا يكون إلا بسعيها

التمكين لهذه الأمة لا يكون إلا بأسباب من سعي هذه الأمة، ولا يكون بالخوارق. حتى معجزات هذه الأمة ليست خوارق حسية مادية، ولكنها خوارق معنوية، فكتاب الله ﷻ هو المعجزة العظمى الكبرى. وإذا كان أَخْذ الله ﷻ للكافرين فيما سبق، كان بكوارث طبيعية كونية، كالغرق لفرعون، والريح الصرر لعاد، والحاصب لقوم لوط، فإن أعداء هذه الأمة يأخذهم الله ﷻ ويكسر شوكتهم بأيدي المؤمنين. لذلك ختم سبحانه سورة القمر بقوله ﷻ: ﴿ **أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ** (٤٣) **أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ** (٤٤) **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** (٤٥) ﴾. يقول المفسرون: نعم قد أخذهم الله ﷻ في غزوة بدر الكبرى بأيدي المؤمنين[١].

٢- العلاقة بين سنة التمكين والاستخلاف في الأرض

التمكين يعني إجمالا فتح أبواب الخير والرزق أمام العباد ومدهم بالعلم والملك والسلطان، من أجل القيام بمسؤوليات الاستخلاف التي من أجلها خلق الله ﷻ الإنسان[٢]. كما إن أدق مصطلح قرآني يعبر عن فكرة النهضة، وشروطها أو الشهود الحضاري للأمة، هو مصطلح (التمكين)[٣].

وتتبلور مقاصد سُنة التمكين في علو المكانة، والنصر على الأعداء، وتحقيق العمران الذي يسهم في بناء النهوض الحضاري، والاستخلاف البشري في الأرض. هذا الاستخلاف الذي تترتب عليه مقاصد عظيمة من توحيد الله ﷻ، وعبادته كما أراد، لنيل مرضاته، حيث تتأسس عمارة البشر على روح الخلافة وجوهرها[٤].

---

[١] ، فقه التمكين، المعنى والملامح وواقع الأمة، (حلقة تليفزيونية).

[٢] - بن سكا: عمر، نظرات وقضايا في فقه التمكين، قراءة في أسباب وشروط نهضة الأمة من خلال القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة الشباب، الصادرة عن معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي – الجزائر، مجلد: ٤، عدد: ٤ (ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ - ديسمبر ٢٠١٨م)، ص: ٦٧.

[٣] - المصدر السابق، ص: ٦٤.

[٤] - سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم نظرات في الغايات والأهداف، (مقال).

فالتمكين لدين الله ﷻ في الأرض، يتحقق بواسطة إنشاء مجتمع الاستخلاف، هذا المجتمع الذي ينضبط وفق معادلة الإيمان والعمل الصالح[1]، وبهذا يتساند الوعد الإلهي بالخلافة، قال ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)** ﴾[2].

٣- أثر عدم مراعاة الأمة لسُنة التمكين

سُنة التمكين عامة تشمل الكافر والمؤمن، وهذا ما يجعل بلاد الكفر تتفوق على بلاد الإسلام، بتمسكها بالسنن في العلم والبحث وتصنيع السلاح ونحوها، فيُمَكِّنهم الله ﷻ بالرغم من كفرهم لالتزامهم بسنن التمكين، وهذا هو العدل الإلهي الذي حدده الله ﷻ لمن يتمسك بسننه[3].

إلا أن المسلمين يزيدون عن غيرهم بضرورة الالتزام بشرع الله ﷻ حتى يُمَكِّن الله ﷻ لهم في الأرض كما وعدهم؛ وذلك لأن الإسلام – لا غيره – هو الذي غير حال العرب – ومن بعدهم غيرهم – إلى الحضارة والتقدم والرقي، ولن يعيد إلى المسلمين مجدهم وعزهم إلا الالتزام بشرع الله ﷻ، مع التمسك بمقومات سنة التمكين.

وما يمر بالأمة الإسلامية من أمراض ومحن، وتنحية عن التمكين في الأرض، إنما هو نتيجة عدم مراعاة سنن الله ﷻ في كونه، فالأمة الإسلامية لما غيرت التزامها بشرع الله ﷻ، غير الله ﷻ حالها. فهذا الواقع في الحقيقة هو نتيجة طبيعية لضعف الالتزام بالمنهج الرباني، وعدم الأخذ بالمقومات التي جعلها الله ﷻ شرطا لحصول التمكين، وسببا لاستمراره[4].

---

[1] - أحمد: مريم داوود، شمس الدين: صفية، الأطرش: رضوان جمال، التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة الرسالة، الصادرة عن كلية المعارف الإسلامية، والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد: ٧، رقم: ٢، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م، ص: ١٧٣.

[2] - سورة النور، الآيات رقم: ٥٥:٥٧.

[3] - السنن الإلهية الفاعلة وأثرها في التطور الاقتصادي في القرآن الكريم، مع المقارنة بفلسفات معاصرة في التطور، ص: ٤٢.

[4] - كريم جان: سناء بنت فضل الدين، مقومات التمكين في الكتاب والسنة وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية – جامعة أم القرى، ١٤٢٨ – ١٤٢٩هـ، ص: ٩،١٠.

الحركات الإسلامية وسنة التمكين

مر على الحركات الإسلامية المعاصرة – بمجموعها – ما يقرب من قرن من الزمن، فلماذا لم تتمكن من تحقيق أهدافها، وبلوغ مرادها، وإقامة أنموذج الدولة الإسلامية في واقع حياة الناس؟

وللجواب الصحيح عن هذا التساؤل، لابد من الاحتكام إلى (سنة التمكين) ذاتها لاستكشاف العوامل والأسباب التي تَحُول دون تحقق النصر النهائي، بالرغم من توافر الكثير من عوامله وأسبابه وإرهاصاته.

فالبعض يظن أن التمكين حتمي حتى ولو لم يأخذوا بأسبابه، ويقيموا شروطه، لذلك تجد من الظواهر الغريبة في ساحة العمل الإسلامي أن تتقدم حركات إلى مواقع القرار والحكم، دون أن تأخذ بأي من الأسباب المادية والمعنوية، فلا هي بلغت المستوى الإيماني المطلوب، ولا هي استحوذت على مقومات القوة والتمكين، ثم هي بعد ذلك تستأخر النصر، ملقية باللائمة على الظروف المُعيقة، والقوى المضادة، ودون أدنى فقه لسنة التمكين. إنه لابد من تقييم صادق للنهج، وتفحص دقيق للتربية، ومكاشفة صريحة للنفوس، وغربلة حقيقية للصفوف[١]: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنينَ** ﴾[٢].

وبالإضافة إلى عدم الاحتكام إلى السنن الإلهية المؤدية إلى تحقيق الأهداف، نجد أن من الأسباب التي قد تعيق الحركات الإسلامية المعاصرة عن الوصول إلى مرحلة التمكين، ما يلي:

أ– عدم الدارسة الحقيقية لعوامل عدم النجاح في الوصول إلى الأهداف.

ب– تبرير الإخفاقات بالابتلاء الذي لا بد منه لكل دعوة، وأنه لا بد من الاستمرار في الدعوة إلى الله ﷻ والصبر على الأذى وترقب النصر!

ج– ربط تحقيق الإصلاح بظهور المهدي، وانتظار خلافة على منهاج النبوة، دون عمل حقيقي موصل إليها.

ء– الفهم الخاطئ لبعض أحاديث عن الفتن، وشرور الزمان المستقبلي، مما يحول دون العمل من أجل تغيير الواقع، خشية من المستقبل[٣]–[٤].

---

[١] - فقه التمكين – فتحي يكن (مقال)، ص: ٤٥.

[٢] - سورة الروم، الآية رقم: ٤٧

[٣] - المطيري: حاكم، السنن الاجتماعية الإلهية في تغيير المجتمعات الإنسانية، مقال على موقعه الرسمي، http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TkRrM٠psTjFZbEJoWjJVbU١RPT٠rdQ==.jsp

[٤] - انظر كتابنا : نور الوعد الإلهي، ٢- مقدمات فقه التمكين. ص:٢٤٨.

لكن رغم ذلك فإن الحركات الإسلامية قدمت في القرن الماضي الكثير جدا للإسلام، فقد أعادت للناس فهم الإسلام من جديد، وحاربت الكثير من الأفكار التقليدية والأفكار الدخيلة، ونشرت العقيدة الصحيحة في كل مكان، ورفعت همة الخَلق، وأعادت نشر العبادة والسلوك الإسلامي بين الناس، وربت قاعدة عريضة من الشباب الذين يحملون هم هذا الدين[1].

هل وصول بعض الحركات الإسلامية إلى الحكم تمكين؟

يرى بعض الباحثين أن وصول بعض الحركات الإسلامية إلى الحكم، سواء منفردة أو بالمشاركة يعتبر تمكين. لكن الذي نراه أن هذا الوصول، وهذه المشاركة، لها حالات:

الحالة الأولى: اعتبار الحكم المنفرد أو بالمشاركة تمكين

إذا انفردت حركة إسلامية بأي مستوى من مستويات السلطة، أو شاركت غيرها في الحكم، فإنها إن استطاعت أن تربي المجتمع تربية الصحيحة، واستطاعت الوصول إلى مرحلة الحكم بالتشريع الإسلامي، وتثبيت دعائم الدين في كافة المستويات الاجتماعية، والإدارية، والسلطوية، بشكل لا يمكن اجتثاثه مرة أخرى، واستطاعت تكوين حاضنة شعبية واسعة، تحمل هم هذا الدين، وتدافع عنه، واستطاعت إحياء مفهوم الأمة الواحدة في مجتمعها وغيره من المجتمعات، فإنه سواء استمرت الحركة الإسلامية في الحكم، أو استبدل أفرادها بغيرهم، بشكل طبيعي، فإن ذلك يعتبر من التمكين.

الحالة الثانية: عدم اعتبار الحكم المنفرد أو بالمشاركة تمكين

إذا لم تتمكن الحركات الإسلامية الحاكمة المنفردة بالحكم، أو المشاركة فيه مع غيرها، من القيام بما سبق، فإن ذلك لا يعتبر تمكين. لأن هذا الحكم أو هذه المشاركة حتما ستنتهي بشكل أو بآخر سواء بالطريق الديمقراطي، أو بافتعال أزمة، أو بانقلاب عسكري، أو انقلاب ناعم بأي شكل من الأشكال.

وقد رأينا ما حدث في الأردن، وفي اليمن، وفي المغرب، وفي مصر، وفي الجزائر، وفي تونس، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي التي تمت فيها المشاركات، أو الانفراد بالحكم. ولا زال الوضع في تركيا غير مستقر، ويواجه صعوبات عديدة داخلية وخارجية. وفي حين العمل على إخراج هذا الكتاب كانت الانتخابات

[1] ـ فقه التمكين، المعنى والملامح وواقع الأمة، (حلقة تليفزيونية).

المحلية التركية قد انتهت منذ عدة أشهر، وأسفرت عن خسارة حزب العدالة والتنمية الحاكم خسائر ضخمة، وفقدانه العديد من البلديات التي كانت تعتبر معقلا له، وأصبح في وضع صعب، خاصة مع اقتراب الانتخابات الرئاسية والبرلمانية بعد سنوات قليلة، قد لا تسمح بتدارك ما حدث.

الفصل الرابع: فقه التمكين

الفصل الرابع – فقه التمكين

تعريف فقه التمكين

تعددت تعاريف فقه التمكين:

١- **د. على محمد الصــلابي:** دراسة أنواع التمكين وشروطه وأسبابه ومراحله وأهدافه ومعوقاته ومقوماته، من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة في دنيا الناس[١].

٢- **أ. محمد السيد محمد يوسف:** دراسة الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عن الأمة الإسلامية، والمقومات التي ترجع الأمة إلى التمكين، والعوائق التي تعترض العمل للتمكين، ودراسة طبيعة الطريق إلى التمكين، وكذلك المبشرات على هذا الطريق، وذلك كله في ضوء القرآن الكريم مع الاستعانة بأحاديث النبي العظيم ﷺ[٢].

(ذُكِرَت التعاريف السابقة على أساس أنها تعاريف للتمكين، لكن الأصوب من وجهة نظرنا أنها تعاريف لفقه التمكين)

٣- **د. عطية عدلان:** الفهم والعلم، الذي يُعنَى ويهتم بكيفية بلوغ التمكين لهذه الأمة، وكيفية الوصول إليه من حيث أسبابه وشروطه ومقوماته، وما هي التبعات المترتبة على التمكين[٣].

٤- **أ. مريم فيلالي** : علم يدرس أسباب زوال القيادة الحضارية الدينية للأمة الإسلامية، ودراسة أسباب السقوط، وعوامل النهوض من أجل إعادة الأمة لدورها الريادي. فهو الاستيعاب والاستنباط والإدراك لغايات وأسباب وشروط التمكين[٤].

٥- **الباحث. عمر لطفي الجزار:** الأحكام الشرعية التي تختص بإقامة الدولة الإسلامية وتثبيت أركانها[٥].

٦- **تعريفنا لفقه التمكين:** فقه التمكين: **(** هو الفهم والعلم اللازم لإقامة خلافة على منهاج النبوة، والمحافظة على بقائها، وتنميتها المستدامة، بحيث يهيمن فيها دين الإسلام الكامل الشامل، على قلوب المسلمين وواقع

---

[١] - الصلابي: علي محمد، تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ط: مكتبة الصحابة – الإمارات، مكتبة التابعين – القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص: ١٧.

[٢] - تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، ص: ١٨، نقلا عن كتاب التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، ص: ١٣.

[٣] - فقه التمكين، المعنى والملامح وواقع الأمة. (حلقة تليفزيونية).

[٤] - فقه التمكين ودلالاته للنهوض الحضاري، ص: ٥٧٢،٥٦٩.

[٥] - فقه التمكين وأثره في تطبيق الأحكام الشرعية ، ص: ٦.

حياتهم– الأفراد والمجتمعات والحكام – وتسترد بها الأمة الإسلامية: حريتها، ووحدتها، وخيريتها، ووسطيتها، وتقيم حضارتها على أساس العقيدة، لتكون شاهدة على الأمم في الدنيا والآخرة، تحقيقا لمراد الله ﷻ من خلقه).

شرح التعريف:

أ- **الفهم:** ذُكر الفهم أولا في التعريف، لأن الفهم الصحيح أساس العمل صحيح. ونعني بالفهم هنا: فهم كل ما يلزم للمضي في طريق التمكين، والمحافظة عليه بعد تحققه؛ وينقسم إلى نوعين:

- **فهم عام:**

ويُقصد به فهم ما يجب على الجميع فهمه، وما لا يسع أحد جهله بالنسبة لموضوع تمكين الأمة الإسلامية، مثل ما يلي:

- فهم الإسلام منهجا ونظاما[١]. بما لا غنى عنه لكل مسلم.
- المواضيع التي تم ويتم بحثها في هذه السلسلة المعنونة : (نور الوعد الإلهي).
- المعرفة المتعمقة الشاملة للتيارات المعادية للإسلام والعاملين في حقله[٢].
- فهم أسباب ضياع التمكين من الأمة، لتلافيها عند الحركة للتمكين.
- فهم القوى المتواجدة على أرض الواقع في المجتمعات الإسلامية، واتجاهاتها، وكيفية الاستفادة منها، أو تحييدها.
- التصور الدقيق الصحيح لقضايا الوطن الذي يعيش فيه، ولقضايا العالم الإسلامي، مع ترتيبها من حيث الأهمية والأولوية[٣].
- فهم السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد.

- **فهم خاص:**

ويُقصد به الفهم الشخصي الذي يختلف من شخص لآخر في المجتمع المسلم، مثل ما يلي:

- فهم كل فرد لظروفه الشخصية، والاجتماعية، وما ينقصه من الأمور الإيمانية، والعبادية، والأخلاقية، والمعاملاتية الشرعية، ليستكمل أسباب وشروط التمكين في نفسه.

---

(١) ـ فقه الدعوة إلى الله، ٧٣١/٢.
(٢) ـ المصدر السابق، ٧٣٣/٢.
(٣) ـ المصدر السابق، ٧٣١/٢.

- فهم كل فرد في تخصصه؛ دوره، وما يلزمه القيام به، للوصول للتمكين، وما بعد التمكين، والتطبيقات المهمة المرتبطة بهذا الشأن.

ب- العلم: أي مجموعة العلوم الدينية والدنيوية التي لابد للأفراد، وللعاملين في طريق التمكين من استيعابها والعمل من خلال تطبيقها للوصول إلى التمكين والمحافظة عليه. وتنقسم إلى:

أولا – فروض عينية، واجبة على كل شخص مثل:

- – تعلُّم ما تصح به عقيدته، وما يدفع به عن نفسه الشبهات.
- – تعلُّم ما تصح به عبادته، وما يكون به إخلاص النية فيها.
- – تعلُّم ما تصح به معاملاته مع غيره. وما يُصلِح به أخلاقياته، وسلوكياته.
- – تعلُّم فقه مهنته أو حرفته، وما يجعله يمتنع عن الحرام فيها، وكيفية زكاة ماله.
- – كل من اشتغل بشيء يُفرض عليه تعلُّم أحكامه الشرعية.
- – كل من هو مقبل على أمر جديد يجب عليه تعلُّم أحكامه الشرعية، كالمقبل على الزواج، أو وظيفة جديدة، أو كالمسافر للعيش في البلاد غير الإسلامية.
- – تعلُّم ما يُصلح به نفسه، فلو رأى في نفسه مثلا عُجْب أو كِبْر، وجب عليه تعلم ما يصلحه.
- – تعلم العلوم التي أصل تَعَلُمها فرض كِفائي، لكن تحولت في حقه إلى فرض عيني، لسبب من الأسباب.

ثانيا – فروض كفائية، دينية ودنيوية، يجب على المجتمع تحصيلها، مثل:

- العلوم الشرعية بمختلف فروعها، وتخصصاتها.
- الأصول العلمية للحرف والصناعات وما به قوام المعاش في الأمة: كالطب، والهندسة، والحدادة، والنجارة، وغير ذلك من المهن والحرف مما لا بد منه.
- العلوم التي تحقق الضروريات والحاجيات والتحسينات.
- العلوم اللازمة لإقامة خلافة على منهاج النبوة، بمختلف التخصصات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، .....

ج- باقي التعريف سبق شرحه.

فقه التمكين فقه حركي

قد يتعلم الإنسان بعض العلوم، أو يفهم بعض الأمور، ولكن تظل هذه العلوم، وهذا الأفهام، حبيسة الجانب النظري، دون أي تطبيق عملي، فتنشأ بذلك فجوة بين النظرية والتطبيق، إما لعدم وجود رواد على مستوى من الكفاءة، والقدرة، والتجديد، باستطاعتهم تحمل مسؤولية التطبيق، أو لأن من يتبنى الفكرة النظرية مجموعة من المنتفعين، وأصحاب المصالح، الذين لا يتعاملون مع الفكرة النظرية إلا كونها وسيلة لتحقيق مطامعهم، يستثيرون المشاعر بشعارات براقة، ليدفعوا غيرهم للتضحية من أجل الفكرة، ويبقوا هم بمنأى عن الملاحم، ولا يظهرون إلا عندما يهدأ المشهد، ليلبسوا أنفسهم لباس المناضلين أصحاب القضية[١]. أو غير ذلك من الأسباب.

وفقه التمكين فقه حركي، تطبيقي عملي، وليس مجرد أفهام وعلوم نظرية، ليس لها من الواقع نصيب. لذلك فإن الناتج الحقيقي لهذا الفقه هو الجانب العملي التطبيقي التفعيلي للجانب النظري، القائم على الفهم العميق، والعلم الدقيق.

والفرق بين النظرية والتطبيق بأبسط تعريف، هو أن النظرية تمثل المعرفة، والتطبيق يمثل التجربة والخطأ. فالنظرية هي ما يجب أو ما يفترض أن يحدث، والتطبيق هو ما يحدث عملياً.[٢]

حاجة المسلمين إلى فقه التمكين

يحتاج المسلمون إلى فقه التمكين للأسباب التالية:

١- الأمة الإسلامية تمر بمرحلة عصيبة من تاريخها، وهي في أشد الحاجة لفقه التمكين، ليكون لها هاد يبصرها طريق التمكين وأسبابه وشروطه وفوائده وأهدافه، حتى تسعى لتحقيق أهدافها وآمالها، وفق سنن الله ﷻ الجارية في الشعوب والأمم والمجتمعات والدول[٣].

---

[١] - حمادة: عبد الله، بين النظرية والتطبيق، مدونة على موقع الجزيرة، يوم ٢٠١٧/٥/٢٧م. https://www.aljazeera.net/blogs/٢٧/٥/٢٠١٧/بين-النظرية-والتطبيق

[٢] - القمزي: عبد الله، الإبداع بين النظرية والتطبيق، مقال منشور على موقع الإمارات اليوم، ١٠ يوليو ٢٠٢٣. https://www.emaratalyoum.com/opinion/٢٠٢٣-٠٧-١٠-١٩-١,١٧٦٥٤١٩

[٣] - تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص: ٥، سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم (بحث)، ص: ٢.

٢- التمكين يعد جزءا رئيسيا من مهمة الإنسان في الأرض، وهي خلافته عن الله ﷻ في أرضه على ضوء منهاجه. الموصلة إلى إقامة العبودية المطلقة لله ﷻ، بمعناها الشامل الصحيح، في كل مناحي الحياة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[١].

٣- المعرفة بمدلولات التمكين من شأنه تحصين المسلم من الشبهات المعاصرة، فينطلق المسلم، ويتحرر من قيود العجز والكسل والإحباط، التي قيدته بها الحضارة المادية المعاصرة، فيُقبل على عالَم الشهادة، ويحقق الاستخلاف على أكمل وجه. فيؤسس نهضة حضارية روحية، من شأنها الجمع بين عالمي الغيب والشهادة[٢].

٤- التأكيد على أن التمكين يخضع لسنة ثابتة لا تتخلف ولا تتأجل، متى فهمها المسلمون وصلوا إلى نتائجها, ونعموا بخيرها، ومتى غابوا أو غيبوا عن إدراكها غابت عنهم ثماره، وتاهت منهم فوائده[٣].

٥- تعلم فقه التمكين يعين العاملين للإسلام على عدم تكرار الأخطاء التي أدت إلى الحال التي نحن عليها الآن[٤].

٦- فقه التمكين يساعد في بناء جيل تكتمل فيه الصفات اللازمة لإقامة خلافة على منهاج النبوة.

٧- الأمة في أمسَّ الحاجة إلى ما يرد إليها ثقتها بربها، ومنهجها، وفي حاجة إلى من يوقظ الإيمان في قلبها، ويرشدها للأخذ بأسباب التمكين وشروطه، ويبين لها طبيعة الطريق، وكيفية السير فيه، ويوضح لها المعالم لتعرف كيف تعمل؟ وإلى أين تسير؟ [٥]

نشأة مصطلح فقه التمكين

قبل أن ينمو مصطلح فقه التمكين ويتبلور بالشكل الحالي، كان الحديث عن التمكين وفقه التمكين موجودا، لكنه كان مبثوثا في الكتب القديمة، ككتب الأحاديث، والتفاسير، والكتب التي تتكلم عن الحضارة، كمقدمة ابن خلدون، عندما تكلم عن الأمم وصعودها وانهيارها، وما إلى ذلك. وكذلك الكتب التي تكلمت عن السنن

---

[١] - سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم (بحث) ، ص: ١.
[٢] - فقه التمكين ودلالاته للنهوض الحضاري، ص: ٥٦٧،٥٦٨.
[٣] - المصدر السابق، ص: ٢.
[٤] - موسى: نظمي خليل أبو العطا، حاجة المسلمين إلى تعلم فقه التمكين، مقال منشور على موقع إعجاز القرآن والسنة، ديسمبر ٢٠١٩. https://quran-m.com/حاجة-المسلمين-إلى-تعلم-فقه-التمكين/
[٥] - تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص: ٦.

الإلهية، التي تحكم الشعوب والمجتمعات. لكن في العصر الحديث صار هناك اهتمام خاص به، وتم تقعيد هذا الفقه وبلورته ووضع أصول له، ولكنه لم يتبلور بشكل كامل، لكن إلى حد كبير وصل إلى مرحلة جيدة من النضج، والآن يوجد كتب ومقالات كثيرة ومؤتمرات وندوات، وهناك مراكز أبحاث متخصصة في التمكين والحضارة، فالحديث عن الحضارة صورة من صور الحديث عن التمكين[١].

ميدان وتصنيف فقه التمكين

الشائع أن فقه التمكين فرع من فروع العلوم الإسلامية، كفقه الأولويات، وفقه المآلات، وفقه الواقع، وعلم المقاصد الشرعية. أما الدكتور/ حاكم المطيري[٢] فيصنف فقه التمكين ضمن مباحث علم الاجتماع السياسي، وخاصة أنه يتحدث عن الدولة والحضارة[٣]، ويرى أن هذا الموضوع ليس من الموضوعات الفقهية أو الشرعية، إلا من جهة الأحكام التي تتعلق بأفعال المكلفين حين يمارسون العمل السياسي ووصفها بالحل أو الحرمة أو الوجوب. كما يرى أنه ليس للدعاة ولا للعلماء كبير أثر فيه عمليا، إلا بقدر مشاركتهم للزعماء السياسيين والقادة الميدانيين في قيادة الشعوب نحو الاستقلال أو الإصلاح السياسي، فالرجوع إليهم في هذا الباب من تكليفهم ما لا يستطيعون بل ما لا يحسنون.

ومن وجهة نظره: أن عدم إدراك ما سبق أدى إلى أسوأ الأثر على الواقع السياسي في العالم، حيث صارت الحركات الدعوية البديل عن الأحزاب السياسية، وأصبح علماء الفقه ورجال الدين البديل عن الزعماء السياسيين، وصارت الفتوى الشرعية البديل عن المشاريع السياسية، فوقع الخلل، واستعصى الحل، في الوقت الذي لا تواجه المجتمعات الأخرى مثل هذه الإشكالية في حراكها السياسي[٤].

---

[١] - فقه التمكين، المعنى والملامح وواقع الأمة (حلقة تليفزيونية).

[٢] - هو: الدكتور/ حاكم عبيسان الحميدي المطيري، حاص على الماجستير والدكتوراة في عدة فروع من جامعات مختلفة، أستاذ التفسير والحديث، كلية الشريعة – جامعة الكويت. تول عدة مناصب، منها: الأمين العام لحزب الأمة عام ٢٠٠٥-٢٠٠٧، ورئيس حزب الأمة منذ ٢٠١٣، والأمين العام لمؤتمر الأمة منذ يناير ٢٠١٥. الموقع الرسمي للشيخ الدكتور/ حاكم المطيري/ السيرة الذاتية. http://www.dr-hakem.com/Portals/Content/?info=TVRRbVVHRm٥aU١l٤K٣U=.jsp

[٣] - علم الاجتماع السياسي فرع من فروع علم الاجتماع، يهتم بدراسة العلاقة بين السلوك السياسي والسلوك الاجتماعي، أي دراسة العلاقات المتبادلة بين السياسة وبين المجتمع. زايد: أحمد عبد الله، مقدمة في علم الاجتماع السياسي، الطبعة الثانية، ص: ١٧:٢٠.

[٤] - المطيري: حاكم، فقه التمكين، رؤية سياسية في واقع القوى الإصلاحية الخليجية، ورقة مقدمة للمركز العربي ٢٠٠٨م، منشور على الموقع الرسمي للشيخ الدكتور حاكم المطيري. http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TlRVeEpsTjFZbEJoWjJVbU١RPT٠rdQ==.jsp

والذي نرجحه أن فقه التمكين فرع من فروع العلوم الشرعية، كما أنه يتقاطع مع باقي الفروع الشرعية في نقاط عديدة. فاستمداده في الأصل من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ومباحثه النظرية مستقاة منهما، وجوانبه العملية لا تخرج عن كونها من الفروض الكفائية – في الأغلب، فتكون لها أصولها الشرعية أيضا. والحضارة الإسلامية، رغم إمكان اعتبارها كفرع من فروع علم الاجتماع السياسي، إلا أنها أثر من آثار العقيدة الإسلامية، وذات صلة وثيقة بوظيفة الإنسان كخليفة لله ﷻ في الأرض، ولا تقوم إلا على الفروض الكفائية.

أما علم الاجتماع السياسي، فبعد إضافة الصفة الإسلامية إليه (علم الاجتماع السياسي الإسلامي) – حتى يتوافق مع المفهوم الإسلامي، والبرنامج الإسلامي – هو أيضا من أبواب الفروض الكفائية العلمية الدنيوية.

والدعاة والعلماء (المؤهلين) لهم دور كبير – كما كانوا على مدار التاريخ الإسلامي – في تحضير الأمة وإعادة تأهيلها لتحمل الأمانة من جديد، وفي قيادتها الدينية، وتوجيهها، وليسوا بديلا عن السياسيين الذين يجب عليهم أيضا أن يكونوا على المستوى الإسلامي، الذي يؤهلهم للقيادة السياسية الإسلامية للأمة نحو تحقيق أهدافها العظمى.

الباب الثاني – الوعد الإلهي

الفصل الأول : عمدة قضية التمكين

الوعد الإلهي

قال الله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[1].

سبب النزول

كان المنافقون يُظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر ممالأة لأهل الشرك، كما كانت تحدث حوادث تُخَوِّف المسلمين من أعدائهم، فكانوا مشفقين من غزو أهل الشرك، ومن كيد المنافقين ودلالتهم المشركين على عورات المسلمين، فقيل كانت تلك الحوادث سببا لنزول هذه الآية[2].

روى الربيعُ بْنُ أَنَسٍ[3] عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ [4] في هذه الْآية قال: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ بَعْدَمَا أَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ، خَائِفًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ، يَدْعُونَ إِلَى الله ﷻ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا بِهَا خَائِفِينَ، يُصْبِحُونَ فِي السِّلَاحِ وَيُمْسُونَ فِي السِّلَاحِ، فَقَالَ رجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمٌ نَأْمَنُ فِيهِ وَنَضَعُ فِيهِ السِّلَاحَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**لَنْ تَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًا** [5] **لَيْسَتْ فِيهِمْ حَدِيدَةٌ** [6])، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ ﷻ نَبِيَّهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَأَمِنُوا[7].

---

[1] - سورة النور الآية رقم: ٥٥

[2] - التحرير والتنوير، ٢٨٢/١٨.

[3] - هو: الربيع بن أنس بن زياد، البكري، الخراساني، المَرْوَزِيُّ. سمع :أنس بن مالك، وأبا العالية الرياحي - وأكثر عنه - والحسن البصري. وكان عالم "مَرْوُ" في زمانه، توفي سنة ١٣٩هـ ؛ الذهبي: محمد بن أحمد، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ١٦٩/٦.

[4] - هو: أَبُو العَالِيَةِ رُفَيْعُ بنُ مِهْرَانَ الرِّيَاحِيُّ البَصْرِيُّ، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق t ، توفي سنة ٩٠ هـ، وقيل غير ذلك ؛ المرجع السابق ٢١٣/٤.

[5] - الاحتباء: جلسة المستريح الهانئ؛ تفسير الشعراوي، ١٠٣٢٠/١٧.

[6] - كناية عن السلاح، المصدر السابق.

[7] - الواحدي: علي بن أحمد بن محمد (ت ٤٦٨ هـ)، أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح – الدمام، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢م، ص: ٣٢٨.

وقد كان المسلمون واثقين بالأمن ولكن الله ﷻ قَدَّم على وعدهم بالأمن أن وعدهم بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين والشريعة فيهم، تنبيها لهم بأن سنة الله ﷻ: أنه لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها. ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه، مع ضمان التوفيق لهم والنجاح، إن هم أخذوا في ذلك، وأن ملاك ذلك هو طاعة الله ﷻ والرسول ﷺ[1]، قال ﷻ: ﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾[2].

آية الوعد الإلهي عمدة قضية التمكين

إذا كانت سورة النور في قلب المصحف كالمشكاة التي يتنامى فيها النور، فإن وعد الله ﷻ للمؤمنين في قلب هذه السورة أيضا كالمشكاة، يضيء لهم طريقهم إذا ساروا، ويرشدهم إذا تاهوا، ويبعث فيهم الأمل إذا قنطوا، ويخرجهم به من ظلمات التخلف، والضعف، والخوف، إلى نور الاستخلاف، وتمكين الدين، والأمن.

وإذا كان محور سورة النور هو التربية على (الإسلام الكامل الشامل)، فإن آية الوعد الإلهي تتحدث عن استخلاف الله ﷻ للمؤمنين من هذه الأمة في الأرض، والتمكين لدينهم الذي يجعلهم أصحاب الشأن والقرار في الأرض، عندما يحكِّمون شريعة الله ﷻ (الإسلام الكامل الشامل) في سائر أوجه الحياة[3].

ودوران الآية مع محور سورة النور، يجعلها عمدة قضية التمكين، ودرة تاجها، والمعلم الرئيسي الذي تنسج حوله خيوطها[4]، فالحق ﷻ يريد سلامة المجتمع، وسلامة الخلافة في الأرض. وكل الأحكام والمعاني في سورة النور تصبُّ في هذه الآية، فمَنْ راعى تلك الأحكام والمعاني، كان أَهْلاً للخلافة عن الله ﷻ [5].

---

[1] ـ التحرير والتنوير، ١٨/٢٨٢.
[2] ـ سورة النور، الآية رقم: ٥٤
[3] ـ مسلم: مصطفى، مشرفا على نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م، ٥/٢٤٤.
[4] ـ سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم، (بحث).
[5] ـ تفسير الشعراوي، ١٧/١٠٣١٧.

الفصل الثاني – صفات الوعد الإلهي

الفصل الثاني: صفات الوعد الإلهي

وَعْد الله ﷻ في هذه الآية الكريمة: بشارة، وصدق، وهو وعد عام، ويتناغم مع البُشرى النبوية بخلافة على منهاج النبوة، كما أنه يقتضي المعونة من الله ﷻ.

الوعد الإلهي بشارة

كلمة (وَعَدَ) في الآيات كلمة مشرقة، فهي بشارة تسر النفس وينشرح لها الصدر[١]، فالوعد بُشرى بخير لم يَأْتِ زمنُه بعد، حتى يستعد الناس بالوسيلة له[٢]. وحقيقة الوعد: إطماع وترجية؛ لأن الواعد يطمع الموعود ويرجيه بتحقق مقاصده، ونيل ما ينفعه فيما يستقبل من الزمان. والترجية أو الوعد الدال عليها، في هذه الآية لفظ صريح باعتبار صيغته، وهو أيضا وعد عام مستغرق لأهل هذا الوعد، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات[٣].

الوعد الإلهي صدق

وما دام الوعد من الله ﷻ – بما له من صفات الجلال والكمال– فهو صِدْق[٤]، قال ﷻ: ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً** ﴾ [٥] وقال ﷻ : ﴿ **وَمَنْ أوفى بِعَهْدِهِ مِنَ الله** ﴾ [٦]، ومع هذا فقد أكد ﷻ الوعد بالقسم واللام والنون والسين والتاء في قوله ﷻ: ﴿ **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ** ﴾، وبالقسم واللام والنون في قوله ﷻ: ﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ** ﴾، وقوله ﷻ: ﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ** ﴾، وقد زادت إضافة لفظ الجلالة إلى الوعد من قدسية هذا الوعد وتشريفه[٧]. فهذا الوعد مرتبط بالتوحيد من كل جوانبه، لا من جانب توحيد الصفات فسحب؛ لأن إنجاز وعد الله ﷻ موجب الربوبية، والألوهية، وكمال الأسماء والصفات[٨].

ولقد فَعَل تبارك وتعالى – وله الحمد والمِنَّة، فإنه لم يمت النبي ﷺ، حتى فتح الله ﷻ عليه: مكة، وخيبر، والبحرين، وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن. وأخذ الجزية من مجوس هجر، وبعض أطراف الشام، وهاداه

---

[١] - موقع: الخليج، من كنوز البلاغة القرآنية، مقال، منشور يوم ٧ يناير ٢٠١٠. https://www.alkhaleej.ae/ملحق/الوعد-الحق-٠
[٢] - تفسير الشعراوي، ١٠٣١٨/١٧.
[٣] - الوعد الأخروي، شروطه وموانعه، ٢٥،١٥/١.
[٤] - تفسير الشعراوي، ١٠٣١٨/١٧.
[٥] - سورة النساء، الآية رقم: ١٢٢
[٦] - سورة التوبة، الآية رقم: ١١١
[٧] - الوعد الحق، من كنوز البلاغة القرآنية (مقال).
[٨] - الوعد الأخروي، شروطه وموانعه، ١/ ٢٤٩.

ملك الروم، والمقوقس، وملوك عمان، والنجاشي. ثم بعده ﷺ قام خليفته أبو بكر الصديق ﵁ بتوطيد جزيرة العرب، وفتح طرفا من بلاد فارس، وبصرى ودمشق، ومناطق أخرى من الشام.

واستخلف أبو بكر ﵁ من بعده الفاروق عمر بن الخطاب ﵁، فأتم الله ﷻ على يديه فتح البلاد الشامية بأكملها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وقصر قيصر، وانتزع منه الشام. ثم تولى بعده عثمان بن عفان ﵁، فامتدت الفتوحات إلى الأندلس، وقبرص، والقيروان، وسبتة، ومن الناحية الأخرى وصلت الجيوش إلى أقصى بلاد الصين، وأباد مُلك كسرى، وفتحت مدائن العراق، وخراسان، والأهواز، وجُبي إليه الخراج من المشارق والمغارب[1].

ثم استمر موعود الله ﷻ، لكن مع تناقص مستمر في تحقيقه، تناسبا طرديا مع الضعف المستمر في (الإيمان والعمل الصالح)، حتى انتهى تماما بنزول مجتمعات الأمة الإسلامية عن الحد الأدنى الجمعي الضروري من الإيمان والعمل الصالح.

الوعد الإلهي وعد عام

الخطاب هنا للمؤمنين جميعا، في مواجهة المنافقين.. وأن هؤلاء المؤمنين موعودون من الله ﷻ – إذا هم صدّقوا إيمانهم بالعمل الصالح– أن يستخلفهم في الأرض، أي يجعلهم خلفاءه عليها، ويجعل إلى أيديهم السلطان المتمكن فيها.. فالإنسان هو خليفة الله ﷻ على هذه الأرض، ولن يكون أهلا لهذه الخلافة إلا إذا صحّت إنسانيته، وسلمت فطرته[2].

وهو وعد عام؛ لأنه مستغرق لجميع أفراده دفعة بوضع واحد، لأن (مِنْ) في قوله ﷻ: ﴿ **مِنكُمْ** ﴾ لا يتصور فيها التبعيض، فهي لبيان الجنس، فهي هنا بمعنى: الذين هم أنتم؛ لأن الخطاب للمؤمنين[3]. فهو وعد لكل من تحققت فيه مطالب الآية، في أي عصر، وأي مصر، وهي بشارة باقية إلى يوم القيامة[4].

---

[1] - ابن كثير: إسماعيل بن عمر، أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩ هـ، ٧١/٦.

[2] - التفسير القرآني للقرآن، ١٣١٤/٩.

[3] - الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله (ت٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧م، ٤١٧/٤ ؛ ابن حيان، محمد بن يوسف، بن علي بن يوسف، أبو حيان، أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٦٤/٨.

[4] - الفرماوي، سورة النور، تفسير ودروس وأحكام، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م، ص: ٥٦.

وهنا ملاحظة هي أن الوعد يأتي للجماعة، لأن نتائج الأعمال في الدنيا جماعية، وفي الآخرة فردية، فهي سنة اجتماعية. وإدراك هذا الأمر يجنب المؤمن كثيرا من اليأس والحيرة وهو يواجه جحود الناس وفتنة الدنيا. فالجماعة تبدأ من أفراد يجاهدون ويتواصون بالحق والصبر، إلى أن يتشكل منهم العدد الكافي لسلامة الأمة[١].

الوعد الإلهي والبُشرى النبوية

عن حذيفة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **(تكونُ النُّبوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافةٌ على مِنهاجِ النُّبوَّةِ، فتكونُ ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء اللهُ أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ مُلكًا عاضًّا، فيَكونُ ما شاء اللهُ أنْ يكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ مُلكًا جَبريَّةً، فتكونُ ما شاء اللهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرفَعُها إذا شاء أنْ يَرفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافةٌ على مِنهاجِ نُبوَّةٍ).**
إسناده حسن، أخرجه أحمد (١٨٤٠٦) واللفظ له، والطيالسي (٤٣٩)، والبزار (٢٧٩٦).

وهي بشرى حق وصدق، وهذا الحديث النبوي الشريف، عند أهل الحديث، من دلائل النبوة، فقد وقعت هذه الأحداث كلها، ولم يبق إلا الخلافة الراشدة الثانية، على منهاج النبوة.

وإن هذا الوعد من الله ﷻ ليحمل أملا كبيرا للبشرية في أن يتمكن المؤمنون من تحقيق العدل والأمن والسلام في الأرض. ولكن ما أبعد الشقة بين الواقع المخزي الذي نحن فيه وبين هذا الأمل. ومع ذلك فإن العمل المخلص الواعي يقرب البعيد ولو خطوات. وإن وجود القلة المؤمنة العاملة ليبشر ببداية هذا الخير. ورسول الله ﷺ يبشرنا بانتشار الإسلام حتى يعم الأرض كلها، فالمستقبل للإسلام، وما علينا إلا أن نضع هذا الأمل نصب أعيننا ولا نحتقر من العمل المفيد شيئا[٢].

الوعد الإلهي يقتضي العون الإلهي

الاستعانة: طلب العون. والعون والإعانة: تسهيل فعل شيء يشق ويعسر على المستعين وحده، فالإعانة تحصل بإعداد طريق تحصيله من إعارة آلة، أو مشاركة بعمل البدن كالحمل والقود، أو بقول كالإرشاد والتعليم، أو برأي كالنصيحة .

---

[١] ـ لحام: حنان، من هَدْي سورة النور، ط: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ص: ١٢٤.
[٢] ـ المصدر السابق، ص: ١٢٧.

والاستعانة بالله ﷻ هي طلب المعونة على ما لا قِبَل للبشر بالإعانة عليه، ولا قِبَل للمستعين بتحصيله بمفرده، ولذلك فهي مُشعِرة بأن المستعين يصرف مقدرته لتحصيل الفعل ويطلب من الله ﷻ العون عليه، بتيسير ما لا قِبَل لقدرة المستعين على تحصيله بمفرده، فهذه هي المعونة شرعا.[1] وهذه المعونة هي المذكورة في قوله ﷻ: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾، أي إياك نستعين على عبادتنا إياك، وطاعتنا لك، وفي أمورنا كلها – لا أحد سواك، إذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبوده الذي يعبده من الأوثان دونك، ونحن نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة[2].

ووجهه تقديم قوله ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ على قوله ﷻ: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾؛ أن العبادة تقرب للخالق ﷻ: فهي أجدر بالتقديم في المناجاة، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك؛ ولأن الاستعانة بالله ﷻ تتركب على كونه معبودا للمستعين به؛ ولأن من جملة ما تطلب الإعانة عليه: العبادة، فكانت متقدمة على الاستعانة في التعقل.

وأُعيد لفظ ﴿ **إِيَّاكَ** ﴾ في الاستعانة، دون أن يعطف فعل ﴿ **نَسْتَعِينُ** ﴾ على ﴿ **نَعْبُدُ** ﴾، مع أنهما مقصودان جميعا؛ لأن بين الحصرين فرقا: فالحصر في ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ حقيقي، والقصر في ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ادعائي؛ فإن المسلم قد يستعين غير الله ﷻ، كقوله ﷻ: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى** ﴾[3]، لكنه لا يستعين في عظائم الأمور إلا بالله ﷻ، ولا تعد الاستعانة حقيقة إلا الاستعانة بالله ﷻ[4].

وفي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا، إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه، مع ضمان التوفيق والعون لهم والنجاح، إن هم أخذوا في ذلك[5]. فإذا حل الاهتداء في النفوس، نشأت الصالحات فأقبلت مُسَبَّباتها تنهال على الأمة، فيتيسر للأمة تناول أسباب النجاح، ويحف بها اللطف الإلهي، بحيث يدفع عنهم العراقيل والموانع، وربما حف بهم اللطف والعناية، عند تقصيرهم بالقيام بهذه التكاليف، وعند تخليطهم الصلاح بالفساد، فرفق بهم، ولم يعجل لهم الشر، وإنزال العقوبة[6].

---

[1] - التحرير والتنوير، ١٨٤/١.

[2] - الطبري: محمد بن جرير (٣١٠ هـ)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر- د. عبد السند حسن يمامة، ط: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – مصر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، ١٦٠/١.

[3] - سورة المائدة، الآية رقم: ٢

[4] - التحرير والتنوير، ١/ ١٨٦.

[5] - المصدر السابق، ٢٨٢/١٨.

[6] - المصدر السابق، ٢٨٤/١٨.

الباب الثالث – سبب الوعد الإلهي

الفصل الأول : الأسباب

الفصل الأول: الأسباب

تعريف السبب

١- السبب في اللغة

السبب في اللغة: الحبل، ثم استعير لكل شيء يُتَوَّصل به إلى أمر من الأمور، أو مقصود ما، فقيل: هذا سبب، وهذا: مُسَبَّبٌ عن هذا[١]. وسَبَّبَ الأسباب: أوجدها، وكان سببا لها[٢].

٢- السبب في الاصطلاح

عرفه الآمدي بأنه: الوصف الظاهر المنضبط، الذي دل الدليل السمعي على كونه مُعَرِّفا لحكم شرعي[٣]. فالوصف هو المعنى. والظاهر هو المعلوم ضد الخفي. والمنضبط هو المُحدد بأن لا يختلف باختلاف الأشخاص أو الأحوال. والدليل السمعي هو ما كان في الكتاب والسنة. وكونه مُعَرِّفا لحكم شرعي أي علامة على الحكم الشرعي من غير تأثير فيه. أي أن السبب هو ما ارتبط به غيره وجودا وعدما[٤].
والسبب لا يكون سببًا إلا بجعل الشارع له سببًا. وهذه الأسباب ليست مؤثرة بذاتها في وجود الأحكام، بل هي علامة وأمارة لظهور الأحكام، ووجودها، ومُعَرِّفة لها، عند جمهور العلماء، فالسبب وسيلة وصِلة، كالحبل في إخراج الماء من البئر[٥].

قانون السببية

دل القرآن الكريم على أن كل شيء يحدث في الكون له سبب، وقانون السببية يعني ربط المُسَبَّبات بأسبابها، والنتائج بمقدماتها، وهذا القانون عام شامل لكل ما في العالم، ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة[٦].

---

[١] - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٦١.
[٢] - عمر: أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ١٠٢٢/٢.
[٣] - الآمدي: علي بن محمد (ت ٦٣١ هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، (دمشق – بيروت)، ١٤٠٢ هـ، ١٢٧/١.
[٤] - الزحيلي: محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (المدخل – المصادر – الحكم الشرعي ط: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م، ٣٩١/١.
[٥] - الوجيز في أصول الفقه الإسلامي – الزحيلي، ٢٩٣،٣٩٢/١.
[٦] - زيدان: عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص: ٢٢.

وتخضع لهذا القانون: الأمم في علوها وانخفاضها، وسعادتها وشقائها، وعزها وذلها، وبقائها وهلاكها، وهذا الخضوع من الأفراد والأمم في جميع أحوالهم لهذا القانون الرهيب، يساوي بالضبط خضوع الأحداث الكونية المادية لهذا القانون، وهذا ما تقضي به سنة الله ﷻ العامة التي لا تقبل التخلف ولا التبديل، قال ﷻ: ﴿ **سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا** ﴾[١].

وكل الفرق بين الأحداث الكونية المادية، وبين الأحداث الاجتماعية، هو أن أسباب الأولى واضحة مضبوطة إذا عرفناها أمكننا الحكم بدقة على نتائجها، وميقات هذه النتائج، أما أسباب الأحداث الاجتماعية فهي بمختلف أنواعها، أسباب دقيقة، وكثيرة، ومتشعبة، ومتشابكة، وقد يعسر على الكثيرين الإحاطة بها تفصيلا.

لكن مع هذا العسر، يمكن للمتأمل الفاحص الدقيق أن يعرفها ويحيط بها علما، كما يمكنه الجزم بحصول نتائج معينة بناء على أسباب معينة، وإن لم يمكنه الجزم بميعاد حصول هذه النتائج[٢].

ومن الأمور المعنوية المندرجة تحت قانون السببية: جعل الإيمان والأعمال الصالحة سببا لرضوان الله ﷻ، وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وجعل الاستغفار سببا لمغفرة الله ﷻ ورحمته[٣].

ونصر الله ﷻ يستحقه المؤمنون الذين قامت فيهم موجبات النصر من اتباع الرسول ﷺ وطاعة شرعه، ونصرة دينه، فهم متساوون في استحقاق نصر الله ﷻ، ولهذا يظفرون به في كل مكان وزمان حسب وعد الله ﷻ[٤].

أنواع السبب الشرعي

الشارع الحكيم ﷻ قد جعل وجود السبب علامة على وجود المُسَبَّب، وهو الحُكم الذي ارتبط بالسبب، وجعل تخلفه وانتفاءه علامة على تخلف وانتفاء ذلك الحُكم، أي أن الشارع ربط وجود المُسَبَّب بوجود السبب، وعدم المُسَبَّب بعدم السبب، فيلزم من وجود السبب وجود المُسَبَّب، ومن عدم السبب عدم المُسَبَّب[٥].

وقد يكون السبب من فعل المُكلَّف ومقدور له: كالبيع، فهو سبب لملك المشتري للمبيع وملك البائع للثمن. وعقد الزواج سبب لإباحة الاستمتاع بين الزوجين، وعقد الإجارة سبب لحل الانتفاع بالعين المستأجرة. وهذا

---

[١] - سورة الفتح، الآية رقم: ٢٣

[٢] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٢٢:٢٤.

[٣] - المصدر السابق، ص: ٢٧.

[٤] - المصدر السابق، ص: ١٨١

[٥] - الوجيز في أصول الفقه الإسلامي -الزحيلي ٣٩٢/١.

النوع له صفات: صفة التكليف، لأنه مقدور عليه، ومطلوب من الشارع فعله لجلب المنافع ودفع المضار. وصفة الوضع، لأن الشارع رتب عليه أحكاما أخرى.[1]

وقد يكون السبب ليس من فعل المُكلَّف، ولا يقدر عليه، فمثلا دخول وقت الصلاة، هو سبب لوجوبها، والقرابة هي سبب للإرث، والموت سبب لنقل ملكية التركة إلى الوارث[2].

السبب الموجِب للوعد الإلهي

الإيمان أصل من أصول تحقيق الوعد الإلهي، لأن الموعود لا بد أن يقوم به مقتضى الوعد اعتقادا وقولا وعملا؛ ولذلك أدار الله ﷻ تحقيق وعده مع الإيمان وجودا وعدما[3]. والإيمان حال الإطلاق (مرادف للتقوى والبر والطاعة والاتباع ونظائرها)؛ لأنها حال الإطلاق تدل على الدين كله، أصوله وفروعه؛ ولهذا نيط بها ما نيط بالإيمان من دخول الجنة بلا عذاب، قال ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰت وَنَهَر** ﴾[4]، ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾[5].

يقول ابن عاشور: " الاستقامة في الخويصة، هي مُوجب هذا الوعد، وهي: الإيمان وقواعد الإسلام. والاستقامة في المعاملة هي التي بها تيسير سبب الموعود به. فمتى اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع ما وضح لهم الشرع، تحقق وعد الله ﷻ إياهم بهذا الوعد الجليل.

وهذه التكاليف التي جعلها الله ﷻ قواما لصلاح أمور الأمة ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن صارت بترتيب تلك الموعدة عليها (أسبابا لها). وكانت الموعدة (كالمُسَبَّب) عليها فشابهت من هذه الحالة خطاب الوضع "[6] أي السبب الشرعي.

وقوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ يدل على أن طاعة الله ﷻ بالإيمان به، والعلم الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة ; كقوله ﷻ : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ** ﴾[7]، وقوله ﷻ: ﴿ **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ**

---

[1] - المصدر السابق، ١/ ٣٩٤،٣٩٥.
[2] - ا الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، - الزحيلي، ١/ ٣٩٥.
[3] - الوعد الأخروي شروطه وموانعه، ١/ ٣٥٣.
[4] - سورة القمر، الآية رقم: ٥٤
[5] - سورة الانفطار، الآية رقم: ١٣ ، سورة المطففين، الآية رقم: ٢٢
[6] - التحرير والتنوير، ٢٨٤/١٨.
[7] - سورة الأنفال، الآية رقم: ٢٦

فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[1] وقوله ﷻ: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومعنى ذلك أن وجود الإيمان والعمل الصالح يعني وجود الوعد، وانتفاء الإيمان والعمل الصالح، ينفي وجود الوعد. ولأن التمكين سنة اجتماعية، فإنه لو أن قوما غير مسلمين عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم بمثل ما أمر الله ﷻ به المسلمين من الصالحات، بحيث لم يعوزهم إلا الإيمان بالله ورسوله ﷺ، لاجتنوا من سيرتهم صورا تشبه الحقائق التي يجتنيها المسلمون؛ لأن تلك الأعمال صارت أسبابا وسننا تترتب عليها آثارها، التي جعلها الله ﷻ سننا وقوانين عمرانية، سوى أنهم لسوء معاملتهم ربهم بجحوده أو بالإشراك به أو بعدم تصديق رسوله ﷺ يكونون بمنأى عن كفالته وتأييده إياهم ودفع العوادي عنهم، بل يكلهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد.

ألا ترى أن القادة الأوربيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه بما مارسوه من شؤون المسلمين في خلال الحروب الصليبية، ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي والفقه الإسلامي والسيرة النبوية، قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان والمواساة وكراهة البغي والعدوان، فعظمت دولهم واستقامت أمورهم. ولا عجب في ذلك فقد سلط الله ﷻ الآشوريين – وهم مشركون – على بني إسرائيل لفسادهم فقال ﷻ في سورة الإسراء: ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا (٥)** ﴾"[3].

وقوله ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾[4] تخصيص للموعودين، وهم ليسوا المسلمين على العموم، لأن من المسلمين من لا يلتزم بالإسلام التزاما صادقا، ومنهم من ليس له من الإسلام إلا اسمه، وهؤلاء ليسوا موعودين بهذا الوعد. فالموعودون هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالإيمان تصديق وثقة ويقين وطمأنينة. والعمل الصالح ثمرة ونتيجة؛ لأن الإيمان إذ استقر في القلب يثبت نفسه بالخارج في صورة

---

[1] - سورة الحج، الآيات رقم: ٤٠،٤١

[2] - سورة محمد، الآية رقم: ٤٧

[3] - التحرير والتنوير، ٢٨٤/١٨،٢٨٥.

[4] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

عمل صالح، فيؤثر في المؤمن، وينظم له حياته، ويوجه له تصرفاته، ويطالبه أن يكون كل ما يصدر عنه من أقوال وأعمال متوافقا مع توجيهات الإيمان وحقائقه[1].

كما أن الاستخلاف في الأرض قائم على تعمير الأرض وإصلاحها، ونشر الخير فيها، وإحسان استخراج كنوزها وبركاتها، وهذا لن يتحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح، والسير في الأرض على أساس شرع الله ﷻ ومنهاجه[2].

---

[1]- الخالدي: صلاح عبد الفتاح، وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ط: دار القلم – دمشق، ٢٠٠٤م، ص: ١٩٥،١٩٦.

[2] - وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ص: ١٩٦

الفصل الثاني: الإيمان

الفصل الثاني: الإيمان

تعريف الإيمان

الإيمان في اللغة

الإيمان في اللغة: تصديق القلب على سبيل الحقيقة، والعمل بموجب التصديق على سبيل المجاز. وقد يُطلق الإيمان على طمأنينة القلب وسكونه، وعلى الإقرار باللسان[١].

الإيمان في الاصطلاح

استخدم القرآن الكريم كلمة (الإيمان) في معرض الحديث عن (العقيدة)[٢]. فالإيمان هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام بوجود الله ﷻ وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده ﷻ العبادة دون ما سواه، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانا ترى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله ﷻ، واجتناب نواهيه، مع إظهار الخضوع والطمأنينة، وبأن محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به ﷺ عن ربه ﷻ وعن دين الإسلام، وعن الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، والانقياد له ﷺ بالطاعة المطلقة فيما أمر به أو نهى عنه. ويجب أن يتبع ذلك كله: قول اللسان، وعمل الجوارح والأركان، ولا يجزئ واحد من الثلاث (الاعتقاد، والقول، والعمل) إلا بالآخر[٣].

وقد خص الشارع استعمال التصديق بالأمور الشرعية، وأقل مراتبه: التصديق بالشهادتين، ويليها: التصديق بما ذُكر في حديث جبريل عليه السلام: **(بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر كله)**[٤]، واستعمال الشارع (الإيمان) في تصديق القلب بالأمور الشرعية، أغلب من استعماله في فوائده وثمراته[٥].

---

[١] - ابن عبد السلام: عبد العزيز، عز الدين، سلطان العلماء (ت ٦٦٠ هـ) ، معنى الإيمان والإسلام، أو الفرق بين الإيمان والإسلام، ت: إياد خالد الطباع، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ١٩٩٥، ص: ٩، ١٠.

[٢] - القرضاوي: يوسف، الإيمان والحياة، ص: ٣. https://archive.org/details/٢٠٢٠٠٣١١_٢٠٢٠٠٣١١_n٠٢٤٩/page/٢/mode/١up

[٣] - موقع: الدرر السنية، الموسوعة العقدية، الكتاب الثامن / الباب الأول/ المبحث الثاني: تعريف الإيمان اصطلاحا. https://dorar.net/aqeeda/٢٥٢٢

[٤] - أخرجه مسلم، حديث رقم : ٨.

[٥] - معنى الإيمان والإسلام، ص: ١٠.

والإيمان –كما قال العلماء–: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح، أما المرجئة، فقد قصروا الإيمان على الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[١].

واستعماله في الطاعات بالقلوب، والألسنة، والجوارح والأبدان، دليله قوله ﷻ: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ حيث جعل الوَجَل (الخوف) والتوكل، وهما من أعمال القلب، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما من أعمال الجوارح، من جملة الإيمان، لأنه نفى الإيمان عن من لم يتصف بهذه الطاعات بقوله ﷻ: ﴿ **إِنَّمَا** ﴾، وهي للنفي والإثبات[٢].

الإيمان نور

الإيمان نور مشرق مضيء، في قلب المؤمن، يضيئ جوانحه ويزينها، ثم يشرق على حياة المؤمن، فتكون هادية سعيدة هانئة ميسرة. يشرق هذا النور الإيماني على الدنيا فيضيئها، وعلى الحياة فيصلحها، وعلى الظلام فيبدده، وعلى الشياطين فيكشفهم، وعلى الأعداء فيفضحهم. وهذا النور ينير للمؤمن حياته، وينير له قبره، وينير له طريقه يوم القيامة، ويسعى بين يديه عند مروره على الصراط، فيجتازها بتوفيق من الله ﷻ ورحمته.

فالإيمان نور، والإسلام نور، والقرآن نور، والهدى نور، والعمل الصالح نور، والطاعة نور، وكل هذه الأمور المباركة نور على نور، فالمؤمنون يعيشون في النور، ويتقلبون في النور، ويسعون ويتحركون في النور، ويواجهون ويجاهدون في النور، ويكونون في قبورهم في النور، ويوم القيامة ينير للمؤمنين طريقهم إلى الجنة ولا يفارقهم في موطن من مواطن اليوم الآخر، ويكون معهم في أشد هذه المواطن والمشاهد عنفا ورهبة، ألا وهو المرور على الصراط[٣] : ﴿ **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[٤].

---

(١) - الفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله ، التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، ط: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص: ١٤٥..

(٢) - معنى الإيمان والإسلام، ص: ١١،١٠.

(٣) - الخالدي: صلاح عبد الفتاح، في ظلال الإيمان، ط: دار القلم – دمشق، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م، ص: ٢٢٠،٢١٧.

(٤) - سورة الحديد، الآية رقم: ١٢.

ونور الإيمان يضيء للمؤمن طريقه، فتتكشف له حقائق الدين ومنهجه في العمل والحركة تكشفا عجيبا، وتتكشف له حقائق الوجود، وحقائق الحياة، وحقاق الناس، وحقائق الأحداث الجارية في عالم الكون، وعالم الإنسان تكشفا عجيبا.

وبنور الإيمان يجد المؤمن الوضوح واليسر في كل شأن وكل أمر وكل حدث، ويجد الوضاءة والراحة في نفسه وحياته، ويجد الطمأنينة والأمان والأمن في عمره وحركاته وصلاته، ويجد نورا يمشي به في الناس.

ونور الإيمان يضئ للمؤمن الوجود والحياة، فيكشف له الطرق ومطباته ومنحنياته وعوائقه، والماكرين الشياطين وأساليبهم، ومكرهم، وكيدهم وحربهم له. وبنور الإيمان يعيش المؤمن بين الناس، ويتعامل مع الناس، ويمشي في الناس[1]. قال ﷻ: ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا** ﴾[2].

رابطة الإيمان

قد تربط الناس في هذه الحياة روابط شتى، وتجمعهم أواصر عديدة، ويلتقون على وشائج مختلفة: كالدم والنسب أو والأرض والوطن أو والقوم والعشيرة أو اللون واللغة أو الجنس والعنصر أو الحرفة والطبقة أو المصالح المشتركة أو التاريخ المشترك أو المصير المشترك .. وهكذا.

لكن الرابطة الوحيدة المعترف بها في هذا الدين، هي رابطة الإيمان، وآصرة الإيمان، ووشيجة الإيمان، وأخوة الإيمان. فإذا وجد الإيمان عند شخص، والتزم بدين الله ﷻ، وأطاعه وأخلص له، فهو أخ للمؤمنين، له عليهم كل حقوق الإيمان والأخوة، وصارت تربطه بهم أقوى الروابط، وتجمعه معهم أوثق الصلاة، ولو لم يملك من الروابط والاواصر الجاهلية شيئا.

وإذا أعرض شخص عن الإيمان واختار طريق الكفر والضلال، فقد قطعت كل روابطه وصلاته مع المؤمنين، ولا تنفعه كل الوشائج والأواصر التي يلتقي عليها الجاهليون.

ورابطة الإيمان تزيل الفوارق والحواجز بين المؤمنين، فيكونون أشبه بالجسد الواحد المتناسق الذي تلتقي كافة أعضائه على أمر واحد وغاية واحدة، بلا شذوذ ولا فرقة. فقد روى الإمام مسلم عن النعمان بن بشير

---

[1] - في ظلال الإيمان، ص: ٢١٩.

[2] - سورة الانعام، الآية رقم: ١٢٢.

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[١].

ورابطة الإيمان عندما تكون كما يريد الله ﷻ أن تكون قوة ومكانة وصلة وتماسكا، تجمع بين قلوب المؤمنين، وتقضى على الأمراض والنقائص، والأنانيات من بينهم، وتحل محلها الأخوة والمحبة والإيثار والتعاون والتواصي. ويكون المجتمع الإسلامي برابطة الإيمان مجتمعا ربانيا إيمانيا فريدا[٢].

نفع الإيمان

الإيمان نافع نفعا عاما مجزيا، ويمنح صاحبه مكاسب ضخمة، وأرباحا وفيرة، وهو نافع للأفراد وللجماعات، وللدول والمجتمعات، نافع للجميع في الحياة الدنيا ويوم القيامة. فما من مؤمن يقبل على الإيمان إقبالا صادقا، ويتعامل معه تعاملا حيا جادا، إلا ويجد لهذا الإيمان نفعا ملحوظا في حياته الدنيا من خلال حركته الحياتية وتعامله مع الناس وصلاته بهم. وهو نفع ملحوظ في عالم الفضائل والقيم والأخلاق، وفي عالم السعي والحركة والعمل والحياة، وفي حياته الشخصية الخاصة والاجتماعية العامة.

ويبدو نفع الإيمان للمؤمن: استقامة وطهارة، وعزة وكرامة، ونورا وبصيرة، وتوفيقا وتسديدا، وثباتا واستقرارا، وطمأنينة وسكينة، كل ذلك في الدنيا، إلى ما يكون له يوم القيامة من نفع وخير[٣].

والمؤمن لا يرتاب في جدوى الإيمان ولا يتساءل عن نفعه لأنه – بما آمن بالله ﷻ واعتصم به واستقام على عبادته – يعلم أنه مُؤيَّد بأقدار الوجود كلها مُهيَّأ لأسباب الخير، فإليه ﷻ تُرجع الأمور والأسباب، يوفق سعي المؤمنين، ويبارك جهودهم ويجعل لهم من أمرهم كله ما تطيب له الحياة. والله ﷻ إنما يرتب الآثار الصالحة على الإيمان بسنن مقدرة ثابتة كما يقضى بذلك سائر نهجه في الوجود، ولكن من تلك المقادير ما هو علم غيبي لا نعلم طرقه إلا من الأصول الدينية التي ترهن عواقب الخير بشرط الوفاء بواجب الإيمان اعتقادا وعملا، فعاقبة الإيمان بهذا الوجه وعد حق، يستيقنه المؤمن بعقيدته، ويعرف صدقه من تجاربه الذاتية، ومن اعتباره بواقع المؤمنين[٤].

---

[١] - ابن مسلم: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ت: محمد ذهني أفندي، وأخرون، ط: دار الطباعة العامرة – تركيا، ١٣٣٤هـ، حديث رقم:

[٢] - في ظلال الإيمان، ص: ٢٣٣:٢٣٥.

[٣] - في ظلال الإيمان، ص: ٢٢١،٢٢٢.

[٤] - الترابي: حسن، الإيمان، أثره في حياة الإنسان، ط: دار القلم – الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م، ص: ١٣.

الإيمان صبر وشكر

الايمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. قال غير واحد من السلف: (الصبر نصف الايمان) وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : " الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر"، ولهذا جمع الله ﷻ بين الصبر والشكر في قوله ﷻ: ﴿ **ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾، في سورة إبراهيم، وفي سورة حم عسق (الشورى)، وفي سورة سبأ، وفي سورة لقمان. وقد ذكر لهذا التنصيف اعتبارات:

أ- أحدها: أن الايمان اسم لمجموع القول والعمل والنية، وهى ترجع إلى شطرين: فعل، وترك. فالفعل هو العمل بطاعة الله ﷻ، وهو حقيقة الشكر، والترك: هو الصبر عن المعصية. والدين كله في هذين الشيئين: فعل المأمور: وترك المحظور.

ب- الثاني: أن الايمان مبنى على ركنين: يقين، وصبر. وهما الركنان المذكوران في قوله ﷻ: ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾[1]، فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهى والثواب والعقاب، وبالصبر ينفذ ما أمر به ويكف نفسه عما نهى عنه. ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهى، أنه من عند الله ﷻ، وبالثواب والعقاب، الا باليقين. ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور، وكف النفس عن المحظور، إلا بالصبر. فصار الصبر نصف الايمان، والنصف الثاني: الشكر، بفعل ما أمر به، وبترك ما نهى عنه[2].

أهمية الإيمان في حياة الفرد والمجتمع

الفرد بغير إيمان بالله ﷻ ريشة في مهرب الريح، لا يعرف حقيقة نفسه، ولا سر وجوده. وهو بغير إيمان: حيوان شره، أو سبع فاتك، لا تستطيع الثقافة والقانون – وحدهما – أن يحدا من شراهته، أو يقلما أظافره.

والمجتمع بغير إيمان، مجتمع غابة، وإن لمعت فيه بوارق الحضارة. الحياة والبقاء فيه للأشد والأقوى، لا للأفضل ولا للأتقى. مجتمع تعاسة وشقاء، وإن زخر بأدوات الرفاهية، وأسباب النعيم. مجتمع تافه رخيص، لأن غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون والفروج[3]. فهم ﴿ **يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنْعَامُ** ﴾[4].

---

[1] - سورة السجدة، الآية رقم: ٢٤

[2] - ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط: دار ابن كثير، دمشق، بيروت – مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م، ص: ١٠٨.

[3] - الإيمان والحياة، ص: ٣.

[4] - سورة محمد، الآية رقم: ١٢

والعلم المادي وإن امتد رواقه، واتسعت ميادينه، ليس بمستطيع أن يحقق الطمأنينة والسعادة للناس. لأنه وإن كان هيأ للإنسان الحديث وسائل الحياة، ولكنه لم يهده إلى غاياتها. فقد زين له ظاهرها، ولكنه لم يصله بأعماقها. فقد أعطى العلم للإنسان أدوات كثيرة، ولكنه لم يعطه قيمة كبيرة أو هدفا رفيعا يحيا له ويموت عليه، لأن هذه ليست وظيفة العلم، بل من اختصاص الإيمان[١].

أما عقيدة الإسلام، فإنها تتسع للروح والمادة، والحق والقوة، والدين والعلم، والدنيا والآخرة، لأنها تغرس في النفس الكرامة والحرية، وتجعل الخضوع لغير الله ﷻ كفرا وفسقا وظلما، وتأبى على الناس أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ﷻ[٢].

الإيمان مفتاح الشخصية الإسلامية والعربية

مفتاح الشخصية الإسلامية والعربية على وجه خاص هو الإيمان، هو عقيدة الإسلام، ومهم نحاول أن نذكي هذه الشخصية، وأن نفجر طاقاتها المكنونة، بغير مفتاحها الأصيل، وهو الدين والإيمان، فإننا نحاول عبثا، كمن يبني على الماء أو يكتب في الهواء[٣].

ولقد أرسل الله ﷻ نبيه ﷺ في تلك البيئة المظلمة، فأنارها بكتاب سماوي لا تنقضي عجائبه، وبإيمان واسع عميق، وتعاليم متقنة، وتربية حكيمة، وشخصية فذة، فبعث ﷺ بذلك في الإنسانية حياة جديدة متحضرة[٤]. ولقد وضع النبي ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية، فانفتح على ما فيها من كنوز، وعجائب، وقوى، ومواهب، فأصاب الجاهلية في مقتلها، أو صميمها، وأرغم العالم العنيد بحول الله ﷻ على أن ينحو نحوا جديدا، ويفتتح عهدا سعيدا، هو ذلك العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين العالم، والذي لم يكن لغير الإسلام في إقامته واستدامته، نصيب[٥].

وبعقيدة الإسلام، انطلق العرب من جزيرتهم، يُخرِجون العالَم من الظلمات إلى النور، ويؤدبون بسيوفهم الأكاسرة والقياصرة، وكل من صَعَّر خده من الجبابرة، وينقلون الناس من عباد الخلق إلى عبادة الخالق، ومن ضيق الدنيا، إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان والظلم، إلى عدل الإسلام. وبعقيدة الإسلام

---

[١] - الإيمان والحياة، ص: ٣.
[٢] - المصدر السابق، ص: ٤.
[٣] - المصدر السابق، ص: ٤.
[٤] - الندوي: على أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين(ت ١٤٢٠ هـ)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط: مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر، ص: ١٠٢.
[٥] - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: ١٠٤، قطب: سيد، المستقبل لهذا الدين، ط: دار الشروق، ص: ٦.

انتصرت أمتنا العربية على أوروبا، وقد جاءت بقضها وقضيضها في تسع حملات صليبية، تريد أن تلتهم الأخضر واليابس في هذا الشرق المسلم. وبعقيدة الإسلام انتصرت على غزو التتار الذي زحفوا على هذا الشرق كالريح العقيم، وكادوا يدمرون الحضارة الإنسانية كلها، لولا أن قيض الله ﷻ لهم من مسلمي مصر والشام من ردهم على أعقابهم، وهزموهم بإذن الله ﷻ، في (عين جالوت).

وأمتنا العربية والإسلامية اليوم تحارب عدوا شريرا، يجثم على صدرها، ويحتل قلب ديارها، ويهدد وجودها وكيانها بالتفتيت والتمزيق، ذلك هو (إسرائيل) التي تمدها وتعاونها، كل قوى الكفر في العالم، شرقية وغربية.

ولن نجد في حربنا مع هذه العدو، سلاحا أمضى ولا أبقى من الإيمان، قبل العتاد والقوة المادية التي أمرنا الله ﷻ بإعدادها، لنرعب بها عدو الله ﷻ وعدونا[١].

الحضارة الإسلامية قامت على العقيدة

إذا كان التحضر في أية حضارة يتأتى من الفكرة التي قامت عليها، فإن التحضر الإسلامي لا شك يقوم على العقيدة الإسلامية، المبينة لحقيقة الوجود، وغاية الحياة، والتي شكلت قاعدة من قواعد التحضر الإسلامي. والمهمة التي من أجلها خلق الإنسان، هي أن يكون خليفة لله ﷻ في الأرض، يقوم بحركة تعمير في الأرض وفق أوامر الله ﷻ ونواهيه، بحث يكون في كل منشط مادي أو معنوي متجها إلى الله ﷻ يستجلي مراده ويتحراه، ويبتغي مرضاته، قال ﷻ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[٢].

وأول وأهم عامل من عوامل السقوط الحضاري للأمم هو انحراف الفكرة الإيمانية التي دفعت إلى قيام التحضر. كالأمم السابقة التي انحرفت عقيدتها، فجعلها الله ﷻ أثرا بعد عين، قال ﷻ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ** ﴾[٣]-[٤].

---

[١] - الإيمان والحياة، ص: ٥.
[٢] - سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠
[٣] - سورة إبراهيم، الآيات رقم: ٢٩،٢٨.
[٤] - أنظر كتابنا: نور الوعد الإلهي، ٢- مقدمات فقه التمكين، ص: ٤٩.

الإيمان منبع العزة ومصدر الكرامة

الإيمان حقيقة يقينية قاطعة، وقوة مؤثرة عجيبة، وهو أساس الخير، ومنبع العزة، ومصدر الكرامة، لا توجد العزة إلا معه، ولا تتولد الكرامة إلا منه، ولا تعيش الأنفة والجرأة والشجاعة إلا في ظلاله. والإيمان الرباني القرآني، الفاعل الحي المؤثر، يمنح صاحبه الكثير، ويقدم له الكثير، ويضفي عليه الكثير من الصفات الحية، والسمات الطيبة، والمعاني الإيجابية. فهو يمنح صاحبه شعورا غامرا بالعزة والكرامة، والأنفة والشجاعة، والجرأة والإقدام، والحرية والإباء والشعور بعلو المنزلة[1].

ولنا المثال في قوله ﷻ : ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

فقوله ﷻ: ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا** ﴾ أي: ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أو يصيبكم، ولا تحزنوا على ما فاتكم، أو يفوتكم، أو أصابكم، أو يصيبكم في سبيل الله ﷻ. فقد نهاهم عن الوهن: وهو هنا مجاز في خور العزيمة، وضعف الإرادة، وانقلاب الرجاء يأسا، والشجاعة جبنا، واليقين شكا، ولذلك نُهوا عنه. كما نهاهم عن الحزن، وهو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار .

والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء، فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة. فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما، وهو هذا الاعتقاد، ولذلك قَدَّم على هذا النهي قوله ﷻ: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[3]، وعَقَّب بقوله ﷻ: ﴿ **وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾.

وقوله ﷻ: ﴿ **وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ بشارة لهم بالنصر المستقبل، فالعلو هنا علو مجازي، وهو علو المنزلة. أي، فقتالكم لله ﷻ ولإعلاء كلمته، وقتالهم للشيطان وإعلاء كلمة الكفر، وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار.

والتعليق بالشرط في قوله ﷻ: ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ قصد به تهييج غيرتهم على الإيمان إذ قد علم الله ﷻ أنهم مؤمنون، ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن من الغلبة، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه، فقيل

---

[1] ـ في ظلال الإيمان، ص: ٢٢٧.
[2] ـ سورة آل عمران، الآية رقم: ١٣٩
[3]ـ سورة آل عمران، الآية رقم: ١٣٧

لهم: (إن علمتم من أنفسكم الإيمان). وجيء بـ (إن) الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها، إتماما لهذا المقصد. والآية تفيد أن صحة الإيمان توجب قوة القلب، والثقة بوعد الله ﷻ، وقلة المبالاة بأعدائه[(١)].
وأي علو للإنسان أكثر من أن يشعر بأنه يقاتل لنصرة الحق، ويغالب في سبيله، فإن الحق في ذاته عزة وعلو، وفوق ذلك في النص بشارة بأن العاقبة للمتقين، وهو العلو في الأرض كما قال ﷻ: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾[(٢)]

وأما سبب النصر فهو صدق إيمان المؤمنين، فإن صدق الإيمان يصفي النفوس من أدرانها ويبعد عنها آثامها، ويجعل القصد هو إعلاء كلمة الحق، فيقدم المؤمن على القتال وهو يعلم أنه يفوز بإحدى الحسنيين الشهادة أو النصر، وكلتاهما غاية الطلب[(٣)].

وهن المسلمين وعجزهم الحالي

يجتاز العالم الإسلامي اليوم مرحلة من أسوأ مراحله التاريخية، حيث يمكن أن نطلق عليها مرحلة: (التيه). فلقد مرت بالعالم الإسلامي أزمات كثيرة من قبل، بل نكبات كثيرة، كان المسلمون يفقدون فيه تمكنهم في الأرض، أو يفقدون أمنهم وطمأنينتهم، أو يفقدون ديارهم وأموالهم، ولكنهم مع ذلك لم يخوضوا تجربة أقسى ولا أمر من تجربتهم المعاصرة، في تاريخهم كله.

والفرق بين هذه المرة وسابقاتها أن المسلمين كانوا في المرات السابقة لم يهنوا حتى وهم مهزومون أمام أعدائهم فترة غير قصيرة، ولم يشعروا أنهم أدنى من أعدائهم، بل كانوا يتمثل فيهم قوله ﷻ : ﴿ **وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾[(٤)]، بل كانوا يشعرون – حتى وهم مهزومون – بازدراء شديد لأعدائهم، لأن عقيدتهم، وتصوراتهم، لا تتفق مع العقيدة الصحيحة، والتصور الصحيح، ولأن أخلاقهم وأنماط سلوكهم لا تتفق مع أخلاقيات الإسلام، وأنماط سلوكه. أما في الحروب الصليبية الأخيرة، فقد كان الموقف قد تغير كثيرا عن ذي قبل، لأن المسلمين كانوا قد انحرفوا انحرافا شديدا عن حقيقة الإسلام، لا في السلوك وحده، ولكن في التصور كذلك[(٥)].

[(١)] - التحرير والتنوير، ص: ٩٩ ، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، ص: ١٤٩ ، حوى: سعيد (ت ١٤٠٩ هـ)، الأساس في التفسير، ط: دار السلام – القاهرة ، ٨٨٥،٨٨٤/٢ ، تفسير النسفي، ص: ٢٩٥.

[(٢)] - سورة القصص، الآية رقم: ٥

[(٣)] - أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤ هـ)، زهرة التفاسير، ط: دار الفكر العربي، ٣/ ١٤٢٢.

[(٤)] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١٣٩

[(٥)] - لاشين: موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ط: دار الشروق ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٤٦٦/١ ؛ موقع: رابطة علماء إرتريا، غربة الإسلام وأهله، مقال منشور يوم ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، https://ulamaaeritrea.org/١١٨٤ ؛

الفصل الثالث: العمل الصالح

الفصل الثالث: العمل الصالح

ماهية العمل الصالح

العمل الصالح هو العمل المرضي عند الله ﷻ، وهو الجامع لشيئين؛ الأول: أن يكون وفق الشرع الإسلامي، الثاني: أن يكون المقصود به مرضاة الله ﷻ وطاعته، فإذا فقد العمل هذين الشيئين أو أحدهما لم يكن مرضيا عند الله ﷻ، وبالتالي لا أجر فيه ولا ثواب، قال ﷻ: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[1]، فالمقصود بالعمل الصالح: العمل الصحيح، أي الموافق للشرع الإسلامي، والخالص لوجه الله ﷻ[2].

فالعمل الصالح بهذا المفهوم يشمل كل ما يحبه الله ﷻ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كالإيمان بالله ﷻ، والتوكل عليه، والشعائر التعبدية، وبر الوالدين، وتلاوة القرآن، والحب في الله ﷻ والبغض في الله ﷻ ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الأمانة، والأخلاق الحسنة، وإفشاء السلام، وإعانة الضائع، وهداية الضال، وهكذا.

مكانة العمل الصالح في الإسلام

للعمل الصالح في الإسلام مكانة عظيمة جدًّا؛ لأنه ثمرة الإيمان بالله ﷻ وباليوم الآخر، وبرسوله ﷺ، وبه يظهر معنى الشهادتين بالعمل والسلوك؛ ولأهميته في الإسلام جاءت الآيات الكثيرة به، فمرة تقرنه بالإيمان، ومرة تبيِّن جزاءه الحسن، وأخرى تصريح بأنَّ ما ينفع الإنسان في آخرته هو الأعمال الصالحة، وأن الله ﷻ لا يضيِّع أجر من عملها وقام بها، وتارة تبيِّن الآيات أنَّ الصالحات سبب لتكفير السيئات وغفران الذنوب، وأنَّ الخسارة تلحق الإنسان لا محالة، إلّا مَنْ آمن وعمل الصالحات، كقوله ﷻ: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** ﴾[4].

---

[1] - سورة الكهف، الآية رقم: ١١٠

[2] - زيدان: عبد الكريم، أصول الدعوة، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص: ٣٩.

[3] - سورة الرعد، الآية رقم: ٢

[4] - سورة مريم، الآية رقم: ٧٦

عموم الصالحات واستغراقها في المجتمع

عموم عمل الصالحات في الأمة: عرفي – أي غالب[١]، فلا يناكده ما يكون في الأمة من مقصرين في عمل الصالحات، فإن تلك المنافع عائدة على مجموع الأمة. وكذلك استغراق الصالحات – أي عمل معظم الصالحات ومهماتها ومراجعها، مما يعود إلى تحقيق كليات الشريعة – أيضا استغراق عرفي[٢].

وجَرْيِ حالة مجتمع الأمة على مسلك الاستقامة، بحسن التصرف في العلاقة المدنية بين الأمة، يكون على حسب ما أمر به الدين أفراد الأمة، كُلٌ فيما هو من عمل: الخليفة فمن دونه، وذلك في غالب أحوال تصرفاتهم، ولا التفات إلى الفلتات المناقضة، فإنها معفو عنها إذا لم يسترسل عليها، وإذا ما وقع السعي في تداركه.[٣].

علة ربط الإيمان بالعمل الصالح

الإيمان هو أصل الحياة الكبير، الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره، وإلا فهو فرع مقطوع من شجرته، صائر إلى ذبول وجفاف، وإلا فهي ثمرة شيطانية، ليس لها امتداد أو دوام. وهو المحور الذي تشد إليه جميع خيوط الحياة الرفيعة، وإلا فهي مفلتة لا تمسك بشيء، ذاهبة بددا مع الأهواء والنزوات. وهو المحور الذي يضم شتات الأعمال، ويردها إلى نظام تتناسق معه وتتعاون، وتنسلك في طريق واحد، وفي حركة واحدة، لها دافع معلوم، ولها هدف مرسوم[٤].

والإيمان قوة دافعة وطاقة مجمعة، فما تكاد حقيقته تستقر في القلب حتى تتحرك لتعمل، ولتحقق ذاتها في الواقع، ولتوائم بين صورتها المضمرة وصورتها الظاهرة. كما أنها تستولي على مصادر الحركة في الكائن البشري كلها، وتدفعها في الطريق[٥].

والله ﷻ اقتضانا المعرفة بالقلب، والإقرار باللسان، فالقلب ملك الجوارح، فإذا عرف ربه فإن الأعضاء تبع له، فإذا أقر الإنسان بالقلب تبعه الإقرار باللسان، لأنه من الجوارح.

والحكمة من الإقرار باللسان: أن الإقرار باللسان عمل كسائر الأعمال، وتارك الإقرار بمنزلة تارك الأعمال، قال ﷻ: ﴿ **قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا** ﴾[٦]. والله ﷻ دعا الخلق إلى أن يعرفوه فيوحدوه بقلوبهم، ولو

---

[١] - أي أن الغالبية من المسلمين يعملون الصالحات. بحيث يكون الصلاح ظاهر في المجتمع، والفساد ضعيف لا يقوى على الظهور.

[٢] - أنظر: نور الوعد الإلهي، ٢- مقدمات فقه التمكين/ المجتمع المسلم.

[٣] - التحرير والتنوير، ٢٨٣/١٨.

[٤] - في ظلال القرآن، ٣٩٦٦/٦.

[٥] - المصدر السابق، ٣٣٥٣/٦.

[٦] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٣٦

اكتفى منهم بذلك لصار ذلك سرا فيما بينهم وبينه، أما إذا أقروا باللسان كان ذلك حجة على الخلق حيث يُعرَف المسلم المعصوم في دمه وماله وعرضه من غيره. ولذلك قال رسول الله ﷺ: **(أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يقولوا: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، فمَن قالَ: لا إلَهَ إلّا اللَّهُ، فقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ ومالَهُ، إلّا بحَقِّهِ وحِسابُهُ على اللَّه)** [1].

أما حكمة العمل، فإن الخلق لما عرفوا الله ﷻ بقلوبهم، وأظهروا كلمة التوحيد نطقا بها، اقتضاهم ذلك الوفاء بها، بالأعمال. ومنهم من اعترف باللسان وهو منافق، ومنهم من اعترف وعرف بقلبه، ثم زاغ ببعض الأهواء، ومنهم من عرف بقلبه، واعترف به، ثم قصر في أمره ونهيه، ولا يظهر أهل الثواب والعقاب إلا بالعمل.

ويوم القيامة لا يظهر عدل الله ﷻ إلا بالجزاء على العمل، فإن كان الجزاء بدون عمل لم يظهر عدل الله ﷻ في حكمه يوم القيامة. كما أن إظهار الأعمال الدالة على ما في قلوب الناس، له أثر على العاملين، كقوله ﷻ: ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾[2]، وكقوله ﷺ: **(إنِّي لأعرِفُ أُمَّتي يومَ القيامةِ مِن بيْنِ الأُمَمِ، قالوا: يا نَبيَّ اللهِ، وكيف تَعرِفُ أُمَّتَكَ؟ قال: أعرِفُهم يُؤتَونَ كُتبَهم بأيمانِهم، وأعرِفُهم بسِيماهم في وُجوهِهم مِن أثَرِ السُّجودِ، وأعرِفُهم بنُورِهم يَسعى بيْنَ أيديهم)**[3]. وبفعل الأعمال يبرز ما في الضمائر لله ﷻ، وتظهر منزلة العبد عن ربه، قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ كان يُحِبُّ أنْ يَعلَمَ مَنزِلتَهُ عندَ اللهِ فليَنظُرْ كيف مَنزِلةُ اللهِ عندَهُ؛ فإنَّ اللهَ يُنزِلُ العبدَ منه حيثُ أَنزلَهُ مِن نفسِهِ.)**. أخرجه الحاكم.

ولا يعرف العباد بعضهم من بعض ما في ضمائرهم لله ﷻ، وما في قلوبهم من العلم بالله ﷻ، والمعرفة له، إلا بما يظهر على ألسنتهم من نشر آلائه وكرمه ومننه وأفضاله على عباده. وبما يظهر على أخلاقهم من الإخلاص أو غيره، وعلى أعمالهم من الوفاء أو التضييع، والأمانة أو الخيانة، والأقبال أو الإدبار، والتوجه أو الإعراض، والقرب أو البعد، والجد أو التراخي والكسل[4]، وقال ﷻ: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ** ﴾[5].

---

(١) - صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٩٢.

(٢) - سورة الفتح، الآية رقم: ٢٩

(٣) - مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢١٧٤٠.

(٤) - الحكيم الترمذي: محمد بن على (ت ٣٢٠ هـ)، كتاب إثبات العلل، ت: خالد زَهْري، ط : مكتبة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص: ٧٩:٨٥.

(٥) - سورة محمد، الآية رقم: ٣١

دواعي العمل في سبيل الله ﷻ

١- العمل لله ﷻ حُباً

لا يعرف العبد ربه خالقا، واهبا للحياة، رحمانا مسبغا للنعماء، وإلها قائمه بذاته، لا يكافئه أحد، وليس كمثله شيء، متعاليا عن كل نقص، ومتفردا بكل كمال مطلق، إلا امتلأ حبا له وتوقيرا. والحب يورث شده الولاء، ويبعث على العمل والاجتهاد، قربى إلى المحبوب، وابتغاء لمرضاته، عملا من تلقاء النفس، وطوعها، لا يراقب منفعة مرجوة، ولا تحده مراعاة أجر مرغوب، فما يزال صاحبه في بذل وعطاء، حتى يفرغ جهده، أو ينقضي عمره[١].

وهذا ليس وقفا على خواص العارفين بالله ﷻ، بل يصف كثيرا من مواقف المؤمنين المجاهدين الصادقين، وهم من حُب الله ﷻ يحبون رسوله ﷺ الذي بلغ عنه، وكان إماما للسالكين سبيله[٢].

٢- العمل لله ﷻ شكراً

وللعبد مع ربه شأن آخر يضاعف حبه لله ﷻ، ويحمله على ابتغاء رضوانه والعمل لوجهه، ذلك أنه يقدر نعم الله ﷻ عليه، فلا يكاد يحصيها. والإنسان مجبول على عرفان الجميل لكل من أحسن إليه، ويجد نفسه منساقا بذلك الامتنان إلى أن يشكره، ويؤدي إليه ما يفي بإحسانه. فالمؤمن الشاكر ينهض بهمة ليصدق شكره بالعمل الكثير، ويجد في ذلك تسكينا لنفسه التواقة إلى رد الجميل، ويقوي من عزمه أن الله ﷻ يقابل الشكر بمثله، وأنه شكور حميد، يعد الشاكرين بالمزيل العاجل، ويعد لهم في آجلتهم أجرا عظيما، قال ﷻ: **﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾**[٣]، **﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾**[٤].

والعبد المؤمن لا ينفك يسأل ربه التوفيق إلى أعمال الشكر حتى يكافئ من أفضاله ما يستطيع: **﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعَلى والِدَيَّ وأنْ أعْمَلَ صالِحًا تَرْضاهُ وأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ في عِبادِكَ الصّالِحِينَ ﴾**[٥].

---

[١] - الإيمان أثره في حياة الإنسان، ص: ٦٦.
[٢] - المصدر السابق، ص: ٦٨.
[٣] - سورة إبراهيم، الآية رقم: ٧
[٤] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١٤٥
[٥] - سورة النمل، الآية رقم: ١٩

وهذه المعاني المتقدمة، شعاب من الإيمان، إذا وقرت في الصدر، صدقها العمل، انتهاضا إلى الخيرات، وانحباسا على حدود الله ﷻ[1].

٣- العمل لله ﷻ لأجل الجزاء

لا يكاد الإنسان ينبعث لشيء إلا رجاء لمنفعة يلتذ بها ويسعد، ولا يكاف ينكف دون حاجته إلا خوفا من ضر يؤلمه ويشقيه، ذلك كله بحسب تقديره وترجيحه لاحتمالات وقوع النفع أو الضرر. والفرد في حركته وانضباط سلوكه يدور بين الخوف والرجاء، أما الجماعة فتتخذ مواقف لجلب المصالح المرغوبة، ولدرء المفاسد المخوفة، في تقويمها الغالب، كما تضع سياسات شاملة تتوخى تحقيق المصالح العامة، وتوفيق مصالح الأفراد، ثم تفرض على أفرادها مراعاة تلك المواقف والسياسات بأن تقرنها بإجراءات ترغب الطائعين بالمكافأة، وتردع الخارجين بالغرم والعقاب أو بإجراءات تصلح من جنوح الفرد وتخلفه.

وحاصل الأمر أن الجزاء هو العامل الأساسي الذي يجعل لسلوك الإنسان دافعا ووازعا، مما يثير في نفسه من ترجي السعادة، أو تخوف الشقاء.

والحياة عند المؤمن اختيار وعمل، ثم حساب وجزاء، هذا الجزاء يحدث أثره العظيم على سلوك المؤمن وعلى حياته، حيث يكتنف المؤمن الخوف والرجاء، فيرفعانه إلى معالي المقامات في العمل الصالح، كما يكفانه عن أن ينحط تحت الحدود الدنيا لمقتضى الإيمان، وقد يغلب على بعض الناس الرغب أو الرهب، لكن في الأعم من الأحوال يتلازم الخوف والرجاء، ويتحدا في نفس المؤمن فيورثاه وعيا دقيقا بأنه مختار، ومُبتلى، في كل حركة وسكون، واحساسا مرهفا بأنه مراقب ومسؤول في لكل لمحة ولحظة. فيدفعه ذلك إلى استثمار كل أوقاته، وافراغ كل طاقاته في فضائل العمل، فلا يضيع ساعة من عمره سدى في خوض ولهو لا يغنيه، ولا يعطل شيئا من طاقته بالغفلة والنسيان[2].

---

[1] - الإيمان أثره في حياة الإنسان، ص: ٦٩:٧١.
[2] - الإيمان أثره في حياة الإنسان، ص: ٧٣:٧٧.

الفصل الر ابع : أثر الإيمان والعمل الصالح

على الوعد الإلهي

أولا- أثر العمل الصالح على الإيمان

اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والإيمان يطلق على التصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد، والتقليد من غير كشف، وانشراح صدر، وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم، إلا الخواص، وهذا الاعتقاد عقدة عن القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي، كالعقدة على الخيط مثلاً. فالتفاوت إنما يكون في شدة التصميم.

والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ **فزادتهم إيماناً** ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ **ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾[2]، وذلك بتأثير الطاعات في القلب، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور، وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الإيمان.[3]

أ- زيادة الإيمان بالعمل الصالح

الإيمان نعمة ربانية عظمى، ومنحة إلهية حبيبة لطيفة، مرغوبة من قبل من يعيها ويعرف قيمتها، ويدرك أهميتها ويتذوق لذتها. ورغم ثبات ورسوخ الإيمان في قلب صاحبه، إلا أن الله ﷻ قدر أن يتأثر هذا الإيمان بالظروف والأحوال والملابسات والأجواء المحيطة به وبصاحبه. لذلك يطلب هذا الإيمان من صاحبه أن يكون معه وله، وأن يعيش حياته به، وأن يخدمه ويساعده، ويهيئ له الأجواء المناسبة ليعيش فيها، وأن يعد له البيئة الصالحة لينمو فيها، وأن يجهز له العوامل والأسباب الكفيلة بحياته وحيويته وفاعليته، وأن يوجِد له (الوسط الملائم) ليتقوى فيه ويرسخ ويزداد.

ويطلب هذا الإيمان من صاحبه أن يتعاهده ويلاحظه ويحرسه باستمرار من الأمراض والآفات التي قد تضر به، وأن يبتعد عن الذنوب والمعاصي التي قد تؤذيه أو تنقصه. وألا يقترب من الكفر أو الشرك أو الظلم أو النفاق الذي قد يقضي على هذا الإيمان ويزيله.

---

(1) - سورة التوبة، الآية رقم: ١٢٤

(2) - سورة الفتح، الآية رقم: ٤

(3) - الغزالي: محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، إحياء علوم الدين، ط: دار المعرفة – بيروت، ١٢٠/١.

فالإيمان اشبه بالشجرة التي تغرس في الأرض، فإذا أراد لها صاحبها الحياة والقوة والثمر والعطاء، فلا بد أن يتعاهدها منذ غرسها، ويهيئ لها الوسط الملائم والتربة الخصبة، وأن يبعد عنها الشوائب الضارة، ويحرسها من المعتدين، ويديم خدمتها حتى تضرب جذورها في أعماق الأرض وتمتد فروعها في السماء، ثم تقدم الثمر الطيب والعطاء النافع. فالشجرة لا تعطي من غرسها إلا بعدما يعطيها، وإلا بعدما يمنحها، وإلا بعدما يخدمها، ولا تقدم له زادا إلا بعدما يقدم لها زادها.

والإيمان يزيد في قلب وحياة صاحبه، حتى يملأه نورا يضيئ حياته، ويكون هو قد تمثل الإيمان عمليا في حياته، وتجسد الإيمان به وحل في كيانه كله: كلامه، ونظره، وسمعه، وذهنه، وقيامه، وقعوده، ونومه، ويقظته وكل حركاته وسكناته وأنفاسه تكون كلها إيمان. ومن هنا فإن تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ناتج عن تفاضلهم في الإيمان، فمن زاد إيمانه زادت أعماله وحسناته، ومن نقص إيمانه نقصت حسناته ووقع في السيئات. وإن كان في كل خير [١].

وهذا الإيمان لا يؤخذ أو يُتلقى تلقيا ذهنيا باردا في محاضرات نظرية ثقافية، بل أنه لا يرسخ في القلب، ولا يزداد فيه، ولا يؤثر في الكيان إلا إذا أخذه صاحبه من ميدان الحركة والعمل والسعي، ومن مواجهة الناس، والتفاعل من الأحداث، والتأثير في المجتمع، وهكذا تلقى الصحابة إيمانهم وهكذا عاشوا به، وبهذا زاد عندهم، ولا طريق إلا هذه الطريق التي خطها الرسول ﷺ، للمؤمنين من بعده[٢].

ب- أسباب نقصان الإيمان

من أهم أسباب نقصان الإيمان ما يلي:

١- المعاصي

أي المعاصي على اختلاف أنواعها وأشكالها ودرجاتها، الصغائر منها والكبائر، الفردية منها والجماعية، الشخصية منها والعامة، القلبية منها والبدنية، السلوكية منها والعبادية. فكل معصية يقترفها الإنسان يُنكت في قلبه نكتة سوداء، وكلما زادت المعاصي زادت النقط السوداء في القلب. فالمعاصي والإيمان لا يجتمعان في قلب المؤمن، فإذا أشرق قلبه بالإيمان تجنب المعاصي، وإذا أقبل على المعاصي علمنا أن إيمانه ناقص

[١] ـ في ظلال الإيمان، ص: ١٠٣:١٠٦.
[٢] ـ المصدر السابق، ص: ١١٨.

ضعيف عاجز عن الحياة والقوة والتأثير[1]. قالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **(تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتّى تَصِيرَ على قَلْبَيْنِ، على أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ.)**[2]

٢- الشبهات

الشبهات قد ترد على تصور المسلم عن الألوهية والربوبية، وعن أسماء الله ﷻ وصفاته، وعن الإيمان وأركانه. وتأثره بهذه الشبهات التي يثيرها الكافرون، يجعل إيمانه يتناقص في قبله، إذا اقتنع بضلالاتهم، وقد يخرج الإيمان من قلبه لأنه لا يجتمع مع نتاج الجاهلين الكافرين[3].

٣- الشهوات

قد يرتكب المؤمن الشهوات، أو ترد على قلبه وحواسه وجوارحه وخواطره وتصوره، بما يزينه له الشياطين والكافرين، ويدغدغون لها النفوس المريضة، والقلوب المضطربة، والخيالات المنحرفة، فإذا سقط المسلم في هذه الشهوات، فإن هذا يتناقض مع إيمانه. وإذا لم يمارسها، ولكن هيجت عليه تصوره، وأحاسيسه ومشاعره وخياله، وملأت عليه لحظات تفكيره وأوقات تأمله، وخطرات خياله وهواجس نفسه، فإنها كذلك تنقص إيمانه[4].

٤- التنازل عن المستوى الإيماني

الله ﷻ يطلب من المؤمنين الاتصاف بصفات الشخصية الإسلامية المؤمنة، التي تساعدهم على زيادة إيمانهم، وهي أيضا ثمرة لزيادة الإيمان، ومن لوازمه. هذه الصفات: كالصدق، والأمانة، والوفاء والإخلاص، والمحبة والرضى، والولاء والعزة، والأنفة والإقدام، والجرأة والاستعلاء، والجهد والتميز، وغيرها. وترك أي واحدة منها يعني خللا في البناء الأخلاقي للمسلم، وتشوها في شخصيته الإسلامية المنشودة. وأي تخلق بنقيضها يعني ضعفا في الإيمان، وانحيازا إلى جانب الشيطان[5].

---

[1] - في ظلال الإيمان، ص: ١٢٤.
[2] - صحيح مسلم، حديث رقم: ١٤٤.
[3] - في ظلال الإيمان، ص: ١٢٥.
[4] - المصدر السابق، ص: ١٢٥.
[5] - في ظلال الإيمان، ص: ١٢٦.

٥- ترك العمل الجاد للإسلام

ترك العمل الجاد للإسلام، والتخلف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخلي عن الحركة بالإسلام، وعدم مجاهدة أعداء الإسلام، وعدم رفع راية الحق، ودعوة المهتدين للانضواء تحتها والانحياز إليها، والرغبة في القعود البارد، والاعتزال الميت، والاعتكاف البليد، وإيثار الراحة والسلامة على الحركة والسعي والجهاد، وضعف الهمة وقعود الإرادة، وجبن النفس، كل هذا ينقص الإيمان ويجمده في خانة الذهن النظري الجامد[١].

ثانيا- أثر زيادة ونقصان الإيمان والعمل الصالح على الوعد الإلهي

ذكرنا أن سبب الوعد الإلهي بالاستخلاف هو تحقق الإيمان والعمل الصالح فيمن يريدونه، وإذا انتفى الإيمان والعمل الصالح، أو ضعف عن الحد الأدنى الجمعي المطلوب في الأمة، لم يوجد وعد إلهي.

والإيمان كما سبق له معان وآثار بينَّها الشرع في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة منها أن يكون المسلم محكوما بأحكام الإسلام في جميع شؤونه وتصرفاته، وفيما يأخذه ويتركه، وفي أقواله وأحواله وأعماله القلبية، وأن يعمل الصالحات التي أمر بها الشرع.

وقد تنقص بعض هذه المعاني في المسلمين فينقص استحقاقهم في الاستخلاف الذي وعدهم الله ﷻ به، فيكون لهم بعض معاني الاستخلاف لا كلها. وعلى هذا لا تتحقق لهم كل معاني الاستخلاف من الغلبة والانتصار على الأعداء ونزع السلطة من أيديهم، وإقامة شؤون الدولة والمجتمع، حسب أحكام الإسلام والتمتع بكامل الأمن والاطمئنان[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾: " فهذا الوعد مناسب لكل من اتصف بهذا الوصف (الإيمان والعمل الصالح). فلما اتصف به الأولون استخلفهم الله ﷻ كما وعد. وقد اتصف بعدهم به قوم بحسب إيمانهم وعملهم الصالح. فمن كان أكمل إيمانا وعمل صالحا كان استخلافه المذكور أتم. فإن كان فيه نقص وخلل كان في تمكينه خلل ونقص. وذلك أن هذا جزاء هذا العمل فمن قام بذلك العمل استحق ذلك الجزاء"[٣].

---

[١] - المصدر السابق، ص: ١٢٦.
[٢] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٨٠.
[٣] - مجموع الفتاوى، ٣٠٢/١٨.

وقال الإمام ابن كثير، وهو يتكلم عن الآية السابقة: " فالصحابة ﷺ، لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله ﷻ، وأطوعهم لله ﷻ، كان نصرهم بحسبهم، وأظهروا كلمة الله ﷻ في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييدا عظيما، وتحكموا في سائر العباد والبلاد. ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر، نقص ظهورهم بحسبهم "[١]. أي بحسب ما عندهم من الإيمان والعمل الصالح، وقيامهم بأوامر الله ﷻ[٢].

---

[١] - تفسير القرآن العظيم – ابن كثير، ٧٤/٦.

[٢] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٨٠.

الباب الرابع

مقاصد وغايات الوعد الإلهي

الفصل الأول – ماهية المقاصد

الفصل الأول – ماهية المقاصد

المقاصد في اللغة

المَقاصِد في اللغة جمع (مَقْصِد)، وهي الغايات والأهداف. ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها[١]. والمقاصد والحكمة يترادفان ويتماثلان في الإطلاق والتعبير في أغلب الأحيان[٢].

المقاصد الشرعية لابد لها من دليل

لم يخلق الله ﷻ شيئا صغيرا أو كبيرا، ظاهرا أو خفيا، إلا وله مقصد وحكمة وغاية، ولم يعط شيئا ولا منعه، ولا قلله أو كثره، إلا لمقصد وحكمة وغاية، وهو ﷻ لم يجعل شيئا على نحو معين إلا لمقصد وحكمة وغاية، ولم يأمر بشيء أو ينهى عنه إلا لمقصد وحكمة وغاية، وليس فيما خلقه الله ﷻ وقدره، ولا فيما حكم به وقرره، شيء بلا حكمة أو بلا قصد، أو بلا وظيفة. وكذلك في كل ما أمر به وما نهى عنه، وما حلله وما حرمه، وما وضعه من تحديد أو تقييد أو شرط أو ضبط. عُرف ذلك أو لم يُعرف[٣]. قال ﷻ: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾[٤]، ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ** ﴾[٥]. لذلك فإن علينا أن نتعامل بالفكر المقاصدي، الذي يستحضر فكرة المقصد أو المقاصد، في تلقيه وتعامله مع كل ما صدر عن الله ﷻ[٦].

لكن لا يمكننا أن ننسب مقصد من المقاصد إلى الله ﷻ إلا بدليل، لأنه كنسبة قول أو حُكم إلى الله ﷻ؛ لأن الشريعة شريعته، والقصد قصده، والقول بغير إقامة الدليل على ذلك هو قول على الله ﷻ بغير علم، وبغير حق[٧]، قال ﷻ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[٨].

---

[١] - معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (ق ص د)، ٣/١٨٢٠.

[٢] - الخادمي: نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، ط: مكتبة العبيكان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ص: ٢١.

[٣] - الريسوني: أحمد، الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، ط: جريدة الزمان، سلسلة: كتاب الجيب، ديسمبر ١٩٩٩م، ص: ٣٩:٤١.

[٤] - سورة الفرقان، الآية رقم: ٢

[٥] - سورة الدخان، الآية رقم: ٣٨

[٦] - الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، ص: ٤٢.

[٧] - المصدر السابق، ص: ٥٩.

[٨] - سورة الأعراف، الآية رقم: ٣٣

مقاصد الوعد الإلهي

يشير قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾ إلى أن هذه الأمور هي مقصد رباني، ووعد إلهي. ومن أمثال ذلك، قوله ﷻ: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾[1]، وقوله ﷻ: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

والمقاصد الشرعية لها أقسام، منها ما يتصل بنظام العالم والمجتمعات، وما تتطلبه من مصالح، كحفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان، وصلاح العالم مقصود للشارع، وهو منة كبرى يمن الله ﷻ بها على عباده الصالحين جزاء لهم، قال ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾. ومن أهم مقاصد الشريعة في انتظام أمر الأمة: صلاح أحوال المجموع، وانتظام أمر الجامعة، فهذا أسمى وأعظم من صلاح حال الأفراد وانتظام أمورهم. وأيضا من المقاصد ما هو راجع إلى دور الحكومة في الإسلام وتطبيق أحكامه، كإقامة الإمامة، وهكذا[3].

ومن أهم مقاصد الشريعة الخاصة بالأمة:

أ- تدعيم معنى الخلافة الخاصة بالأمة الإسلامية (في إطار الخلافة العامة لجنس الإنسان).

ب- حفظ الدين والأخلاق.

ج- حفظ الأمن: ويشمل حفظ الأمن الداخلي والأمن الخارجي[4].

وهذه الأمور هي عين ما وعد الله ﷻ المؤمنين الذين يعملون الصالحات:

---

[1] - سورة القصص، الآيات: ٥،٦

[2] - سورة الروم، الآية رقم: ٤٧

[3] - ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الطاهر (ت ١٣٩٣ هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م ، ٢/ ٤٨٠:٤٨٢.

[4] - عطية: جمال الدين، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، صادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (١٧)، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سورية، رجب ١٤٢٢ هـ - أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م، ص: ١٢٢.

أ- يستخلفنهم كما استخلف الذين من قبلهم. عن طريق الحكم والسلطة المتجسدة في خلافة على منهاج النبوة.

ب- وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى له. (منهج للاستخلاف).

ج- وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا (الأمن الشامل)، كنتيجة للاستخلاف وتمكين الدين، وكسبب مفضي إلى إقامة الحضارة الإسلامية على أساس التوحيد، والتي تؤهل الأمة الإسلامية للشهود الحضاري على الأمم الأخرى.

أهمية العلم بمقاصد الوعد الإلهي

وترجع أهمية العلم بمقاصد الوعد الإلهي، إلى عدة أمور، منها:

١- العلم بالمقاصد يفيد أيما إفادة في الفهم الصحيح أولا، ثم في التطبيق العملي الرشيد المبني على هذا الفهم ثانيا، بحيث يكون كل من الفهم والتطبيق مفضيا إلى تحقيق الهدف المقصود الذي ابتغاه الله ﷻ، وحينما يكون المقصد مجهولا أو مختلطا غير محرر فإن الفهم قد يفقد دليله الموجِه وكذلك التطبيق، فلا تتحقق الغاية[١].

٢- العلم بالمقاصد، أمر بالغ الأهمية لكل مسلم مهما كانت اختصاصه العلمي، ومهما كان نشاطه في الحياة العملية؛ وذلك لأن كل مختص في علم من العلوم، وكل مباشر لعمل من الأعمال – عظم أو صغر – يجب أن تكون آراؤه في اختصاصه وتطبيقاته في أعماله جارية وفق فهم المقاصد[٢].

٣- العلم بالمقاصد يولد همة ونشاطا، وسرعة في الامتثال للأمر، وإذا وجد العامل في العمل شيئا من المشقة صبر عليها، فإنه (من عرف ما قصَد هان عليه ما وجد)، كما يعينه ذلك على المداومة على العمل والاستقامة فيه، بينما تجد من غابت عنه المقاصد عرضة للتلكؤ والسآمة والضجر من الأعمال ثم الانقطاع عنها[٣].

---

[١] - النجار: عبد المجيد، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ط: دار الغرب الإسلامي, ٢٠٠٨ م، ص: ١٩،١٨.

[٢] - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: ٢١.

[٣] - عبد القادر: معن، ثمرات العلم بمقاصد الشريعة، مقال منشور على موقع مجلة رواء، العدد الخامس، ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٠. https://rawaamagazine.com/ثمرات-العلم-بمقاصد-الشريعة/

٤- العلم بالمقاصد يفتح آفاقا في الدعوة ويعين على إظهار محاسن الدين، وتفنيد الشبهات والافتراءات التي تفترى عليه، ويجعل المسلم في موقع الاعتزاز والفخر والثقة بالدين[١].

---

[١] - ثمرات العلم بمقاصد الشريعة، (مقال).

الفصل الثاني: مقصد استخلاف الأمة الإسلامية

معنى الاستخلاف في الأرض

قال تعالى: ﴿ **لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ** ﴾.

﴿ **لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ** ﴾ أي ليجعلنهم خلفاء الأرض، الذين لهم السيطرة فيها، ونفوذ الكلمة. متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم، أو خلفاء من الذين كانوا يخافونهم من الكفرة، بأن ينصرهم عليهم ويورثهم أرضهم [١]. وهذا الاستخلاف الموعود أكبر وأعظم من مجرد سلطة وسيطرة دنيوية، لأنها قد تُعطَى للكافر، قال تعالى: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُوما مَّدۡحُورا**﴾ [٢].

ومكان الاستخلاف: ﴿**في الأرْضِ**﴾، وهي كل الأرض، لأن كلمة "الأرض" إذا جاءت مفردة غير مضافة لشيء فتعني كل الأرض كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسكنوا الأرض** ﴾ [٣]–[٤].

والاستخلاف ليس مستحدث، فقد استخلف الله ﷻ في أرضه: ﴿ **ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ** ﴾، فلا يُخّصُّ ذلك ببني إسرائيل ولا أمة من الأمم دون غيرها [٥].

وقد حكى الله ﷻ قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿ **عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ [٦]. وقال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [٧]. وقال ﷻ حاكيا عن ذي القرنين: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾ [٨].

---

[١] - روح المعاني، ٣٩٣/٩.

[٢] – سورة الإسراء، الآية: ١٨

[٣] – سورة الإسراء، الآية: ١٠٤

[٤] - تفسير الشعراوي، ١٠٣٢٤/١٧.

[٥] - الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ)، فتح القدير، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق – بيروت، ١٤١٤ هـ، ٤/ ٥٥.

[٦] – سورة الأعراف، الآية: ١٢٩

[٧] – سورة القصص، الآيات: ٥،٦

[٨] – سورة الكهف، الآية: ٨٤

الاستخلاف العام في الأرض

إذا كانت المقاصد هي الغايات، فإن الغاية من خلق الإنسان هي أن يكون خليفة في الأرض: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[1]، خلافة قائمة على العبادة الشاملة: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2]، وإذا كانت هذه الخلافة لا يمكن للإنسان تحقيقها إلا بأن يكون الإنسان الفرد منتظما ضمن هيئة جماعية، فإن المقصد الأعلى للشريعة الإسلامية هو تمكين الإنسان من تحقيق ما فيه خيره ومصلحته بتحقيق غاية وجوده، وهي الخلافة في الأرض، وذلك بصلاح الذات الفردية والهيئة الاجتماعية بما يفضي إلى سعادته في الدنيا والآخرة[3]. فالخلافة أو الاستخلاف في الأرض، هي الوظيفة الوجودية للإنسان في الأرض التي من أجلها خُلق، وبها فُضل على كثير من خلق الله ﷻ تفضيلا، بما لها من أبعاد ومدلولات حضارية[4]. وهذا الاستخلاف هو استخلاف عام.

مقصد الوعد الإلهي باستخلاف الأمة الإسلامية

إذا كان استخلاف الإنسان في الأرض هو الاستخلاف العام، فإن الاستخلاف في الحكم هو الاستخلاف الخاص، وهو نوعان: استخلاف الدول واستخلاف الأفراد. والاستخلاف في الحكم بنوعيه مِنَّة أخرى يمنها الله ﷻ على من يشاء من عباده، أمما وأفرادا بعد أن من عليهم بنعمة الاستخلاف في الأرض[5]، قال ﷻ: ﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ﴾[6]. وقال: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[7]. وتجري في ذلك سنة الله ﷻ في استخلاف الدول والأفراد: أن يستخلف الأمة ما كانت أهلا للاستخلاف، وأن يستخلف الأفراد ما كانوا أهلا لذلك، يبتليهم جميعا فيما آتاهم[8].

---

[1] - سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠

[2] - سورة الذاريات، الآية رقم: ٥٦

[3] - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: ١٦،١٧.

[4] - زرمان: محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم – دلالاتها وأبعادها الحضارية، بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، - جامعة قطر، العدد ١٦، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م ، ص: ١٩٧.

[5] - عودة: عبد القادر (ت ١٣٧٣ هـ)، الإسلام وأوضاعنا السياسية، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ص: ١٨.

[6] - سورة القصص، الآية رقم: ٥

[7] - سورة السجدة، الآية رقم: ٢٤

[8] - الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ٢٠.

١ – استخلاف الدولة

القرآن الكريم يربط مفهوم الخلافة، ومهمة الاستخلاف بالأمة والجماعة قبل ربطها بالفرد، فبينما يستخدم القرآن لفظ (خليفة) في موضع واحد للإشارة إلى الدور المعهود إلى داود عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ** ﴾[١]، يستخدم المصطلح نفسه في موضعين آخرين للدلالة على مهمة الجماعة أو الأمة بأكملها، في قوله ﷻ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٢] في إشارة إلى مهمة نوع الإنسان، و في قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾[٣]، في سياق حديثه عن دور الجماعة، لا الفرد[٤].

واستخلاف الدول معناه الأول: تحرير الأمة الإسلامية، واستقلالها بحكم نفسها، وجعلها دولة لها من السلطان ما يحمي مصالح الأمة الإسلامية، وَيُعْلِي كلمتها، ومعناه الثاني: اتساع سلطان الدولة حتى يشمل فوق أبناء الأمة أممًا وشعوبًا أخرى[٥].

وهذا الاستخلاف يتجسد في عصرنا الحديث في إقامة خلافة على منهاج النبوة – بعد تحرير الأمة، استرشادا ببشرى النبي ﷺ: فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَال كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، فقال يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ :أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ :قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**)" ثُمَّ سَكَتَ[٦].

فقد انتهى دور من أدوار الخلافة بسقوط الدولة العثمانية، ومن واجب المسلمين العمل لبدء دور جديد لها. وحقيقة الخلافة أنها قيادة عامة للأمة الإسلامية، تمثل وحدتها، وتحفظ كيانها، وتذب عنها الأخطار، وتحقق

---

[١] - سورة ص، الآية رقم: ٢٦

[٢] - سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠

[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

[٤] - صافي: لؤي، العقيدة والسياسة، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (١١)، الصادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ص: ١٠٧.

[٥] - الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ١٩.

[٦] ــ سبق تخريجه

مصالحها المشتركة، وتنفذ مبادئ الإسلام. فهي تقوم على أساس الإسلام، وتنفذ شريعته، وتحفظ أوطان الإسلام، وتدافع عن أهله، وتعمل لنشر رسالته في العالم.

ولا يشترط في العصر الحديث أن توجد دولة واحدة، بسبب التغيرات السياسية الحاصلة، وخاصة أن علماء الإسلام قد أجازوا تعدد الحكومات أو الدول الإسلامية، وليس من الشرط أن تنحصر السلطة في فرد أو شخص أو أسرة. والذي يوجبه الإسلام في العلاقات بين دوله هو أن تتحقق الفروض والأصول الأساسية، وهي الاتحاد في أي صورة عملية بين المسلمين وأن يقيموا دولتهم على أساس الشورى وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يقوموا متضامنين بواجب الجهاد، وأن يعملوا لرقي الجماعات بالتزام الفضائل والدعوة إلى الموروث ومنع الرذائل أو إزالة المنكرات، وأن يبذلوا الجهد لنشر رسالة الإسلام بين العالمين[١].

وهذا الاستخلاف وإن كان بإذن الله ﷻ وبأمره مِنّة يَمُنّ بها على الأمم، إلا أن للاستخلاف مسبباته التي تباشرها الأمم والشعوب فتؤهلهم للاستخلاف، وتمكن لهم في الأرض، وتتم بذلك سنة الله ﷻ في خلقه ولن تجد لسنته تحويلا. فلا يمكن أن يجيء الاستخلاف اعتباطا وبلا عمل، وإنما يجيء نتيجة العمل الشاق والجهد المستمر[٢].

وإذا كانت الخلافة على منهاج النبوة تستدعي وجود خليفة صالح، فإنها تستدعي قبل ذلك: مجتمعات إسلامية، ملتزمة بالإسلام الكامل الشامل، والتوحيد الصحيح، فيخرج منها مثل هذا الخليفة، وتكون عونا له، لا حربا عليه[٣]. وهذا يدعونا إلى دراسة الصفات الواجب توافرها في المجتمع المسلم، والصفات الواجب توافرها في المرشح للخلافة، ومن يقومون باختياره، حتى نسعى في تحقيق هذه الصفات، طلبا للتمكين. فهذا الاستخلاف للمؤمنين سنة للحياة في الأرض، إن لم يتحقق فعلينا أن نراجع أنفسنا: هل حققنا الشروط كلها؟[٤]

٢– استخلاف الأفراد

استخلاف الأفراد: وهو الاستخلاف في الرئاسة وقد يُسَمى المُستخلَف (خليفة) كما سُمي النبي داوود عليه السلام: ﴿ **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ**

---

(١) ـ النظريات السياسية الإسلامية، ص: ٢٠٨:٢١٤.

(٢) ـ الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ١٩.

(٣) ـ انظر كتابنا: نور الوعد الإلهي، ٢- مقدمات فقه التمكين، المجتمع المسلم.

(٤) ـ من هَدْي سورة النور، ص: ١٢٥.

سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1]. وقد يُسمى المُستخلَف (إماما) كما سُمي بعض رؤساء بني إسرائيل: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾[2]. وقد يُسَمى (مَلِكا): ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا** ﴾[3]-[4].

وقد تسمى رئاسة الدولة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا، بالخلافة، أو إمارة المؤمنين، أو الإمامة العظمى[5]. وقد سُمي أبو بكر ﷺ (خليفة)، ثم سُمي عمر بن الخطاب ﷺ، والخلفاء من بعده : (أمير المؤمنين) [6]. لكن لا يعني ذلك أن الرئيس الأعلى للدولة في الإسلام يجب أن يلقب بأحد هذه الألقاب حتى يصير هذا المنصب إسلاميا. إنما المهم في هذا المجال أن يكون المسلمون ورئيسهم خاضعين لقانون الإسلام حتى يمكن أن يوصف النظام بأنه نظام إسلامي، بغض النظر عن الألقاب التي يمكن أن تطلق على هذا الرئيس[7].

ميدان الاستخلاف

حرف الظرفية ﴿ **فِي** ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾[8] يوحي باستقرار الاستخلاف، وتمكنه وشموله معظم الأرض؛ ولذا قيد هذا الاستخلاف بالجار والمجرور في قوله ﷻ: ﴿ **فِي الْأَرْضِ** ﴾ ولم يأتي مطلقاً فيقال: (ليستخلفنهم). ووصف الاستخلاف بقوله ﷻ: ﴿ **كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾؛ لتأكيد الوعد، وللإشعار بتحقق وقوعه، حيث كان له نظير من قبل في الأمم المؤمنة السابقة. وقد دلت (مِن) في قوله ﷻ: ﴿ **مِنْ قَبْلِهِمْ** ﴾ على توغل تحقق وعد الله ﷻ في القِدَم، حيث تحقق لأمم مؤمنة سبقت أمة الإسلام بأزمنة سحيقة. وقُدم الاستخلاف في الأرض وهو أدنى مرتبة، على تمكين الدين، وهو من أعظم الغايات، وأجل الرغائب، لأن النفوس البشرية تميل إلى الحظوظ العاجلة، فتصدير الوعد به أكثر استمالة للنفوس، وأشد ترغيباً لها[9].

---

[1] ـ سورة ص، الآية رقم: ٢٦

[2] ـ سورة الأنبياء، الآية رقم: ٧٣

[3] ـ سورة البقرة، الآية رقم: ٢٤٧

[4] ـ الإسلام وأوضاعنا السياسية ، ص: ٢٠،١٩.

[5] ـ رضا: محمد رشيد، الخلافة، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ص: ١٤.

[6] ـ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، ت: حمدي الدمرداش، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م، ص: ١١١. (ش)

[7]ـ عثمان: محمد رأفت، رياسة الدولة في الفقه الإسلامي، ط: دار الكتاب الجامعي، ١٩٧٥م، ص: ٤٨.

[8] ـ سورة النور، الآية رقم: ٥٥

[9] ـ من كنوز البلاغة القرآنية، (مقال).

أهمية إقامة دولة للإسلام

إقامة دولة للإسلام أمر بالغ الأهمية، حيث يستطيع المسلمون أن يعيشوا دينهم الكامل الشامل في حياتهم، بشكل طبيعي. والواقع المعاصر يؤكد ذلك: فالذين يعيشون في دول غير مسلمة لا يتمكنون من العيش الإسلامي الشامل في حياتهم، والذين يعيشون في دول إسلامية لا تطبق الإسلام لديهم نفس المعاناة، مع اختلاف في الشدة من بلد إلى آخر. ولعل الترتيب في الآية يدل على ذلك، فلا تمكين للدين إلا بالاستخلاف والحكم، ولا أمن حقيقي إلا بالحكم الإسلامي، وتمكين الدين. وفيما يلي بعض الأسباب التي تؤكد أهمية إقامة دولة للإسلام:

١- إذا كان الإسلام في حقيقته عقيدة ونظامًا، فإن طبيعته تقتضيه أن يكون حُكمًا، ذلك أن قيام العقيدة يقتضي قيام النظام الذي أُعد لخدمتها، ولا يمكن أن يقوم النظام الإسلامي إلا في ظل حكم إسلامي يماشي النظام الإسلامي ويؤازره، إذ أن كل حكم غير إسلامي لا بد أن يؤدي إلى تعطيل النظام الإسلامي، وإذا كان قيام النظام الإسلامي يقتضي قيام حكم إسلامي فمعنى ذلك أن الحكم الإسلامي من مقتضيات الإسلام أو هو من طبيعة الإسلام[١].

٢- أكثر ما جاء به الإسلام لا يدخل تنفيذه في اختصاص الأفراد، وإنما هو اختصاص الحكومات، وهذا وحده يقطع بأن الحكم من طبيعة الإسلام ومقتضياته، وأن الإسلام دين ودولة، بلا تفرقة بينهما، فقد مزج الإسلام بينهما، حتى أصبحت الدولة في الإسلام هي الدين، وأصبح الدين في الإسلام هو الدولة، والدولة المثالية في الإسلام هي الدولة التي تقيم أمور الدنيا بأمر الدين، فتأخذ رعاياها بما أمر الله ﷻ، وتمنعهم عما نهى الله ﷻ ، فالدين في الإسلام ضروري للدولة، والدولة ضرورة من ضرورات الدين، فلا يقام بغير الدولة، ولا تصلح الدولة بغير الدين[٢].

٣- الذي يحفظ كل المصالح الشرعية، ويحقق كل المقاصد الشرعية، هو إقامة الإمامة العظمى، أي إقامة الدولة الإسلامية الشرعية، فهي الأساس لكل ما عداها، الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض. وإقامتها من الفروض الكِفائية، وقالوا عنها: " إنها من الحقوق المشتركة بين الله والعباد": أي أن إقامتها حق لله ﷻ وحق للأمة، لأنها ستنظر في كل الحقوق [٣].

---

[١] - الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: ٧٩.
[٢] - المصدر السابق، ص: ٨٠،٨٣..
[٣] - النظريات السياسية الإسلامية، ص: ٣١١.

الفصل الثالث: مقصد تمكين الدين

الوعد الإلهي بتمكين الدين

قال ﷻ: ﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارتضى لَهُمْ** ﴾

أعطاهم فوق "الاستخلاف: (تمكين الدين) ، أي تمكينه في القلوب، وتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها[١]، أي: سيطرته على حركة الحياة، فلا يصدر من أمور الحياة أمر إلا في ضوئه وعلى هَدْيه، لا أن يكون ديناً مُعطّلاً كما نُعطِّله نحن اليوم، فتمكين الدين يعني توظيفه وقيامه بدوره في حركة الحياة تنظيماً وصيانة [٢]. قال الآلوسي: " والمعنى: ليجعلن دينهم ثابتا مقررا؛ بأن يعلي سبحانه شأنه، ويقوي بتأييده تعالى أركانه، ويُعظِّم أهله في نفوس أعدائهم الذين يستغرقون النهار والليل في التدبير لإطفاء أنواره، ويستنهضون الرَّجُلَ والخيل للتوصل إلى إعفاء آثاره، فيكونون بحيث ييأسون من التجمع لتفريقهم عنه ليذهب من البين، ولا تكاد تحدثهم أنفسهم بالحيلولة بينهم وبينه ليعود أثرا بعد عين" [٣].

وإضافة الدين إلى الضمير (**هم**) لتشريفهم به لأنه دين الله ﷻ، الذي اختاره ليكون دينهم، فيقتضي ذلك أنه اختارهم أيضا ليكونوا أتباع هذا الدين. وفيه إشارة إلى أن الموصوفين بهذه الصلة هم الذين ينشرون هذا الدين في الأمم لأنه دينهم فيكون تمكنه في الناس بواسطتهم[٤]. فهو ﷻ سيوفر للمؤمنين المدد، والقوة الروحية، للمحافظة على الإيمان، والقيام بالتزاماتهم الدينية.

تعريف الدين

١ – الدين في اللغة

كلمة (الدين) في اللغة العربية تشير إلى وجود رابطة بين طرفين، يُعظم أحدهما الآخر، ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما وإلزاما، وإذا وصفت بها الرابطة الجامعة بين الطرفين كانت عقيدة ومذهبا، وعادة وقانونا ينظم تلك العلاقة.

---

[١] - في ظلال القرآن، ٢٥٢٩/٤.

[٢] - تفسير الشعراوي، ١٠٣٢٤/١٧.

[٣] - روح المعاني، ٣٩٤/٩.

[٤] - التحرير والتنوير، ٢٨٧/١٨.

فمادة (الدين) تدور على معنى لزوم الانقياد وإلزامه، والتزامه كما أن كلمة دَين (بالفتح) تدور حول هذا المعنى، لأن الدائن يعلو المدين، والمدين في موقع الطاعة، والخضوع . وأظهر معاني الدِين في اللغة: الطاعة والخضوع[١].

٢- الدين في الاصطلاح

المعنى اللغوي للدين لا يعطينا تماما المفهوم الذي يعرفه الناس ويستخدمونه في أعرافهم ومصطلحاتهم، وقد عرفه بعض العلماء بتعريفات متقاربة[٢]. وأشهر تعريف تناقله الإسلاميون عن الدين، ما ذكره صاحب كشاف اصطلاحات العلوم والفنون: (وضع إلهي سائق، لذوي العقول السلمية، باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل، وهذا يشتمل العقائد والأعمال)[٣].

فالدين إذن هو ما يحدد العلاقة بين الله ﷻ وخلقه من المكلفين، من حيث معرفته وتوحيده، والإيمان به إيمانا صحيحا بعيدا عن ضلالات الشرك، وأباطيل السحرة، وأوهام العوام، ومن حيث إفراده ﷻ بالعبادة والاستعانة .

ومفهوم كلمة (الدين) ليس هو مفهوم كلمة (الإسلام) إلا إذ أضفنا الدين إلى الإسلام، أو إلى الله ﷻ، فنقول مثلا: (دين الإسلام) أو (دين الله ﷻ)، أو الدين الذي بعث الله ﷻ به خاتم رسله محمد ﷺ، وأنزل به آخر كتبه. لكن إذا ذُكرت كلمة (الدين) مجردة من الإضافة أو الوصف، فهي أضيق مفهوما من كلمة الإسلام، وكلمة (الإسلام) أوسع منها، لأن (الدين) في الحقيقة إنما هو جزء من الإسلام. ولهذا نقول: الإسلام دين ودنيا[٤].

بواعث التدين الفطرية

التدين فطرة في الإنسان، وهو جزء من كيانه ووجوده، مثل بقية الغرائز التي تتكون منها النفس منذ خلقت البشرية، وحتى تقوم الساعة، كغريزة الجنس وحب البقاء والطعام والشراب، وإن التخلي عن إحدى هذه

---

[١] - دراز: محمد عبد الله، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ط: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٦م، ص: ٣٢

[٢] - القرضاوي: يوسف، مفهوم كلمة الدين، مقال على موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي. https://www.al-qaradawi.net/node/٢٠٧٩

[٣] - التهانوي: محمد بن علي بن محمد حامد بن محمد صابر (ت بعد ١١٥٨ هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: د. على دحروج، ترجمة من الفارسية: د. عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية: د. جورج زيناني، ط: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٦م، ٨١٤/١.

[٤] - مفهوم كلمة الدين، (مقال).

الغرائز شذوذ وانحراف بالفطرة والإنسان. والثابت تاريخيا إن فكرة التدين لم تفارق البشرية، ولم تخل منها أمة من الأمم القديمة والحديثة، لأنها نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعا(١).

والإنسان لديه نزعة التطلع إلى الغيب ومحاولة معرفة الحقيقة الرابضة ، ويريد الوصول إلى اليقين أمام مشكلات الكون الكبرى، مهما تقدمت به المدنية، وترقى العلم، لأن العلم عاجز عن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة: لم خُلِق الإنسان؟ ومن خلقه؟ ولم خُلِق الكون؟ ومتى؟ وما هي غاية الإنسان؟ وإلى أين يسير؟ وما هي نهاية الكون؟ وما هو مصير الإنسان؟ وماذا بعد الموت؟

والإنسان أيضا يحتاج إلى قوة جبارة تنقذه من المهالك وتعينه وقت الشدة، ويستغيث بها وقت الضيق، فتنجده وتخرجه من المآزق، وتقدم له العون عند الحاجة.

والخوف أمام هذا الكون العظيم وما يجري فيه، يحرك أحاسيس الإنسان، ويوقظ مداركه، ويدفع عقله – بالغريزة والفطرة – ليبحث عن خالق الكون، فيأنس به، ويطمئن قلبه عنده، ويهدأ روعه وخوفه، ويأمن جانبه، ويعقد أواصر التقرب إليه، ثم يقدم الطاعة والعبادة لعظمته.

ويرى الإنسان الموت الذي يردع الأحياء ويهزهم إلى الأعماق، وينبه فيهم القوى المعطلة، والأجهزة المتجمدة، والإحساس المخدر، ويزيل من أمامهم الحُجُب، ويكشف لهم الطريق، ويذهب الغبش عن العين، فيصحو الإنسان لنفسه، ويتفكر في حياته، ويبحث عن الهدف من الحياة، ويستطلع ما بعد الموت، ويدرك قيمة الحياة الآخرة، وتفاهة الدنيا، وأن الكمال الحقيقي الذي يتفق مع تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات أن تكون نفسه وروحه باقية بعد الموت، وأن لها حياة أخرى يلتقي فيها الأحبة والخلان، وفيها يُحاسب كل إنسان على عمله لتتحقق العدالة المطلقة(٢).

معنى تمكين الدين

تكمين الدين هو تمكين معنوي، يحوز بموجبه الإنسان – مع تمكين الأمن - على أهم الأسس الداعمة للحياة الكريمة، وهي الدين بكل القيم الروحية والخلقية والاجتماعية التي ينطوي عليها، والأمن الذي يضمن له ممارسة سائر حقوقه الطبيعية. ويشكل مع التمكين الحسي المادي (الاستخلاف في الأرض) جميع مظاهر التمكين. وهو بهذا يشمل المعاني الآتية:

(١) - الزحيلي: محمد، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ط: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩١م، ص: ٣١،٣٢.
(٢) - وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص: ٣٢:٤٥.

١- تمكين الدين في القلوب، وتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها. فقد وعدهم الله ﷻ أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض. ودينهم يأمر بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض، ويأمر بعمارة هذه الأرض، والانتفاع بكل ما أودعها الله ﷻ من ثروة، ومن رصيد، ومن طاقة، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله ﷻ[١].

٢- تثبيت قواعد الدين، وإعزاز جانبه، ليترتب على ذلك ثباته واستقراره، وعدم زعزعته بقيام حجة ضده، أو وهن البراهين المؤيدة له.

٣- انتشاره بين الناس، وكثرة متبعيه، والتعبير عن هذا المعنى بالتمكين استعارة تبعية في الفعل، حيث استعير التمكين الذي حقيقته التثبيت والترسيخ لمعنى الشيوع والانتشار، لأنه إذا انتشر لم يُخش عليه الانعدام، فكان كالشيء المثبت المرسخ. وقدم الجار والمجرور (لهم) على المفعول (دينهم) للعناية والاهتمام، وللمسارعة إلى بشارتهم، وللإشارة إلى أن تمكين الدين من المنافع العظيمة للمؤمنين، وفي هذا تشويق لهم إليه، وتحفيز لهم على قبوله عند وروده .

وإضافة الدين إليهم في قوله ﷻ: ﴿ **دِينَهُمُ** ﴾، ثم وصفه بارتضائه لهم: ﴿ **الذي ارتضى لَهُم** ﴾؛ لتشريفهم بالانتساب إلى هذا الدين العظيم، دين الإسلام، لأنه دين الله ﷻ، وفي هذا أيضا استنفار لحميتهم من أجل بذل كل غال ونفيس في سبيل حماية هذا الدين، والذب عن حياضه، ورفع لوائه[٢]. وقوله ﷻ: ﴿ **وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الذي ارتضى لَهُمْ** ﴾ فيه إشارة إلى أن الموصوفين بهذه الصلة هم الذين ينشرون هذا الدين في الأمم؛ لأنه دينهم؛ فيكون تمكنه في الناس بواسطتهم[٣].

تمكين الدين كمقصد للوعد الإلهي

تمكين الدين بالمعنى السابق ذكره هو مقصد للوعد الإلهي، ولعلنا نوضح ذلك فيما يلي:

أولا- الدين منهج الاستخلاف

عندما خلق الله ﷻ الإنسان وكرمه، وفضله على سائر المخلوقات، وكلفه بوظيفة الاستخلاف في الأرض، لم يتركه فوقها وحيدا، يحتكم في حياته إلى عقله القاصر، وغرائزه الجامحة، بل دعمه بالوحي منذ خلق آدم

---

[١] - في ظلال القرآن

[٢] - من كنوز البلاغة القرآنية، (مقال)

[٣] - التحرير والتنوير، ٢٨٧/١٨.

عليه السلام، والذي تمثل في تلك الكلمات المباركات التي تلقاها من ربه بعد هبوطه هو وزوجه إلى الأرض، فكان أول رسول إلى بنيه، يبلغهم كلمة الله سبحانه وتعالى، ووحي السماء. ثم تتالى بعده الأنبياء والرسل، يحملون المنهج الإلهي والكتب السماوية. وقد ختم الله سبحانه وتعالى سائر الأديان بالدين الإسلامي – وشريعته التي نسخت كل الشرائع السابقة – وكان خلاصة الأديان كلها، في وقت بلغت فيه البشرية آخر مراحل تطورها الفكري والاجتماعي.

وكلما كانت عملية الاستخلاف وَفِيّه لهذا المنهج، ملتزمة بتعاليمه منضبطة بمبادئه، كلما أثمر ذلك نتائج مهمة على المستويين الاجتماعي والطبيعي، فيتحقق الاستخلاف في الأرض في أتم صورة – كما رسمها الله سبحانه وتعالى للإنسان[١].

أما إذا تمرد الإنسان على منهج الله سبحانه وتعالى ، وكفر بقيم الوحي، واكتفى بالاحتكام إلى عقله القاصر، والانقياد إلى أهوائه وغرائزه، فإن عملية الاستخلاف ستختل وتضطرب، وتنحرف عن هدفها المرسوم، وتعاكس الفطرة الإنسانية. وكلما ابتعد الإنسان عن الهداية الإلهية، وقطع حباله بخالق الكون، كلما ذاق ألوان الشقاء النفسي، والعذاب الروحي[٢]، قال جل جلاله : ﴿ **قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ** ﴾[٣]. والمعيشة الضنك هي: الضيقة الشديدة بمشكلاتها وهموما، وبما تحيط به الأنفس والصدور من ضواغط مؤلمة مضجرة، ولو كان الإنسان مُوسَّعا عليه في الرزق[٤].

ثانيا– حفظ الدين أهم مقاصد الشرع

حفظ الدين يعد أكبر الكليات الخمس وأرقاها، ومعناه تثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله سبحانه وتعالى ويعارضه، كالبدع ونشر الكفر، والرذيلة والإلحاد، والتهاون في أداء واجبات التكليف[٥].

---

(١) - وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم – دلالاتها وأبعادها الحضارية، ص: ٢١٩،٢٢٠.
(٢) - المصدر السابق، ص: ٢٢٣.
(٣) - سورة طه، الآيتان رقم: ١٢٣،١٢٤
(٤) - الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة (ت ١٤٢٥ هـ)، كواشف زيوف، ط: دار القلم – دمشق ١٤٢١هـ - ١٩٩١م، ص: ٥٥٧.
(٥) - علم المقاصد الشرعية، ص: ٨١.

ثالثا- وظيفة دين الإسلام في حياة الفرد والمجتمع

أ – في حياة الفرد

إن الإسلام جاء ليلبي حاجات الفرد العقلية والنفسية والروحية والجسمية:

١- الناحية العقلية

رعى الإسلام العقل الإنساني رعاية كاملة، وبوأه المكان اللائق به، فلم يهدره ويحط من قيمته، ولم يسخر منه، ولم يؤلهه ولا يقدسه، ولم يحمله فوق طاقته. بل سعى إلى تنميته، وتكريمه، ودعا إلى استعماله في التفكير والبحث والتأمل في الكون، وسبر دقائقه، وكشف أسراره، والاستفادة من خيراته، والتمتع بطيباته التي خلقها الله ﷻ وسخرها للإنسان.

٢- الناحية النفسية

فقد اهتم الإسلام بالنفس الإنسانية، واتجه إليها بالرعاية والتربية والتوجيه، للوصول إلى الكمال النفسي، حتى تسمو العواطف النبيلة، فدع إلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الحميدة، التي تطهر النفس الإنسانية من النقائص والرذائل، وتخفف من الانفعالات السيئة والعواطف المنحرفة، والميول الجامحة. ولم يغفل الدوافع النفسية وسعى إلى تعويد النفس على مقاومة الغرائز الطائشة، والأهواء الفاسدة، وسمح بتلبية الدوافع الفطرية من غير إفراط ولا تفريط. كما عالج الإسلام الأمراض النفسية في الإنسان كالهم والحزن والقلق والياس والخوف والقنوط والتردد والحيرة عن طريق الإيمان بالله ﷻ وأنه الملجأ للإنسان في كل الأحوال.

٣- الناحية الروحية

حيث أن الإسلام هو الغذاء الروحي للإنسان، بما يعقده من صلة بين النفس الإنسانية وبين خالقها في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور، انطلاقا من الإيمان بالله ﷻ والعبادة له، وتحريم الخضوع لغيره. وكون الدين يراعي الناحية الروحية يجعله قوة دافعة للتقدم، لأنه يحرر الإنسان من قيود الذل والخوف والجبن والتردد ويرتفع بالفرد إلا مصاف الكمال والعزة والكرامة. فيتولد للإنسان السلاح الذي يواجه به مصاعب الحياة، ويجابه قوى الشر والبغي، ويحدد موقفه من مظاهر الطبيعة، ويقيم الصلة الوثيقة بالله ﷻ مباشرة، من غير وساطة ولا كهنوت. فتتهذب الروح وتخشع لجلال الله ﷻ وترغب في ثوابه،

وترهب من عقابه، وتخاف من بطشه، وتبتعد بالتالي عن سبل الشر والفساد. ويحدث التوازن بين الجسم والروح والعقل.

٤- الناحية الجسدية

حيث يهتم الإسلام برعاية الجسم رعاية كاملة، بما يدعو إليه من النظافة والطهارة، والندب إلى الرياضة والمبارزة، واعتبار القوة الجسدية ميزة في الإسلام (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ**)[(١)]-[(٢)].

ب – وظيفة الدين في حياة المجتمع

يتكون المجتمع من الأفراد، ومتى تربى الفرد، وكمل عقله، وصَفَت نفسه، وتهذبت روحه، وتقوى جسده، كان المجتمع صالحا وقويا ومهذبا، ولذلك فقد رعى الإسلام المجتمع، وخصه بالتوجيه والتربية والتشريع ليكون مجتمعا فاضلا، وتظهر آثار الدين في المجتمع بما يلي:

١- إقامة الروابط الاجتماعية الحية كلها عن طريق الدين، سواء أكانت على نطاق الأسرة أم على مستوى الوطن، أم على مستوى الأمم والدول والشعوب، وخاصة الروابط المعنوية والأخلاقية، كالتراحم والتعاطف والتكافل والمحبة، والأخوة والتعاون والمساواة، وغير ذلك من المبادئ الأخلاقية، والتشريعات الاجتماعية والأنظمة والأحكام والقوانين العادلة. وذلك لربط الفرد بالمجتمع وغرس شعور الولاء والانتماء إليه في نفس الفرد، ليكون مشاركا في شؤون مجتمع، ومسؤولا فيه في ذات الوقت، وخشية من أن يكون تأثير المجتمع سلبيا أو منحرفا.

٢- يعتبر الدين من أقوى الروابط التي توحد المجتمع، وتدعم كيانه، وتقوي روابطه وتماسكه، وتجعل منه كتلة متراصة، تتعاون على الخير والبر والتقوى والعمل الصالح، وتحافظ على مقوماته، وتدفع عنه غائلة الأعداء، لذلك يصون الدين المجتمع من الغزو الاستعماري، سياسيا، وعسكريا، وفكريا، واقتصاديا، لأن الدين وسيلة إلى تحقيق الانسجام بين الجماعات، بما يقيمه من روابط ووشائج بين أصحاب الدين الواحد وإن تناءت بهم الديار والبلدان والأوطان.

---

(١) - صحيح مسلم، حديث رقم: ٢٤٤٦.

(٢) - وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص: ٥٣:٨١.

٣- الدين سلطان يكفل مهابة النظام الاجتماعي في النفوس ويمنع انتهاك حرماته، بما يمثله من رقيب ذاتي داخلي، حيث يبقى المتدين يشعر بمراقبة الله ﷻ الذي يعلم السر وما تخفي الصدور، فيكون هذا العامل أعظم سلطان يكفل حفظ النظام والأحكام والحقوق.

٤- الدين يحقق التوازن بين الفرد والمجتمع، فلا يطغى الفرد ويستأثر بالحقوق، ولو أدى إلى شقاء المجتمع كما هو الحال في النظام الرأسمالي، ولا يستبد المجتمع بالفرد، ويتحكم فيه ويسلخ منه قيمته وخصائصه وفطرته ووظيفته في الكون، كما تفعل الشيوعية.

ويحقق الدين التوازن بين العقل والجسد والروح والنفس بما يؤدي إلا إصلاح الفرد، وبالتالي المجتمع. ومن جهة أخرى يحقق الدين التوازن بين المؤسسات والهيئات والجهاد المتعددة التي يتكون منها المجتمع حتى لا تتقدم جهة على أخرى فيقع الاختلال في المجتمع[١].

---

[١] - وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، ص: ٨٣:٩٦.

الفصل الثالث: مقصد الأمن

الفصل الثالث – مقصد الأمن

تمهيد

قال ﷻ: ﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾ ولم يقل مثلاً: (وليؤمننهم)، كما قال في سابقيه، لأنهم ما كانوا يطمحون يومئذ إلا إلى الأمن، كما ورد في حديث أبي العالية المتقدم آنفا، فكانوا في حالة هي ضد الأمن، ولو أُعطوا الأمن دون أن يكونوا في حالة خوف، لكان الأمن منةً واحدة. وإضافة الخوف إلى الضمير (هم) للإشارة إلى أنه خوف معروف مقرر. والتنكير في قوله ﷻ: ﴿ **أَمْنًا** ﴾ أفاد التعظيم، بقرينة كونه مبدلا من بعد خوفهم المعروف بالشدة[١].

فقد كانوا يعيشون قبل تمكين الدين لهم في فزع ورعب، وخوف يمزق قلوبهم، فقد مكث الرسول ﷺ بمكة عشر سنين بعد الوحي خائفاً هو وأصحابه، وحتى بعد الهجرة إلى المدينة كانوا خائفين حيث كانوا يصبحون ويمسون في السلاح، ثم لما أظهر الله ﷻ رسوله ﷺ على جزيرة العرب وضعوا السلاح وأصبحوا آمنين.

والتنكير في قوله ﷻ: ﴿ **أَمْنًا** ﴾ أفاد التعظيم، لأن فاعل هذا الأمن هو ملك الملوك ﷻ، و القراءة بتشديد حرف الدال، فيها إيحاء بتكاثف الخوف وتراكمه وهذا ما دل عليه تضعيف الدال . أما القراءة بتخفيف حرف الدال، فإنها تدل على سرعة هذا التحويل والتغيير من حالة الخوف المطبق الممتد إلى حالة الأمن العام الشامل[٢].

وإذا كان المسلمون في هذا الزمان يخافون، بسبب هجمة الأعداء عليهم، فإن هذا نتيجة لبعدهم عن الإسلام، وسوف يزيل الله ﷻ عنهم هذا الخوف في المستقبل، ويحل محله الأمن، عندما يصدقون في العودة إلا الإسلام وتطبيق شرع الله ﷻ[٣].

ولا يعني هذا الوعد ألا تحدث حوادث خوف في الأمة في بعض الأقطار، كالخوف الذي اعترى أهل المدينة من ثورة أهل مصر الذين قادهم الضال مالك الأشتر النخعي[٤]، ومثل الخوف الذي حدث في المدينة يوم

---

[١] - التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٨٧.

[٢] - من كنوز البلاغة القرآنية، (مقال).

[٣] - وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ص: ١٩٩.

[٤] - الأشتر: مالك بن الحارث النخعي: كان شريفا كبير القدر في النخع، شهد اليرموك، وقلعت عينه يومئذ، وكان ممن ألب على عثمان، وقاتله وحضر حصره في المدينة. وشهد يوم الجمل، وأيام صفين مع علي، وكان خطيبا بليغا فارسا. ينظر: ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (٣٣٦/٢)، ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٣٤/٤)، ((الأعلام)) للزركلي (٢٥٩/٥).

الحرة [١]، وغير ذلك من الحوادث، وإنما كانت تلك مسببات عن أسباب بشرية، وإلى الله ﷻ إيابهم، وعلى الله ﷻ حسابهم[٢].

تعريف الأمن

١- الأمن في اللغة

الأمن ضد الخوف[٣]. وأصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف. والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان، نحو قوله ﷻ: ﴿ **وتخونوا أماناتكم** ﴾[٤] ، أي: ما ائتمنتم عليه[٥]. والأمن: عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[٦]. وآمَنَ :إنما يقال على وجهين: أحدهما متعديا بنفسه، يقال :آمنته، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله ﷻ: (مؤمن). والثاني :غير متعدّ، ومعناه : صار ذا أمن[٧].

وعبر القرآن الكريم عن ضد الأمن بالخوف، وبالبأس، وبالفزع كقوله ﷻ: ﴿ **وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ** ﴾[٨]، وعبر بألفاظ أخرى، ولكن مؤداها جميعا هي أنها تحدث لدى الإنسان ضربا من الخوف، فإذا جاء الأمن أزال ذلك الخوف. ومعنى اسم الله ﷻ (المؤمن) أنه هو الذي يمنح الأمن ويعطيه، فهو نعمة وتفضلا من الله ﷻ[٩]. والحاصل من التتبع اللغوي لمادة (أ م ن) هو أن الأمن حقيقة مستقرة في القلب، مدارها على سكينة، يطمئن القلب إليها بعد نوع من اضطراب من الخوف[١٠].

---

[١] - يوم الحرة: أي: وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدي مسلم بن عقبة لما بايع أهل المدينة لعبد الله بن الزبير، وخلعوا بيعة يزيد، وخلعوا واليه في المدينة، وحاصروا بني أمية في دار مروان. ينظر: ((الروض الأنف)) للسهيلي (٤٠٢/٣).

[٢] - التحرير والتنوير، ٢٨٧/١٨.

[٣] - الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، ص: ١١٧٦.

[٤] - سورة الأنفال، الآية رقم: ٢٧

[٥] - المفردات في غريب القرآن، ص: ٩٠.

[٦] - القونوي: قاسم بن عبد الله بن أمير (ت ٩٧٨ هـ) ، أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ت: يحيى حسن مراد، ط: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، ص: ٦٨.

[٧] - المفردات في غريب القرآن، ص: ٩١.

[٨] - سورة النمل، الآية رقم: ٨٩

[٩] - البوشيخي: الشاهد، نظرات في مفهوم الأمن في القرآن الكريم، محاضرة ألقيت في الملتقى الثاني للقرآن الكريم بمكناس – المغرب، منشورة على موقع: ملتقي أهل التفسير، القسم العام/ الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، يوم ٥ إبريل ٢٠٠٧.
https://mtafsir.net/threads/نظرات-في-مفهوم-الأمن-في-القرآن-الكريم.١١١٣٩/

[١٠] - درويش: نبيل محمد، الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره النفسية في ضوء القرآن الكريم، مقال منشور في حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، المجلد: ١١، العدد: ٢٩، الرقم المسلسل للعدد: ١، ٢٠١٧م، ص: ٢١١.

٢ – الأمن في الاصطلاح

بالنظر إلى المعاني اللغوية للأمن نجد أن المعني الشرعي للأمن هو: شعور الإنسان بالسكينة والطمأنينة على حاجاته الدنيوية والأخروية، بدون تكلفة منه عند توفر أسبابه[١].

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: " الأمن للفرد وللمجتمع وللدولة من أهم ما تقوم عليه الحياة، إذ به يطمئن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ويتجه تفكيرهم إلى ما يرفع شأن مجتمعهم وينهض بأمتهم"[٢].

الأمن كمقصد للوعد الإلهي

الأمن نعمة من نعم الله ﷻ العظمى، فله مكانة كبرى في الإسلام، وبتحققه يطمئن الإنسان على دينه، ونفسه، وعرضه، وماله، ولا يمكن حفظ هذه الضروريات إلا بكف كل أشكال الاعتداء عليها، وضبط الأمن بما يكفل حفظها؛ لذلك كان الأمن من أهم مقاصد الشريعة المباركة بشقيها: الكتاب والسنة[٣].

أ– مكانة الأمن في الإسلام

١– المفهوم الشامل للأمن في الإسلام، يتناول أمن الفرد دنيويا وأخرويا، وأمن الدولة داخليا وخارجيا، ويتعدى إلى أمن العالم الإنساني، والكون بأسره بعضه مع بعض. والإنسان في نظر الإسلام هو جوهر العملية الأمنية، وهو محور الأمن في نطاقيه الداخلي والخارجي، لأنه مناط التكليف في هذه الحياة، دون غيره من سائر المخلوقات. وأمن الفرد هو الأساس لأنه اللبنة الأساسية والخلية الأولى، والذي يتكون منه المجتمع، ومن ثم الدولة بمفهومها الواسع[٤].

---

[١] ـ اللوح: عبد السلام حمدان، عنبر: محمود هاشم، التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم " دراسة موضوعية"، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد: ١٤، العدد: ١، ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٦م، ص: ٢٣٢.
[٢] ـ الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٧١/٦.
[٣] ـ مقاصد السنة النبوية، ٦- حفظ الأمن، (مقال).
[٤] ـ الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره النفسية في ضوء القرآن الكريم، ص: ٢١٢.

٢ – الأمن يمثل الأساس الذي تتبني عليه الحضارة الإنسانية، بمجموع إنجازاتها المادية والمعنوية، فالاستقرار الشامل لجميع الجوانب الحياتية: سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وعلميا،... متعلق بالاستقرار الأمني، وهذا أمر معلوم بالفطرة، ولذلك كان من دعاء الخليل عليه السلام: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ [١].

٣– الأمن من دواعي الفطرة الإنسانية، ومن متطلباتها: الاجتماع، وتقارب الناس بعضهم مع بعض في مجتمعات وتكوينات بشرية متعددة، تنتظم وتستقر في أمن يخيم عليها ويظللها، قال عزل وجل: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ** ﴾ [٢].

ب– مقصد الأمن في القرآن الكريم

جاءت نصوص القرآن حافلة بتعظيم شأن الأمْن، وتنوّعت أساليب الدلالة على أهميته في حياة الإنسان، ومن أمثلة ذلك:

- امتن الله سبحانه وتعالى على المسلمين بنعمة الأمن في البلد الحرام، قال عز وجل: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأمْناً** ﴾[٣].
- دعا إبراهيم عليه السلام ربّه، أن يجعل البلد الحرام آمنا، قال عز وجل: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا** ﴾[٤].
- امتن الله سبحانه وتعالى على قريش بنعمة رغد الرزق والأمن من المخاوف، قال عز وجل: ﴿ **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** ﴾[٥]

[١] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٢٦
[٢] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٢٥
[٣] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٢٥
[٤] - سورة البقرة، الآية رقم: ١٢٦
[٥] - سورة قريش، الآية رقم: ٤

- امتن الله ﷻ على قريش بنعمة الأمن، قال ﷻ : ﴿ **أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[1].

ج- مقصد الأمن في السنة النبوية المطهرة

أولت السنة النبوية المطهرة الأمن اهتماما واضحا وبالغا، وشددت على قضية الأمن، ودعت إلى استتبابه والمحافظة عليه، وإزالة كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تفويته أو الإخلال به[2]، ومن أمثلة ذلك:

١- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **« مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»**[3]. حديث حسن غريب. وحيزت: جُمعت.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ** »[4]. حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا)**[5].

ء- مقصد الأمن في القواعد والضوابط الفقهية المتعلقة بالأمن

القواعد الفقهية: هي: المبدأ الفقهي الكلي الذي يحوي جزئياته، أو هي: الحكم الفقهي الكلي الذي يحوي جزئياته[6]. وترجع أهمية القواعد الفقهية إلى عدة أمور منها: أنه " بِقَدْرِ الْإِحَاطَةِ بِهَا يَعْظُمُ قَدْرُ الْفَقِيهِ، وَيَشْرُفُ وَيَظْهَرُ رَوْنَقُ الْفِقْهِ وَيُعْرَفُ وَتَتَّضِحُ مَنَاهِجُ الْفَتَاوَى وَتُكْشَفُ" ، " ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى

---

[1] - سورة القصص، الآية رقم: ٥٧

[2] - أحمد: عمر محمود عمر، القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ٢٠١٧، ص: ٥٥.

[3] - الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي (الجامع الكبير) ، ت: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، ط: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، حديث رقم: ٢٣٤٦.

[4] - سنن الترمذي، حديث رقم: ٢٦٢٧.

[5] - البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، ط: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، حديث رقم: ٦٦٥٩.

[6] - الخادمي: نور الدين مختار، القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل، بحث منشور في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الصادرة عن جامعة نايف الغربية للعلوم الأمنية، المجلد: ٢١، العدد: ٤٢، رجب ١٤٢٧هـ ، ص: ١٢.

عن حفظ أكثر الجزيئات، لاندراجها في الكليات، واتحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب، وأجاب الشاسع البعيد وتقارب، وحصل طلبته في أقرب الأزمان، وانشرح صدره لما أشرق فيه من البيان"[١]. ومن فوائدها أيضا: إدراك مقاصد الشريعة، وغايات الأحكام وأسرارها، وبناء النهضة الإسلامية العامة، باعتبار القواعد لبنة أساسية في البناء العلمي الشرعي الذي سيتكون منه البناء النهضوي العام[٢].

ومن الممكن أن نصنف القواعد الفقهية عدة تصنيفات، بحسب بعض الاعتبارات والحيثيات التي يضعها أصحاب التخصص في مجال معرفي أو مهني أو أي مجال من مجالات الحياة، وذلك على نحو: مجال الإدارة، ومجال الإعلام، ومجال الاقتصاد، ومجال العمران، ومجال الأمن، وغير ذلك[٣].

والمراد بالقواعد الفقهية المتعلقة بالأمن: القواعد الفقهية التي تتطرق إلى موضوع الأمن كليا أو جزئيا، أي التي تتناول الأمن بوجه عام ومطلق، أو بوجه خاص ومحدد، كالأمن على النفوس، والأمن على الأعضاء، والأمن على الأموال، وعلى الأعراض، وعلى الأخلاق العامة، وعلى الثوابت الكبرى والقواطع المقررة[٤].

ومن أمثلة القواعد الفقهية التي لها تعلق بموضوع الأمن ما يلي:

١- **قاعدة الأمور بمقاصدها:** وهي تؤثر على شعور الإنسان بالأمن والأمان لأنها تمنع التلاعب والكذب والاتهام والالتفاف على الألفاظ والصياغات[٥].

٢- **قاعدة اليقين لا يزول بالشك:** ويندرج تحتها عدة قواعد، منها: الأصل براءة الذمة، لا عبرة بالتوهم، لا ينسب لساكت قول، ولكن السكوت في معرض الحاجة بيان. وهذه القاعدة وما يندرج تحتها من قواعد من شأنها أن تجعل الإنسان يعيش في أمن واستقرار، لا يخاف افتراء من أحد، أو ادعاء مكذوبا عليه، ومن شأنها أن تحفظ له أمنه وحياته[٦].

---

[١] - القرافي: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن (ت ٦٨٤ هـ)، الفروق، ط: عالم الكتب، ٣/١.

[٢] - القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل، ص: ١٣.

[٣] - القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل، ص: ١٨.

[٤] - المصدر السابق، ص: ٢٠

[٥] - القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام، ص: ١٢٥.

[٦] - المصدر السابق، ص: ١٣٠.

٣- قواعد المصالح والمفاسد والمنافع والأضرار مطلقا: التي تنص على أن الأحكام منوطة بالمصالح، فيجب على المسلمين: أفرادا، وجماعات، ودولا، ومؤسسات، أن يعملوا على جلب المصالح والمنافع، ودرء المفاسد والأضرار، مثل:

أ- درء الفاسد مقدم على جلب المصالح.

ب- لا ضرر ولا ضرار.

ج- كل ما أضر بالمسلمين وجب أن يُنفى عنهم.

ء- الضرر يزال.

هـ- يُتحمل الضرر الخاص لمنع الضرر العام[١].

٤- قواعد وسائل المقاصد: والتي تنص على أن المقاصد والغايات يتوصل إليها بوسائلها وطرقها، وأن تلك الوسائل تأخذ حكم مقاصدها، مثل:

أ- الوسائل لها أحكام المقاصد.

ب- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

هـ- الأمن في الاصطلاح القانوني

الأمن في الاصطلاح القانوني يقصد به الشعور بالطمأنينة، الذي يتحقق من خلال رعاية الفرد والجماعة، ووقايتهما من الخروج على قواعد الضبط الاجتماعي، من خلال ممارسة الدور الوقائي القمعي، والعلاجي، الكفيل بتحقيق هذه المشاعر[٢].

---

[١] - القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل، ص: ٢٦.

[٢] - اللحام: محمود عزت، الشمايلة: ماهر عودة، كافي: مصطفى يوسف، الإعلام الأمني، ط: الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٥م، ص: ٤٣. نقلا عن بن بيه: عبد الله، خطاب الأمن في الإسلام، وثقافة التسامح والوئام.

العلاقة بين الأمن والأمانة والإيمان

السبب الأول لوجود الأمن في هذه الأمة – وهو شرط في نفس الوقت – هو الإيمان، والأمر في غاية الوضوح، هناك علاقة بين الإيمان والأمانة والأمن، وهذه الألفاظ الثلاثة تنتمي لنفس المادة، والأصل الذي يتفرع منه كل شيء هو الإيمان، فلا إيمان لمن لا أمانة له، وهناك الأمانة العامة العظمي، وأمانة الاستخلاف في الأرض، قال ﷻ: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا** ﴾[١].

وتلى أمانة الاستخلاف: أمانة الشهادة على الناس بالنسبة لهذه الأمة خاصة، لأن الأمم السابقة ما حملت تبليغ الدين فرضا كأمة الإسلام. وهذه الأمانة إلى جانب الأمانة الأخرى كلها إنما تؤدي على حقيقتها بالإيمان، فإن وجد الإيمان أديت، وإن لم يوجد لا تؤدى هذه الأمانات. فهذه الأمانة على عمومها تحتها أمانات، كالصلاة، والزكاة، وتربية الأولاد، وكل تكليف من تكاليف الشرع أمانة من الأمانات. فالهدف من الإيمان أن تؤدى الأمانات على أحسن وجه.

وعندما يوجد الإيمان وتؤدى الأمانة، يأتي الأمر الثالث (الأمن) بصورة طبيعية، فهو حال يجد المؤمنون أنفسهم فيها قلبا وقالبا: قلبا من حيث ما يشعرون به هم من طمأنينة وسكينة وراحة بال، إذ يشعرون بالراحة الكاملة نتيجة الإيمان وأداء الأمانة، أو بالتعبير الآخر: الإيمان والعمل الصالح. ومن حيث القالب: يجدون ما يسمى بالسلم (وهو نوع من الأمن) فالأمن محله القلب، والصورة التي ينتجها ما في القلب في الخارج هي السلام.

فالأمن نتيجة وليس فعلا يمكن أن نفعله، وإنما هو نتيجة طيبة ونعمة من الله ﷻ يتفضل بها علينا إذا آمنا وعملنا الصالحات[٢].

---

[١] - سورة الأحزاب، الآية رقم: ٧٢

[٢] - نظرات في مفهوم الأمن في القرآن الكريم (محاضرة).

والإيمان أيضا سبب الأمن يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾[١]، يعني مَن أولى بالأمن من العذاب في يوم القيامة؟ الموحد أم المشرك؟[٢].

ففي يوم القيامة يحصِّل المؤمنون الأمن من أهوال يوم القيامة: ﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[٣]، والأمن في الجنة: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ** ﴾[٤].

والأمن: حالة اطمئنان النفس وراحة البال وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك. ولذلك قالوا في دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا** ﴾[٥] إنه جمع في هذه الجملة جميع ما يطلب لخير البلد[٦].

وحالة الأمن التي يعيشها الإنسان المسلم نتيجة اتباعه منهج الله ﷻ ، وعدم إشراكه بالله ﷻ، تجعله يتمتع بالصحة النفسية، التي تشير إلى حالة الاستقرار والتوازن التي يعيشها الفرد في مجالات الأمن المتعددة: كالأمن النفسي، والأسرى، الاقتصادي، والاجتماعي، ..وهذا يجعله أقدر على الصمود أمام التحديات الكبيرة.

وإحساس المؤمن بشعور الأمن يحقق التوازن الانفعالي في النفس البشرية، ويقيه من عوامل الخوف، والقلق، والاضطراب، قال ﷻ لكليمه موسى عليه السلام، عند خوفه من مشاهدة معجزة العصا: ﴿ **وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ** ﴾[٧].

وإحساس المؤمن بشعور الأمن يحقق التفاؤل الإيجابي في النفس المؤمنة، ويقيه من عوامل اليأس، والقنوط، وتوالي المصائب على المؤمن لا تجعله يفقد صبره ويقينه وتوكله على الله ﷻ، وفي قصة يوسف، قال

---

[١] - سورة الأنعام، الآيات: ٨١،٨٢

[٢] - الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٤١ هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ، ١٣٠/٢.

[٣] - سورة فصلت، الآية رقم: ٤٠

[٤] - سورة الحجر، الآيات رقم: ٤٥،٤٦

[٥] - سورة إبراهيم، الآية رقم: ٣٥

[٦] - التحرير والتنوير، ٥٥/١٣.

[٧] - سورة القصص، الآية رقم: ٣١

يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿ **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[١]–[٢].

أثر الأمن في إقامة الحضارة

نعمةُ الأمن مِن أرقى النعم الكبرى على جميع المخلوقات من إنس وجنٍّ وحيوان، وبدونها لا استقرار ولا راحة ولا سعادة؛ لذلك تبذل المجتمعات البشرية جميع إمكانياتها لاستتباب الأمن لعلمها أن نعمة الأمن مقدمة على مطالب الحياة كلِّها؛ فالخائف لا يستمتع بغذائه ولباسه ومسكنه من دون توفير الأمن والطمأنينة، لذلك قرن الله سبحانه وتعالى بين الطعام والأمن في معرِض حديثه عن النعم التي أنعم بها على قريش، فقال عز وجل: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾[٣] ومن هنا يكون فقد الأمن نقمة ينتقم الله سبحانه وتعالى بها من بعض خلقه من عاصين أو كافرين[٤].

وتحتاج الشعوب والدول إلى ضمان أمنها النفسي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري فضلًا عن أمنها الخارجي، وما لم يتحقق لها ذلك لن تتمكن من النهوض والتطلع إلى المستقبل بل يظل الخوف مهيمنًا على خطواتها مقيدًا لتطلعاتها، فحين يضطرب نظام الأمن في بلدٍ ما، وتختل عوامل السيطرة على تصرفات المجتمع؛ فإن الفوضى ستكون سيدة سائدة، وتُمْنَى الأنفس والأموال والأعراض بالسفك والبطش والهتك. وفي عصرنا الراهن مشاهد حية لاضطراب الأمن في عدة بلدان إسلامية، نسأل الله سبحانه وتعالى لها الفرج القريب، وعلينا أن نعلم أن الأمن المطلق لا يتحقق للإنسان في الحياة الدنيا، فالأمن المطلق لا يكون إلا في دار النعيم التي وعد الله سبحانه وتعالى بها عباده الصالحين[٥]، فقال عز وجل: ﴿ **ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ** ﴾[٦].

والمقياس الحقيقي للتحضر يستمد قيمته مما يوفره من الأمن والطمأنينة، والإخاء، والتعاون. وأيما تحضر تحققت فيها هذه المعاني فهو تحضر حقيقي، وأيما تحضر جلب معه الخوف والعداوة فهو ليس بتحضر حقيقي.وعلى ذلك فإن مجتمعا بسيطا في مستوى المعيشة المادية لا يتجاوز الكفاف إلى الترف، ولكن يوفق

---

[١] - سورة يوسف، الآية رقم: ٨٧

[٢] - الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره في القرآن الكريم، ص: ٢٧٤:٢٧٧.

[٣] - سورة قريش، الآيات: ٣،٤

[٤] - كالو: محمد محمود، أمن الإنسان في ضوء القرآن، بحث منشور في مجلة مقاربات، الصادرة عن المجلس الإسلامي السوري، العدد السابع، شعبان ١٤٤١ هـ - نيسان ٢٠٢٠م. https://sy-sic.com/?p=٨٢٦٠

[٥] - أمن الإنسان في ضوء القرآن، (بحث).

[٦] - سورة الحجر، الآية رقم: ٤٦

في تحقيق مطالب الأمان والاطمئنان والمحبة والتعاون، فهو بذلك يكون أرقى في حقيقة التحضر من مجتمع آخر يبلغ مبلغا كبيرا في الأبهة المادية، ووسائل الترف، ولكنه يعاني من القهر والاستبداد والظلم[١].

حفظ الأمن في الدنيا، (بمعنى: تعاهده، ورعايته، وحراسته)، مقصدٌ شرعي هامٌّ من مقاصد الإسلام؛ لأن بتحقُّقه تُعمَر الأرض، وتُبنى الحضارات، وتزدهر المجتمعات، وعلى مدار التاريخ البشري لم تقم حضارةٌ على الإطلاق إلاَّ في ظلِّ توفير الأمن. وقد جعل اللهُ ﷻ نِعمةَ الأمن من النعم العظيمة التي يمتنُّ بها على عباده[٢].

أسباب الأمن وموانعه في الإسلام

١- أسباب الأمن في الإسلام

إن الخوف ملازم للظلم، فلا ينتهي الخوف إلا بالقضاء على الظلم، ولا ينتهي الظلم إلا بتحرير الإنسان من الاستضعاف؛ لأن المستضعف يؤمن بالقوة ويخضع لها، ويتمنى أن يصل إلى مركز المستكبر، حتى يمارس الظلم والاستعلاء في الأرض. وحين يتحرر الإنسان من الخضوع للقوة فلا يخضع إلا لله ﷻ، عندها يبدأ سلطان المستكبر بالأفول، ويتمرد الناس على ظلمه فلا يطبقون إلا أمر الله ﷻ، وهي الخطة المكية التي حررت الإنسان: ﴿ **كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾[٣]. إن الطريق المؤدي إلى الحرية والعدل والأمن والسلام، طريق كلها معاناة وجهاد، ولكن لابد منها لتمحيص نفوس المؤمنين – قبل غيرهم – من سموم القوة وفتنة السلطة، وذلك ما أشار إليه موسى عليه السلام عندما سأله قومه: ما الفائدة؟ ﴿ **أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا** ﴾[٤] ما زلنا نتحمل عذاب فرعون، ولم تخلصنا منه. فقال: ﴿ **عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾[٥] أي أن هذا يعلمكم أن لا تستكبروا عندما تصلون إلى مراكز القوة[٦].

---

[١] - النجار: عبد المجيد عمر، فقه التحضر الإسلامي، ط: دار الغرب الإسلامي، ١٩٢٧ هـ - ٢٠٠٦م ، ص: ٢٤،٢٣.

[٢] - الدوسرى: محمود بن أحمد، مقاصد السنة النبوية، ٦- حفظ الأمن، مقال منشور على موقع الألوكة، ١٤٤٢/٦/٩ هـ - ٢٠٢١/١/٢٣م. https://www.alukah.net/sharia/٠/١٤٤٤٩٥/مقاصد-السنة-النبوية-٦-حفظ-الأمن/، حامدي: عبد الكريم بن محمد الطاهر، مقصد حفظ الأمن في القرآن الكريم، مقال منشور على موقع: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، https://al-furqan.com/ar/مَقْص%D٩٪٩٠دُ-ح%D٩٪٩٠فْظ%D٩٪٩٠-أَلأَمْن%D٩٪٩٠-في-الْقُرْ/

[٣] - سورة اقرأ، الآية رقم: ١٩

[٤] - سورة الأعراف، الآية رقم: ١٢٩

[٥] - سورة الأعراف، الآية رقم: ١٢٩

[٦] - من هَدْي سورة النور، ص: ١٢٦،١٢٧.

وبالتتبع الموضوعي لآيات الأمن في السياق القرآني نتبين أن أسباب الأمن أربعة أسباب، ترجع باعتبار أصلها ومنشئها إلى سبب واحد رئيس هو الإيمان الصحيح بالله ﷻ ، والذي يستلزم الأسباب الثلاثة الباقية، وهي كما يلي:

أ- الإيمان الصحيح بالله ﷻ:

وهو التصديق الجازم الذي لا يخالطه ريب، ويدل على أنه السبب الرئيس للأمن في الدنيا والآخرة، دليلان:

أ- قصر الأمن على المؤمنين، قال ﷻ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾[1]، أي الأمن الشامل: أمن النفس، والمجتمع، والأمة.

ب- وعد الله ﷻ لكل من آمن بتحقيق الأمن كثمرة للاستخلاف وتمكين الدين، في قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[2].

ب- العمل الصالح

ذلك ما نص عليه الوعد الإلهي الكريم في الآية السابقة، فالإيمان الصحيح لا ينفك عن العمل الصالح الذي يشمل الشعائر الدينية، والأعمال الدنيوية.

ج- تحمل الأمانة وأدائها

فالأمانة بمفهومها الواسع يستوعب الدين بجميع شعبه، وأبرز معالم الأمانة: توحيد الله ﷻ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والجهاد في سبيل الله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتفسير الأمانة في قوله ﷻ: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا**

[1] - سورة الأنعام، الآيات: ٨١،٨٢

[2] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا ﴾[1] ينسجم مع الدلالة اللغوية (سبقت الإشارة إليها)، ومع الدلالة السياقية، لكون الأمانة جاءت عقيب الطاعة في قوله ﷻ: ﴿ **وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [2].

ء- الجهاد في سبيل الله ﷻ

الجهاد يعني استفراغ الوسع، وقد ربط القرآن الكريم بين الجهاد في سبيل الله ﷻ ، وبين حصول الأمن ربطا مباشرها، يظهر ذلك في مجالين:

١- حصول الأمن في ساحات القتال، كقوله ﷻ: ﴿ **إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ** ﴾[3].

٢- حصول الأمن في مجالات الحياة المختلفة. فمن مقاصد الجهاد في سبيل الله ﷻ ، حماية المجتمعات البشرة، بل والكون كله من قوى الإرهاب التي تسعى في الأرض فسادا[4].

هـ- التكافل الاجتماعي

حيث يربط التكافل الاجتماعي النسيج المجتمعي برباط الحب والتعاون والمودة، وهذه سمات تصنع من المجتمع مجتمعا آمنا يطمئن أفراده على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهليهم، ويسود المجتمع أمنا شاملا في كل جوانب الحياة[5].

و- المساواة والعدالة والحرية

يقصد بالمساواة: أي أن يكون جميع المواطنين في الدولة الإسلامية متساوون أمام القضاء، من حيث خضوعهم لولايته، والإجراءات المتبعة في التقاضي، وتطبيق النصوص، وتنفيذ أحكام القضاء، وتحري

---

(١) - سورة الأحزاب، الآية رقم: ٧٢

(٢) - سورة الأحزاب، الآية رقم: ٧١

(٣) - سورة الأنفال، الآية رقم: ١١

(٤) - الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم، ص: ٢٥٧:٢٤٢.

(٥) - القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام، ص: ١٠٢.

العدالة مع الخصوم، دون تفرقة بين المتخاصمين[1]. والعدالة تعني: الاحترام الدقيق لحقوق الإنسان وإعطاء كل ذي حق حقه.

والحرية هي: الحالة التي يكون فيها الإنسان سيد نفسه، وهي رفع القيود التي يمكن أن يفرضها إنسان على إنسان آخر، وهي القدرة على التصرف طبقا لما تحدده الإرادة، بمعنى أنها الأحوال الاجتماعية التي تنعدم فيها القيود التي تقيد الإنسان على تحقيق سعادته.[2]

ز- **السماحة:** أكبر مقاصد الشريعة: السماحة، وتعني سهولة المعاملة في الاعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل.[3]

٢- موانع الأمن في القرآن الكريم

موانع الأمن في الأنفس والآفاق، هي أضداد الأسباب الرئيسية الموجبة لوجود الأمن في هذه الأمة، وعلى ذلك فإن موانع الأمن هي: الكفر والفسوق والعصيان. فإذا كان الإيمان هو سبب وجود الأمن الرئيس، وكان الشكر هو سبب استمرار الأمن، فإن الكفر هو المانع الرئيس لوجود الأمن، ولعل قصة سبأ[4] تبين لنا هذا الأمر، وهذا الكفر يشمل: الكفر بالله ﷻ ، وكفران النعمة.

والفسوق هو الخرق المستمر لطاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ، ورفض الامتثال مطلقا، ليس جحودا لله ﷻ. والعلاقة بين الفسوق وبين امتناع الأمن علاقة طردية، فكلما وجد الفسق امتنع الأمن، ولكما امتنع الفسق وجد الأمن، زاد ما زاد.

والعصيان هو الخروج عن الطاعة، وهو يكون ممن يطيع أحيانا ويعصي أحيانا، ووجود المعاصي يمنع بقدر وجودها من حصول الأمن عند العاصي، سواء كان فردا أو جماعة، قال ﷻ: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ** ﴾[5]. والعلاقة بين العصيان لله ﷻ ، ولرسوله ﷺ، وبين امتناع الأمن علاقة طردية، فكلما وجد العصيان امتنع الأمن، ولكما امتنع العصيان وجد الامن، زاد ما زاد[6].

---

[1] - القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام، ص: ١٠٥.
[2] - المصدر السابق، ص: ١٠٧.
[3] - المصدر السابق، ص: ١١١.
[4] - ذكرت قصة سبأ في سورة سبأ، الآيات من ١٥:١٩.
[5] - سورة فاطر، الآية رقم: ١٠
[6] - الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم، ص: ٢٥٧:٢٦٥.

مفهوم الأمن الشامل وأقسامه

ورد مصطلح (الأمن) ومشتقاته في السياق القرآني بصيع عديدة، وذلك في ثمان وأربعين موضعا من كتاب الله ﷻ، في أربع وعشرين سورة، مما يؤكد لنا أهمية الموضوع ابتداء. كما إن كثير من سور القرآن الكريم قد تحدثت في كثير من المواضع والسور عن الأمن، دون ذكر للفظة الأمن ومشتقاتها[١]، كقوله ﷻ: ﴿ **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿ **فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** ﴾[٣].

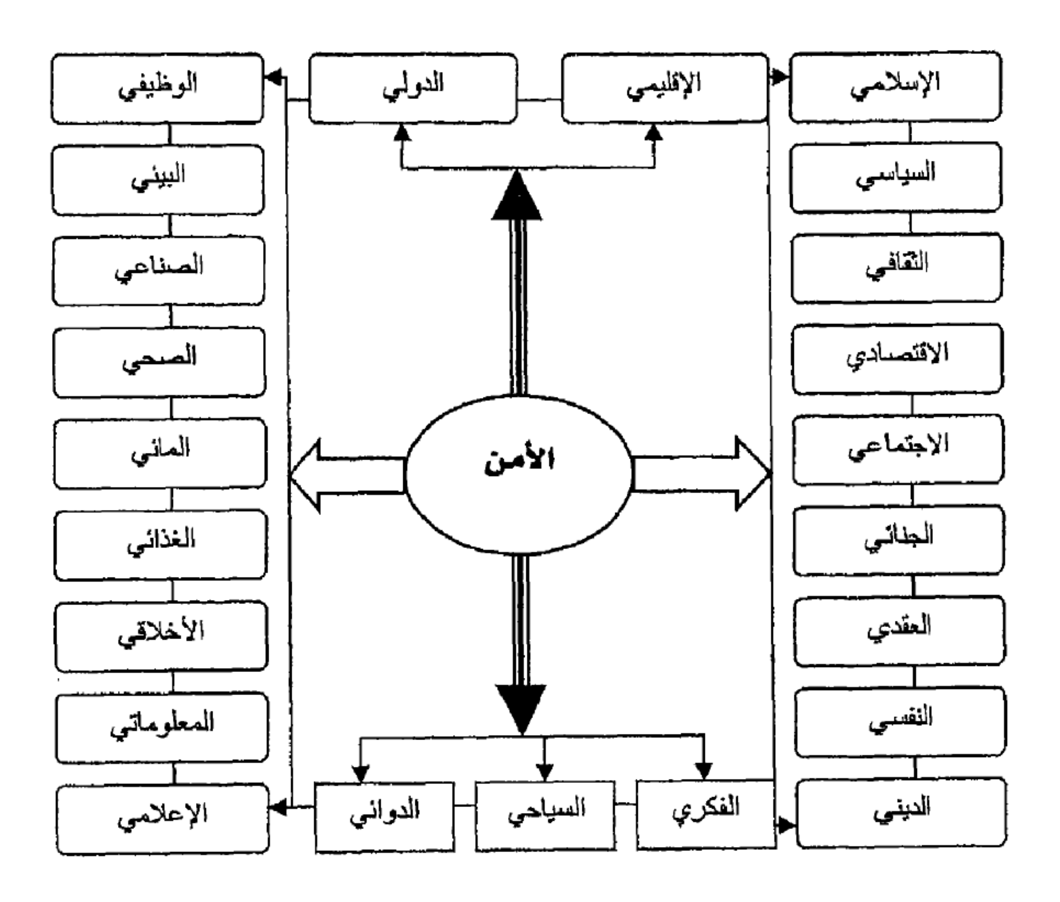
ورغم هذا التنوع إلا إن لفظ (الأمن) لم يأت في القرآن لم يرد مقيدا بشيء: لا بوصف ولا بإضافة، ومعنى ذلك أن الأمن شيء كلي شامل، غير قابل للتبعيض، وأنه نعمة ينعم بها الناس، إما أن تكون وإما أن لا تكون. فلا يمكن أن ينعموا بنوع من الأمن ولا ينعمون بأنواع أخرى، ولا سيما بالنسبة لأهل الإيمان؛ لأن المنطق الذي يحكم دائرة الإيمان بعد النبي ﷺ دائرة التكليف، ودائرة الشهادة على الناس، فإذا تمت الاستجابة للتكليف تكون النتائج، وتكون الآثار الطيبة، وتكون الثمرات، وتكون الخيرات، وإذا لم تتم الاستجابة تكون العقوبات. وهنا ملاحظة، أن الفساد الذي يحدث في غير المسلمين هو في الحقيقة بسبب تقصير المسلمين، لأن الأمة المسلمة موقعها الشهادة على الناس، ولكنها للأسف هي اليوم في واقع نعرفه جميعا[٤].

و(الأمن الشامل) عبارة اصطلاحية جديدة، يستعملها أصحاب الاختصاص لتدل على كل أبعاد ومتطلبات الإنسان، في كافة مجالات الحياة، أي كل ما يحتاجه من أمن على نفسه وماله وأهله ووطنه،.... ويظل الأمن الشامل مطلبا حيويا ومهما للغاية، بالنسبة لكل دول العالم ومنظماته وفئاته، وذلك لما أصبح عليه العالم من تزايد عجيب وتسارع خطير لحركة التطور العلمي والتكنولوجي والاتصالي، الأمر الذي قد يزيد من حجم المشكلات وقد يوسع دائرة التوتر، والاضطراب، بسبب فتح الحدود، وزوال الحواجز، واختلاط الثقافات والعادات، وتكاثر الهرج والمرج[٥].

---

[١] - التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم " دراسة موضوعية "، ص: ٢٣٢:٢٣٥.
[٢] - سورة يوسف، الآية رقم: ٦٧
[٣] - سورة الكهف، الآية رقم: ١٩
[٤] - نظرات في مفهوم الأمن في القرآن الكريم (محاضرة).
[٥] - القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل، ص: ٢٢.

وتشمل منظومة الأمن الشامل[1] ما يبينه الشكل التالي:



فالأمن في الدنيا أقسام متعددة يشد بعضها بعضا، وقد تتجدد بعض أنواع من الأمن لم تكن موجودة قبل ذلك، كالأمن السيبراني (المعلوماتي)، والأمن السياحي. ومن هذه الأقسام:

١ – **الأمن النفسي** : هو الطمأنينة القلبية والسكينة، وعدم القلق والاضطراب[2]. ويشمل الأمن المادي للنفس، من الهلاك المادي، وكل ما يضعفها عن أداء واجباتها الدينية والدنيوية، من جوع، وعطش، ومرض، أو تلف النفس بالكلية، كالقتل. ويشمل أيضا الأمن المعنوي للنفس بالسمو بها لبلوغ الكمال الروحي، وتزكيتها من الرذائل، كالظلم، والحسد، والبخل، والكبر، والرياء[3].

---

[1] ـ الإعلام الأمني، ص: ٤٦.
[2] ـ أمن الإنسان في ضوء القرآن (بحث).
[3] ـ المصدر السابق.

٢- الأمن الفردي: ضمان قدر من الطمأنينة يستطيع الفرد بفضلها وعلى أساس من النظام القائم في الدولة أن ينظم شؤون حياته ويهيئ لمستقبله. أو هو توفير الأمن الكافي للشخص، فلا يتعرض لأي أذية أو فعل يمس أمن شخصه سواءً من طرف مؤسسات الدولة أم من طرف أشخاص آخرين[١].

٣- الأمن الاجتماعي: سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تتحداهم، كالأخطار العسكرية، وما يتعرض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب أو السرقة[٢].

٤- الأمن المجتمعي: أشمل من الأمن الاجتماعي، ويقصد به: القدرة على المحافظة على استمرارية الأنماط التقليدية للغة والثقافة والهوية والعادات[٣].

٥- الأمن السياسي: يعد الأمن السياسي من الميادين الأساسية لمفهوم الأمن بالمعنى الشامل، ويتداخل إلى حد بعيد مع مفهومي الأمن القومي والأمن والوطني، فالأمن السياسي يركز على تأمين مسار الحياة السياسية في المجتمع بما يكفل أمن جميع العناصر المكونة له. فالأمن السياسي هو: الجهد المبذول للمحافظة على أسرار الدولة، وسلامتها، والعمل على منع كل ما من شأنه إفساد العلاقة بين السلطة والشعب، أو تشويه صورة الدولة[٤]. ويشمل الأمن السياسي احترام حق الإنسان في التعبير عن رأيه وحمايته من القمع السياسي، بما يؤدي إلى تحرر المواطنين من الخوف والحاجة، مع ضمان حمايتهم من الصراعات والحروب والهجرة[٥].

٦- الأمن الاقتصادي: لا يعني الأمن الاقتصادي توفير مستلزمات العمل والإنتاج لتلبية احتياجات السكان الضرورية فحسب، وإنما أيضا يعني استثمار ثروة المجتمع بدلا من استهلاكها، وتنميتها بدلا من هدرها، ويعني أيضا بالنسبة للسكان: أمن العمل، وأمن الدخل، أي وجود عمل منتج ووجود دخل أساسي مضمون[٦].

---

[١] - كابويا: رشيدة، حق الأمن الفردي في الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي الجزائري – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الشريعة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، الجامعة الأفريقية العقيد أحمد دراية أدرار، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م، ص: ٢٥.

[٢] - هاشمي: ملكية، بن يحيى: نبيلة، الأمن المجتمعي: دراسة في المفهوم النظرية والتهديدات، بحث منشور في المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد: ١٢، العدد: ١، يناير ٢٠٢٣، ص: ١٦٦.

[٣] - المصدر السابق، ص: ١٦٥.

[٤] - الإعلام الأمني، ص: ٥٣.

[٥] - أمن الإنسان في ضوء القرآن (بحث).

[٦] - الإعلام الأمني، ص: ٥٣.

٧- **الأمن الديني والفكري والعقائدي:** حماية المعتقدات الدينية للمجتمع من خلال مؤسسات رسمية أو غير رسمية التي تعمل في إطار ما هو متفق عليه ضمن إطار وسطي. ويرتكز على حماية الدين من إدخال إيديولوجية دينية متطرفة قائمة بحد ذاتها تسعى إلى تبني نسق جديد، كالجهاد ضد المسلمين، أو مبررات فقهية ودينية وفتاوى تجيز ذلك بالإضافة إلى تبني تيارات دينية مغلوطة[١]. فهو حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوان أن ينزل بها أذى[٢].

٨- **الأمن الثقافي:** أي حماية وتحصين الهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج[٣].

٩- **الأمن الحضري:** وهو ما يتعلق بالسلامة الأمنية لسكان المدن، أو التجمعات الحضرية، ويشمل الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، والتخطيطية، والعمرانية[٤].

١٠- **الأمن الغذائي:** يشير هذا المصطلح إلى حصول جميع أفراد المجتمع بانتظام على ما يكفي من الغذاء عالي الجودة لقيادة حياة نشطة وصحية[٥].

١١- **الأمن الدوائي:** قدرة الدولة على تأمين كمية كافية من الأدوية الأساسية التي يحتاج إليها المجتمع بجميع شرائحه، سواء في الأوقات العادية أو في أوقات الأزمات. ويندرج تحت هذا المفهوم أيضا توفير الأدوية واللقاحات بصفة دائمة، كما يشمل توفير المواد الأولية اللازمة لدوران عجلة الصناعة الدوائية المحلية.

ويتحقق الأمن الغذائي عندما تتوافر لجميع الناس، في كل الأوقات الفرص المادية والاجتماعية والاقتصادية، للحصول على أغذية كافية وسليمة ومغذية تلبي احتياجاتهم الغذائية، وأذواقهم، وتكفل لهم حياة موفورة الصحة والنشاط[٦].

---

[١] - فؤاد: جدو، المذهب المالكي ما بين متطلبات الأمن الفكري و ضروريات الأمن الديني، مداخلة في إطار المشاركة في الملتقى الدولي الثالث عشر بعنوان المذهب المالكي تاريخ وآفاق، أيام: ٢٨:٣٠ نوفمبر ٢٠١٠م.

[٢] - المجدوب: أحمد علي، الأمن الفكري والعقائدي، مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، بحث منشور ضمن أوراق الندوة العلمية: نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية. ط: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب – الرياض ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص: ٥٤.

[٣] - صبرينة: حمود، بوسعدية: وهيب، الأمن الثقافي دراسة في المفهوم والمهددات، بحث منشور في مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد: ١١، يونيو ٢٠١٧، ص: ٣٨٠.

[٤] - رامي: صباح أسد محمود، أنواع الأمن وأهمية كل منها، مقال منشور على موقع مجلة التدريب، https://moias.org/content.php?id=٦٠٩

[٥] - موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ عن المنظمة. https://www.fao.org/about/about-fao/ar/

[٦] - أبو دوح: خالد كاظم، الأمن الغذائي، أوراق السياسات الأمنية/ المفاهيم الأمنية، بحث بمركز البحوث الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

١٢- الأمن المائي: أي مدى قدرة الدولة على توفير الماء لأفرادها، على شكل مياه عذبة نظيفة خالية من الملوثات المختلفة بشكل آني ومستقبلي. أو هو تلبية الاحتياجات المائية المختلفة كما ونوعا مع ضمان استمرار هذه الكفاية دون تأثير من خلال حماية وحسن استخدام المتاح من مياه وتطوير أدوات وأساليب هذا الاستخدام علاوة على تنمية موارد المياه الحالية، والبحث عن موارد جديدة سواء كانت تقليدية أو غير تقليدية. أي أن مفهوم الأمن المائي يعني الكفاية والضمان للماء عبر الزمان والمكان[١].

١٣- الأمن السياحي: هو منظومة من المفاهيم التربوية والعقابية والإجرائية التي تحقق ظروفا جاذبة لتنقل الناس بقطع النظر عن أهدافهم ومدة إقامتهم وديانتهم، بطمأنينة ويسر. أو هو توفير عنصر الأمن والطمأنينة للسائح منذ وصوله إلى البلاد، وحتى مغادرته لها، وذلك في ماله ونفسه وعرضه، وكل ومتعلقاته وامتعته، وحمايته من أي مضايقات أو جرائم قد تقع عليه[٢].

١٤- الأمن القومي: هو: تلك المجموعة من القواعد الحركية التي يجب على الدولة أن تحافظ على احترامها، وأن تفرض على الدول المتعاملة معها مراعاتها، لتستطيع أن تضمن لنفسها نوعا من الحماية الذاتية الوقائية الإقليمية[٣].

١٥- الأمن الوطني (القطري) : يتداخل مفهوم الأمن الوطني، مع مفهوم الأمن القومي إلى درجة التطابق، وعليه فإن الأمن الوطني (القومي) يعني قدرة الدولة والمجتمع على المحافظة على الأمة وكرامتها وأراضيها واقتصادها، وعلى حماية مواردها الطبيعية،... من أي اعتداء خارجي. كما يعني قدرة الدولة على حماية قيمها الداخلية من أي تهديد بغض النظر عن أي متغير[٤].

١٦- الأمن البيئي: هو حماية الطبيعة والبيئة والمصالح الحيوية للمواطنين والمجتمع والدولة، من التأثيرات الداخلية والخارجية، وكذلك الاتجاهات السلبية في علميات التنمية التي تهدد صحة الإنسان، والتنوع البيولوجي وأداء النظم الأيكولوجية المستديمة التي قد تؤثر على استمرارية الحضور البشري[٥].

---

[١] - عبد الله: عصام أبو اليزيد، مقومات الأمن المائي في ضوء السنة النبوية "دراسة موضوعية"، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الأول، المجلد الأول، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م، ص: ١١٨،١١٩.

[٢] - ذيب: فيصل، الأمن السياحي وتأثيره على الظاهرة السياحية، بحث منشور في المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد: ٦٠، العدد: ٢، ابريل ٢٠٢٣، ص: ٢١٣.

[٣] - الإعلام الأمني، ص: ٤٩.

[٤] - الإعلام الأمني، ص: ٥٢.

[٥] - بيزات: صونية، الأمن البيئي، بحث منشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الصادرة عن جامعة باتنة – الجزائر، العدد: ٣٠، يونيو ٢٠١٤، ص: ٢٠.

١٧- **الأمن السيبراني (المعلوماتي):** أصبح الأمن السيبراني جزء أساسي من أمن الدول، حيث يرتبط بالمسائل المتعلقة بحماية المعلومات على جميع أنظمة الحوسبة والشبكات الالكترونية[١]. ويقصد بالأمن السيبراني: أمن الشبكات، والأنظمة المعلوماتية، والبيانات، والمعلومات، والأجهزة المتصلة بالإنترنت. فهو مجال يتعلق بإجراءات، ومقاييس، ومعايير الحماية المفروض اتخاذها، أو الالتزام لها، لمواجهة التهديدات، ومنع التعديات، والحد من آثارها، في أقسى وأسوأ الأحوال[٢].

---

[١] - محمد: آمنة على البشير، الأمن السيبراني في ضوء مقاصد الشريعة، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الأول، العدد السابع والثلاثين، ص: ٤٥٥.

[٢] - المصدر السابق، ص: ٤٦٠.

الفصل الرابع : المقاصد التبعية لاستخلاف الأمة الإسلامية

تنقسم المقاصد إلى أصلية وتبعية: والمقصد الأصلي هو الغاية الأولى أو المقصد الأول، أما المقصد التبعي فهو مقصد ثانوي أو قصد ثاني، فهو تابع للأول ومكمل له[1]. ولا يعني هذا التقسيم أن مقصد أهم من مقصد، وإنما يعني أن المقاصد التبعية لا يمكن تحققها حتى يتحقق المقصد الأصلي الذي تندرج تحته، ومن أمثلة المقاصد التبعية لاستخلاف الأمة الإسلامية:

أولا – مقاصد الشريعة فيما يخص الفرد

مقاصد الشريعة هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في جميع الأحكام أو معظمها، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان [2]. وكل حكم شرعي إنما نزل لتأمين أحد المصالح أو دفع أحد المفاسد، أو لتحقيق الأمرين معًا، وما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وقد رعاها المشرع، وأوجد لها الأحكام التي تكفل إيجادها والحفاظ عليها، والمشرع الحكيم لم يترك مفسدة في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل إلا بيّنها للناس وحذرهم منها، وأرشدهم إلى اجتنابها والبعد عنها [3]. والمقاصد الشرعية الضرورية المعتبرة في كل ملة، هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. وجاءت التشريعات الإسلامية لتؤكد ذلك سواء من حيث الإيجاب أو السلب [4]، حتى عند مراعاة المقاصد الأقل درجة من الضرورية: (الحاجية)، و(التحسينية) [5].

ثانيا – مقاصد الشريعة فيما يخص الأسرة

١ – تنظيم العلاقة بين الجنسين

حرصت الشريعة على تنظيم العلاقة بين الجنسين، فحصرتها في صورة واحدة منظمة، هي صورة الزواج، ووضعت لها الأحكام التفصيلية، وبينت الحقوق والواجبات لجميع الأطراف. كما أباح الشرع التعدد

[1] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٢٥.
[2] - مقاصد الشريعة الإسلامية – الزحيلي، ١/١.

([3]) - المصدر السابق، ٢/١.

([4]) - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: ٤٦ ؛ البوطي: محمد سعيد رمضان (ت ١٤٣٤ هـ)، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ط: مؤسسة الرسالة، ص: ١١٩.

([5]) - مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: ٤٦، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ص: ١٢٠.

(بشروطه)، والطلاق (بشروطه)، واجتناب العلاقات خارج الزواج من زنا وشذوذ، وسد طرق الإغراء بالعفة والحجاب، ومنع الخلوة وغيرها[١].

٢ – تحقيق السكن والمودة والرحمة

حتى لا تنحصر العلاقة بين الزوجين في صورة جسدية بحتة، نبهت الشريعة إلى أن من مقاصد هذه العلاقة: أن يسكن كل من الزوجين إلى الآخر، وأن بينهما مودة ورحمة. وشرعت لتحقيق هذا المقصد أحكاما للمعاشرة بالمعروف بين الزوجين، وآدابا للجِماع، وغير ذلك من الأحكام التي توفر الجو العائلي المملوء دفئا وحنانا، ومشاعر إنسانية راقية[٢].

٣ – حفظ التدين في الأسرة

لما يترتب على فقدان التدين في الأسرة من فساد وتفكك وسوء تربية للأجيال التي ستحمل مسؤولية المستقبل، فإنه يجب اعتبار حفظ التدين في الأسرة من الضروريات. ومن أجل تحقيق هذا المقصد جاءت أحكام الشريعة بمسؤولية رب الأسرة منذ بداية بتكوينها باختيار ذات الدين، وبتعليم زوجته وأولاده شؤون العقيدة والعبادة والأخلاق، وأجزلت الثواب لمن قام بهذا الواجب، قال الله ﷻ: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾[٣]– [٤].

٤ – تنظيم الجانب المؤسسي للأسرة

المقصود بالجانب المؤسسي اعتبار الأسرة مؤسسة الأصل فيها الديمومة لا التأقيت، وتنتظم العلاقات بين أطرافها حقوق وواجبات، ويرأسها رب الأسرة (الذي له القوامة) والذي يتشاور مع زوجته فيما يخص شؤونها، ويتبعان أسلوبا رسمته الشريعة للتحكيم في حالة الخلاف ولفك الارتباط بينهما إذا احتدم النزاع. ولم يقتصر التنظيم على الأسرة الصغيرة المكونة من الزوجين وأولادهما، ولكن امتد إلى ما يسمى الأسرة الموسعة التي تشمل الأقارب والأصهار، فرتبت الشريعة العلاقات الشاملة لجميع هذه الأطراف[٥].

---

[١] ـ نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٤٩.
[٢] ـ المصدر السابق، ص: ١٥٠.
[٣] ـ سورة طه، الآية رقم: ١٣٢
[٤] ـ نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٥٣
[٥] ـ المصدر السابق، ص: ١٥٣.

ثالثا – مقاصد الشريعة فيما يخص الأمة

١ – وحدة الأمة

الأمة الواحدة هي أمة غير منقسمة، إذ أنها كيان واحد فقط، متلاحم الأجزاء، وهذا هو حال الأمة المسلمة الحقة، ولا يُتصور لها حال إلا تلك. وثمة ارتباط ضروري بين الإسلام والوحدة، فهو العلة الأولى لحصولها، وهي تدور معه وجودا وعدما، فالتفكك يكون نتيجة ضرورية للتفرق في الدين والانحراف عن الحق الذي وظيفته الأساسية الجمع والتوحيد. ولهذا، فإن بقاء الأمة الواحدة مشروط ببقائها على الحق. ولا يؤثر في ذلك الاختلاف الواقع، إذا لم يؤد إلى ذهاب الريح والقوة والألفة، لأن التنوع هو خصيصة بشرية، ولا تعني وحدة الأمة إلغاء تلك الاختلافات أو طمسها، فذلك متعذر عقلا وواقعا، ومناقض لطبيعة الأشياء، قال ﷻ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير** ﴾[١]، فالأصل في البشر هو التنوع قصد التعارف ثم التآلف، لا التفاخر ثم التطاحن، والتقوى هي الأساس الذي يعلى شأن بعض الناس على آخرين عند الله ﷻ[٢].

٢ – إقامة العدل والقسط بين الناس

العدل في اللغة: ما قام في النفوس أنه مستقيم. وهو ضد الجور[٣]. وهو أيضا التسوية، وقد شاع إطلاقه على إيصال الحق إلى أهله، ودفع المعتدي على الحق عن مستحقه[٤]. وفي الاصطلاح، عرفه ابن عاشور بأنه: " المساواة بين الناس أو بين أفراد أمة أو مجموعة، في تعيين الحقوق لمستحقيها، وفي تمكين كل ذي حق من حقه، بدون تأخير، فهو مساواة في الاستحقاق وفي التنفيذ، وليس العدل المساواة بين الناس بدون استحقاق"[٥].

والعدل قيمة إنسانية عظمى، ومقصد أساسي من المقاصد العليا للشريعة، وقد حث الله ﷻ على إقامة العدل وتمثله في كل مناحي الحياة، وخاصة في التعامل بين البشر، ولا شك أن هذا سيؤدي إلى انتظام أمورهم،

---

(١) - سورة الحجرات، الآية رقم: ١٣

(٢) - البدري: توفيق، مفهوم الأمة وأوصافها في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة – سابقا)، السنة: ٢٤، العدد: ٩٤، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م، ص: ١٠٦،١٠٧.

(٣) - المحكم والمحيط الأعظم، ١١/٢.

(٤)- التحرير والتنوير: ٩٤/٥.

(٥) - المصدر السابق.

والمحافظة على حقوق الإنسان الأساسية. فالبعد ينعم الإنسان بحقه في حياة مفعمة بمعاني الحرية والمساواة، ذلك أن العدل هو الطريق لتحقيق حرية الإنسان، والمساواة بين البشر[1].

٣- تحقيق خيرية الأمة

قال ﷻ: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ** ﴾[2]، يُذكِّر الله ﷻ الأمة بواجبها بعد أن اختارها لتحمل الرسالة، مقيدا هذه الخيرية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان الله ﷻ[3]، وخيرية هذه الأمة تقتضي أن يصل خيرها إلى غيرها، فيكون المعنى: كنتم خير الناس للناس. والأمة الإسلامية ليست كالأمم، فهي أمة من طراز خاص، أخرجها الله ﷻ، ولم تُخرِج نفسها، وإنما أُخرجت لتكون رائدة لكل البشرية[4]. فيكون مطلوبا منها أيضا نشر دعوة الله ﷻ في الأرض.

٦- حماية الحريات

الحرية مقصد أصلي من مقاصد الشريعة، ومن أنواعها: الحرية ضد العبودية، وحرية العاقل في التصرف في شؤونه بالأصالة دون إذن من أحد، وحرية الاعتقاد، وحرية الرأي والفكر، وحرية عمل أي من الأعمال المباحة، وحرية العلم والتعليم والتأليف، وحرية القول القائمة على أساس الصدق في الأخبار[5]. وذلك على أساس أن الشرع يقيد الحرية بقيود ليحفظ للغير نصيبه من الحرية وقدره من الحركة، حفاظا واستمرارا للحرية.

رابعا – مقاصد الشريعة فيما يخص الإنسانية

فيما يلي بعض مقاصد الشريعة فيما يخص الإنسانية:

١- التعارف والتعاون والتكامل

قال ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[6]. فمقصد التنوع هو التعارف، ويأتي مقصد التعاون نتيجة مكملة لمقصد

---

[1]- حمادي: سهام، مقصد العدل وأثره في رعاية حقوق الإنسان، بحث منشور في مجلة الشريعة والاقتصاد، الصادرة عن كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة – الجزائر، المجلد السابع، الإصدار الأول لسنة ٢٠١٨م، يونيو ٢٠١٨م، ص: ٨٠.

[2] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١١٠

[3] - التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٤٩٨/١.

[4] - قطب: محمد، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ط: دار الشروق ١٩٩٢، ، ص: ١٨٥.

[5] - مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ١٣٢،١٣٠/٢، ٦٩٢/٢.

[6] - سورة الحجرات، الآية رقم: ١٣

التعارف، كما يرفد مقصد التكامل هذين المقصدين، لأن سنة الله ﷻ في خلقه وكونه، لا تقتصر على تنوع الناس، وإنما تشمل كذلك تنوع المصادر والثروات الطبيعية، بما يجعل كل شعب محتاجا إلى ما لدى الشعوب الأخرى، فيحدث التبادل في السلع والخدمات تحقيقا لمقصد التكامل[١]

٢- حماية حقوق الإنسان

حقوق الإنسان في الفكر الغربي هي: مجموعة الاحتياجات أو المطالب التي يلزم توافرها بالنسبة إلى عموم الأشخاص وفي أي مجتمع، دون أي تمييز بينهم لاعتبارات الجنس أو النوع أو اللون أو العقيدة السياسية أو الأصل الوطني أو لأي اعتبار آخر[٢].

أما في الفكر الإسلامي فحقوق الإنسان هي: حقول الله التي يترتب على الوفاء بها وأدائها على خير الوجود خلوص العبودية لله والطاعة له سبحانه والقيام بتكاليف شرعه الحنيف، أو هي المزايا الشرعية الناشئة عن التكريم الإلهي للإنسان التي يجب على الجميع رعايتها تنفيذا لأحكام الشارع وتنفيذا لمقاصده[٣].

وحقوق الإنسان كثيرة ومتنوعة، وتشمل حق الحياة، وحق الحرية، وحق المساواة، والحق في التعليم، والحق في مستوى معيشي لائق، والحق في العمل، والحق في تولي الوظائف، ... وغيرها من الحقوق[٤].

٣- نشر دعوة الإسلام

من أهم مقاصد الشريعة في المحيط الإنساني العام تبليغ الإسلام باعتباره رسالة عالمية، موجهة للناس كافة، ويقع عبئ تبليغها على المسلمين. ومنهج الإسلام في ذلك هو الحكمة والموعظة الحسنة، والحوار العقلي المنطقي، لكن ليس من منهج الإسلام إجبار الناس على اعتناق العقيدة.

وإذا كان تحقيق هذا المقصد يحتاج إلى سفر الدعاة واتصالهم المباشر بالناس، فقد أضافت وسائل الاتصال الحديثة أبعادا أخرى عبر الإذاعات المسموعة والمرئية والانترنت. ويبقى مع ذلك أهمية الاتصال الشخصي والقدوة الحسنة.

---

[١] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٦٦.
[٢]- مقصد العدل وأثره في رعاية حقوق الإنسان، ص: ٨٧.
[٣]- المصدر السابق.
[٤] - المصدر السابق.

ومن مظاهر المرحلة الحالية أن كثيرا من دول الغرب تتيح من الحرية الفكرية وحرية العقيدة أكثر مما يوجد في بلاد الإسلام، ويحتاج هذا المقصد إلى إعداد الدعاة إعدادا خاصا، بإتقان لغات الشعوب التي يُبعثون إليها، ودراسة عقلياتهم ومشاكلهم، ومعرفة المداخل الصحيحة إلى عقولهم وقلوبهم، وبيان العلاج الإسلامي لما يعانونه من مشاكل تختلف عن مشالك المسلمين في بلادهم[١].

[١] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ١٧٠:١٧٢.

الباب الخامس - شرط تحقيق الوعد الإلهي

الفصل الأول: حقيقة شرط الوعد الإلهي

الفصل الأول: حقيقة شرط الوعد الإلهي

تعريف الشرط

١ – الشرط في اللغة

الشّرْط لغة: تعليق حصول أمر على حصول أمر آخر، وقيل: ارتباط فعل أو قول بشيء آخر، أو ما تعلق به حصول فعل أو قول. وقيل: الشرط إلزام الشيء والتزامه[١].

٢ – الشرط في الاصطلاح

الشرط في العرف العام: ما يتوقف عليه وجود الشيء[٢]، وعند الأصوليين: هو الخارج عن الشيء الموقوف عليه ذلك الشيء غير المؤثر في وجوده[٣]، أو هو الوصف الظاهر المنضبط الذي يتوقف عليه وجود الحكم من غير إفضاء إليه. وبعبارة أخرى: هو ما يستلزم من عدمه عدم الحكم أو عدم السبب.

ومعنى : (من غير إفضاء إليه): أي من غير تأثير له فيه. وذلك أن وجود الشرط لا يستلزم وجود المشروط ولا عدمه، ولهذا عُرِّف بأنه: ما يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم[٤].

وفي اصطلاح المتكلمين: هو ما يتوقف عليه الشيء، ولا يكون داخلا في الشيء، ولا مؤثرا فيه. وبالجملة: الشرط أمر خارج عن الشيء، يتوقف عليه الشيء، ولا يترتب عليه[٥].

---

[١] - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ١٠١٣.

[٢] - المرجع السابق، ١٠١٤/١.

[٣] - المرجع السابق، ١٠١٤/١.

[٤] - أصول الفقه الإسلامي – الزحيلي، ١/ ٩٨.

[٥] - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١٠١٤/١.

شرط تحقيق الوعد الإلهي

قال ﷻ: ﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ ﴾

شرط الوعد الإلهي هو (العبادة بلا إشراك) المذكور في قوله ﷻ: ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾.

فالتعبير بالمضارع ﴿ **يَعْبُدُونَنِي** ﴾ الواقع حالاً من ﴿ **ليستخلفنهم** ﴾ و﴿ **ليبدلنهم** ﴾، دلالة على تقييد تحقيق وعده ﷻ لعباده بالاستمرار على عبادته. ويجوز أن تكون جملة ﴿ **يَعْبُدُونَنِي** ﴾ استئنافاً لا محل له من الإعراب، وفائدة الاستئناف هنا بيان مستحقات الوعد الإلهي وشروطه حتى يتحقق[١].

ومن بلاغة القرآن في هذه الآية أن الأسلوب قد خولف في قوله ﷻ: ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ حيث كان ظاهر الكلام أن يُقال: (يعبدونه لا يشركون به شيئا) اتساقا مع ما قبله، وعدل عن ذلك إلى ضمير المتكلم ﴿ **يَعْبُدُونَنِي** ﴾، وليس دليل العظمة (يعبدوننا)؛ لأن ضمير المتكلم ﴿ **يَعْبُدُونَنِي** ﴾ مُشْعِر بالوحدانية المطلقة، وبوجوب أن تكون العبادة خالصة محضة من أية شائبة من شوائب الشرك مع الله ﷻ ، وهذا أيضا هو السر البلاغي في عدم فصل الجملة الثانية: ﴿ **لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ عن جملة: ﴿ **يَعْبُدُونَنِي** ﴾، حيث لم يقل: (يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً)؛ للإشارة إلى وجوب اقتران العبادة بالإخلاص، حتى كأنهما صفة واحدة لا تنفصل، أو كأنهما جزءان غير منفصلين، وهذا يدل على الأهمية القصوى للإخلاص.[٢]

وقوله ﷻ: ﴿ **مَنْ كَفَرَ** ﴾: (الواو) استئنافية، و﴿ **مَنْ** ﴾: شرطية، مبتدأ و ﴿ **كَفَرَ** ﴾ فعل ماض: فعل الشرط. و﴿ **بَعْدَ ذلِكَ** ﴾ متعلق بـ ﴿ **كَفَرَ** ﴾، وجملة: ﴿ **فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ** ﴾: جواب الشرط[٣].

عاقبة الإخلال بالشرط

هذا الشرط يشبه الشرط الوضعي، من حيث أن تحقيق الوعد الإلهي متوقف على حصوله، لكن بدون أن يكون مؤثرا بذاته في تحقيق الوعد الإلهي. بمعنى أنه إذ تحقق هذا الشرط في مجموع الأمة بالحد الأدنى

---

(١) ـ الوعد الحق، من كنوز البلاغة القرآنية، (مقال).

(٢) ـ المصدر السابق.

(٣) ـ الدرويش: محي الدين (ت ١٤٠٣ هـ)، إعراب القرآن وبيانه، تفسير سورة النور، ص: ٦٤٢،٦٤١. منشور على موقع الموسوعة القرآنية، https://quranpedia.net/surah/١/٢٤/book/٦٤

المقبول كما وكيفا – في تقديرنا لا يقل عن ٧٠٪ من المجتمع – فإنه يُنتظر أن يحقق الله ﷻ، وعده، لكن ليس معنى حصول الشرط أن يتحقق الوعد تلقائيا، لأن ذلك بمشيئة الله ﷻ، وقدره.

قوله ﷻ: ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ يعني أن هؤلاء المؤمنين يعبدون الله ﷻ وحده، في كل صور العبادة، وأنهم يوحدون الله ﷻ ، ولا يعبدون غيره، ولا يشركون به غيره، ومن أهم مظاهر عبادة الله ﷻ: الخضوع المطلق له، وتلقي الأوامر والتشريعات منه، وعدم تلقيها من غيره، فالعبادة في روحها تعني إفراد الله ﷻ بالشعائر التعبدية، وبالشرائع القانونية، وكافة الأحكام الشرعية. فإذا لم يكن خضوع المؤمنين مطلقا لله ﷻ، وإذا لم يوجهوا كل عباداتهم لله ﷻ، وإذا كانت بعض مظاهر ومجالات حياتهم غير خاضعة لله ﷻ ، لم ينالوا هذا الوعد لأنهم هم الذين أخلوا بالشرط.

ومسلمو هذا الزمان لم تتحقق في حياتهم هذه الوعود الثلاثة – الاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، وتبديل الخوف أمنا – على الصورة المثلى التي تحققت عليها عند المسلمين السابقين، وهم السبب في ذلك، لأنهم لم يحققوا الشرط في قوله ﷻ: ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾، فهم خاضعون لله ﷻ في جزءِ صغير من حياتهم، وهو الخاص بالشعائر التعبدية، وخاضعون لغير الله ﷻ ، ويطبقون شرع غير شرع الله ﷻ في معظم جوانب حياتهم[1].

التحذير من كفر نعمة التمكين

قال ﷻ: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾.

الكفر في قوله ﷻ: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ** ﴾ هو كفر بنعمة تمكين الدين والاستخلاف والأمن، المعبر عنها باسم الإشارة للبعيد ﴿ **ذَلِكَ** ﴾ للدلالة على علو منزلة الوعد وعظمته، ومما يدل على أن المراد كفر النعمة وليس كفر الدين– كما قيل– قوله ﷻ: ﴿ **فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ ولم يقل: **(هم الكافرون).**

حيث جيء باسم الإشارة للبعيد أولئك وبضمير الفصل هم وبتعريف الخبر– المسند– ﴿ **الْفَاسِقُونَ** ﴾ بلام الجنس، وكل هذا من أجل الدلالة على بُعد ضلالهم، وكمال اتصافهم بصفة الفسق، واختصاصهم بها.

---

[1] - وعود القرآن بالتمكين للإسلام، ص: ١٩٩،٢٠٠.

والآية تحذر من الغفلة والتهاون في مراقبة شروط الاستخلاف، فإن تعطلت الشروط تدهورت الحضارة، ودخلت في حتمية الدورة. وكل الحضارات بدأت بالانهيار عندما أصبح الإنسان عبدا لهواه وشهواته. وبذلك يحررنا القرآن الكريم من الوقوع في حتمية الدورة الحضارية، فالأمر مرتبط بشروط، والشروط ضمن إرادة الإنسان واختياره، وبإمكانه أن يحرص عليها[١].

---

[١] - من هَدْي سورة النور، ص: ١٢٨.

الفصل الثاني: العبودية ﴿ يَعْبُدُونَنِي ﴾

الفصل الثاني: العبودية ﴿ يَعْبُدُونَنِي ﴾

نوط الوعد الإلهي بالعبادة

إن نوط الوعد الإلهي بالعبادة، يشبه الوعد في الزبور في قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[١] وجملة ﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ تذييل للوعد وإعلان بأن قد آن أوانه وجاء إبانه. فإن لم يأت بعد داوود قوم مؤمنون ورثوا الأرض، فلما جاء الإسلام وآمن الناس بمحمد ﷺ فقد بُلغ البلاغ إليهم[٢].

والمراد بالقوم العابدين: من شأنهم العبادة، لا ينحرفون عنها قيد أنملة، كما أشعر بذلك جريان وصف العابدين على لفظ قوم المشعر بأن العبادة هي قوام قوميتهم، فكأنه يقول : (فقد أبلغتكم الوعد فاجتهدوا في نواله). والقوم العابدون هم أصحاب رسول الله ﷺ الموجودون يومئذ والذين جاءوا من بعدهم".

والعبادة :الوقوف عند حدود الشريعة .قال ﷻ: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[٣]، وقد ورثوا هذا الميراث العظيم وتركوه للأمة بعدهم، فهم فيه أطوار كشأن مختلف أحوال الرشد والسفه في التصرف في مواريث الأسلاف[٤].

معنى العبادة

١- العبادة في اللغة

أصل العبادة في اللغة: (التذليل) من قولهم : طريق معبد: أي مذلل، بكثرة الوطء عليه، والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب في المعاني، وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة[٥]. فالعبادة فعل يدل على الخضوع أو التعظيم الزائدين على المتعارف بين الناس[٦].

---

[١] - سورة الأنبياء، الآيات: ١٠٥،١٠٦

[٢] - التحرير والتنوير، ١٧/ ١٦٣.

[٣] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١١٠

[٤] - التحرير والتنوير، ١٦٤/١٧.

[٥] - ابن سيده: على بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)، المخصص، ت: خليل إبراهيم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م، ٤/ ٦٢.

[٦] - التحرير والتنوير، ١٨٠/١.

والخضوع والتذلل: أي استسلام المرء وانقياده لأحد غيره، انقيادا لا مقاومة معه، ولا عدول عنه، ولا عصيان له، حتى يستخدمه هو حسب ما يرضى، وكيف ما يشاء[١].

والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المُنْعِم بأعلى أجناس النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر والشكر، فلذلك لا يستحق العبادة إلا الله ﷻ [٢].

٢- العبادة في الشرع

العبادة في الشرع تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابدا له، حتى تكون محبا خاضعا[٣].

خطأ صنفين من الناس في فهم حقيقة العبادة

١- الصنف الأول: من أسرف في دعوى المحبة، حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبادية، وهذا باب وقع فيه كثير من شيوخ المتصوفة، وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بينها الرسل، وضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته[٤].

٢- الصنف الثاني: من ظن أن المحبة تنافي أدب العبودية، ولا تصاحب خشية الله ﷻ ومخافته التي يجب أن يتصف بها كل عبد لله ﷻ ، كما ظن أن المحبة لا تتحقق من المخلوق للخالق، إنما المطلوب منه الطاعة والخضوع فقط. والحقيقة أن المحبة لا تنافي الخشية والمخافة، بل الخوف لازم للمحبة. فليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ﷻ، ومحبته له وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله ﷻ فيصير القلب منيبا إلى الله ﷻ خائفا منه، راغبا راهبا، قال الله ﷻ: ﴿ **مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ** ﴾[٥] إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه أو عدم حصول مرغوبه، فلا يكون عبد الله ﷻ ومحبه إلا بين خوف ورجاء.

---

[١] - المودودي: أبو الأعلى بن أحمد حسن (ت ١٣٩٩ هـ)، المصطلحات الأربعة في القرآن، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الألباني، ص: ٦٠.

[٢] - المخصص، ٤/ ٦٢.

[٣] - ابن القيم: محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١ هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: مجموعة من العلماء، ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م، ٣٢٧/١،

[٤] - القرضاوي: يوسف، العبادة في الإسلام، ط: مكتبة وهبة، عابدين – القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م، ص: ٣٦.

[٥] - سورة ق، الآية رقم: ٣٣

العبادة مهمة الإنسان الأولى في الكون

الإنسان هو الكائن المختار للخلافة، جعله الله ﷻ خليفة في الأرض، **قال الله** ﷻ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[1]. فالحكمة من خلق هذا الخليفة هي عبادة الله ﷻ، وهي مستفادة من قوله ﷻ: ﴿ **وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[2].

فالخلافة عبادة طوعيَّة لله ﷻ بالتزام هديه وشرائعه، ينشأ عنها ضبط للسلوك الإنساني في علاقته مع الله ﷻ، وعلاقته بالكون والمخلوقات؛ بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح[3]. وهي تكريم من ناحية، وتكليف من ناحية أخرى[4]. ليباشر مهمة الإعمار والبناء في الأرض، وفق إرادة الله ﷻ لتحقق بذلك العبودية الكاملة لله ﷻ في هذا الكون[5].

لا يُعبد الله ﷻ إلا بما شرع

إن مقتضى عبادة الإنسان لله ﷻ وحده: أن يُخضِع أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه، من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال، وأن يكيف حياته، وسلوكه، وفقا لهداية الله ﷻ وشرعه.

فليس بعابد لله ﷻ تعالى إذن:

١- من صلى وصام وحج، لكنه اتبع هواه في غير ذلك، مخالفا ما لا يروق له من أحكام الشريعة، في شئون حياته الخاصة والعامة، أو في شئون المجتمع والدولة.

٢- من ادعى من الخلق أنه له أن يشرع ما شاء، أمرا ونهيا، وتحليلا وتحريما، بدون إذن من الله ﷻ، وكذلك من أقر له بهذا الحق، وانقاد لتشريعه ونظامه، وخضع لمذهبه وقانونه، وأحل حلاله وحرم حرامه، قال تعالى: ﴿**ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰها وَاحِداۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ**﴾ [6].

---

[1] - سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠

[2] - سورة الذاريات، الآية رقم: ٥١

[3]- السعدي: إسحاق بن عبد الله، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ٢٠١٣م، ٢/٨٣٠. (ش)

[4] - بهاء الدين: شيماء، الاستخلاف، مقال منشور على موقع الفكر الإسلامي والدراسات المعاصرة، يوم ١٧ يناير ٢٠٢٢. الاستخلاف – مركز الفكر الإسلامي والدراسات المعاصرة(citcs.center)

[5] - وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم – دلالاتها وأبعادها الحضارية، ص: ١٩٨.

[6] – سورة التوبة، الآية: ٣١

٣- من لم يخضع لآداب الإسلام وتقاليده في نفسه أو أهله، كالذي يلبس الحرير، أو يتحلى بالذهب، من الرجال، ومن تلبس ما يبرز مفاتنها، ولا يغطي جسدها، من النساء.

٤- ومن العبادة التي يغفلها كثير من الناس: الخضوع لشرع الله ﷻ، والانقياد لأحكامه التي أحل بها الحلال، وحرم الحرام، وفرض الفرائض، وحد الحدود [١].

مراتب العبادة

للعبودية مراتب، بحسب العلم والعمل:

١- المراتب العلمية:

- العلم بالله ﷻ: ويشمل: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتنزيهه عما لا يليق به سبحانه.
- العلم بدينه: ويشمل: العلم بشرعه، وهو الصراط المستقيم الموصل إليه، والعلم بجزائه، المتضمن ثوابه وعقابه، ويدخل فيه: العلم بملائكته، وكتبه، ورسله.

٢- المراتب العملية (لأهل كل منها درجات لا يحصيها إلا الله ﷻ):

أ- مرتبة أصحاب اليمين: وتعني أداء الواجبات، وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات، وبعض المكروهات، وترك المستحبات.

ب- مرتبة المقربين: بالقيام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات، زهدا فيما لا ينفع في المعاد، وتورعا عما يخافون ضرره. فهؤلاء قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية[٢].

العبادة ثمرة العلم

العبادة ثمرة العلم، وفائدة العمر، ومحاصل العبد، وبضاعة الأولياء، وطريق الأقوياء، وقسمة الأعزة، ومقصد ذوي الهمة، وشعار الكرام، وحرفة الرجال، واختيار أولى الأبصار، وهي سبيل السعادة، ومنهاج الجنة، قال تعالى : ﴿**وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ**﴾[٣] ، وقال: ﴿**إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا**﴾[٤].

---

[١] ــ العبادة في الإسلام، ص: ٥٣.

[٢] ـ الشامي: صالح أحمد، المهذب من مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، ط: دار القلم ــ دمشق، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م، ص: ٤٨.

[٣] ـ سورة الأنبياء، الآية رقم: ٩٢

[٤] ـ سورة الإنسان، الآية رقم: ٢٢

وطالب الخلاص والعبادة، عليه أولا بالعلم، فإنه القطب وعليه المدار . فالعلم والعبادة جوران لأجلهما كان كل مجهودات العلماء، ومن أجلهما أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، بل لأجلهما خلقت السماوات والأرض.

ويلزم تقديم العلم على العبادة، لأمرين:

١- ضرورة معرفة المعبود قبل عبادته.

٢- ضرورة معرفة الواجبات الشرعية قبل القيام بها[١].

شمول العبادة واتساع مفهومها

أ- شمول العبادة

لئن كان من العبادة أشكال مقررة مسنونة أدعى وأخلص لذكر الله ﷻ، فإنما ذلك هو النصاب الأدنى الذي يضمن للإنسان أصلا من التدين، ثم تلتمس وجوه العبادة وراء ذلك عبر مختلف أشكال الحياة وأعمالها. فإذ كمل إيمان المرء، وخلصت عبودية لله ﷻ، سرت روح الدين في حياته جميعا وانتظمت كل عمل تتيحه الظروف التي تلقيها بين يديه أقدار الله ﷻ، فتتجلى العقيدة في:

- **المجال السياسي:** إفرادا لله ﷻ بالحاكمية، ورفضا لحكم الهوى والطاغوت، ومخافة لليوم الآخر في تصريف السلطة والولاية، ومجاهدة لقوة الباطل في سبيل الله ﷻ.
- **المجال الاقتصادي:** إقرارا في شأن المال بمالكية الله ﷻ وخلافة البشر، وتوجيها للسعي في الرزق نحو مقاصد العبادة، وعكوفا عن التعبد للمتاع، وقياما في علاقات المعاش بمقتضى تقوى الله ﷻ وطاعته.
- **المجال العلمي:** توحيدا لمعقول العلم ومنقوله، في سبيل الازدياد من معرفة الله ﷻ ، وتسخيرا له من أجل الاتساع في عبادته.

بل تتمثل العقيدة في كل وجوه الحياة وتتكثف العبادة كلما تشعبت تلك الوجوه. فإذا صح الإيمان ووقر في النفس فاض في واقع الحياة حتى تغدو كلها مشهدا له يحققه ويصدقه، وإذا أصابته العلة انحسر عن بعض نواحيها حتى إذا غلب عليه الفساد أجدبت من مظاهره[٢].

---

[١] - الغزالي: محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، ت: محمود مصطفى، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م، ص: ٤٧.

[٢] - الإيمان، أثره في حياة الإنسان، ص: ١٠،١١.

ب– اتساع مفهوم العبادة

١– العبادة تسع الحياة كلها

يؤكد القرآن الكريم في عدة مواضع أن الله ﷻ ما خلق (الجن والإنس) إلا (ليعبدوه)، وليس مفهوم العبادة هنا، مساحة ضيقة لا تتجاوز دائرة (الشعائرية) و (الاتصال الروحي) بالله ﷻ بل إنه تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء، وتغدو أشبه بالبرنامج الشامل الذي ينظم فاعليات الجماعة البشرية في الأرض، ويمنحها معنى، ويسير بها إلى هدف واضح مرسوم. إنه يمنح التجربة الحضارية طابعها الخاص، ويعطيها الدافع والمبرر، وينفخ فيه روح الإبداع والابتكار، والتطور الدائم الفعال، كما إنه يتجاوز بها السفوح الدنيا للنشاط البشري، إلى القمم التي تليق بمكانة البشرية في ساحة العالم.

وبهذا تُسقِط العبادة كافة السلبيات التي يمكن أن تعلق بأي نشاط حضاري لا يعتمد برنامجا شاملا، أو لا يسعى إلى هدف واضح، ولا يلتزم أخلاقية الإنسان في حواره مع خالقه. كما يكون من وراء هذا النشاط والجهد البشري غايات أساسية يتمحور حولها وتَنْشَّد جميعا إلى غاية الغايات، والمركز الذي تتجه إليه الخلائق جميعا في نشاطاتها المختلفة لتحقق به وجودها وتجد مصيرها، تلك هي عبادة الله ﷻ والتلقي عنه والتوجه إليه[١].

قال العز بن عبد السلام في كتابه «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» : الطريقة إلى الله ﷻ لها ظاهر (عمل بدني ظاهر) وباطن (عمل قلبي) فظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة، والمراد من الشريعة والحقيقة إقامة العبودية على الوجه المراد من المكلف. ويجمع الشريعة والحقيقة كلمتان هما قوله: إياك نعبد وإياك نستعين فإياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة. ا.هـ[٢].

والعبادة بذلك تشمل:

أ– الفرائض والأركان الشعائرية: من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج.

ب– التعبد التطوعي، كالذكر، والتلاوة والاستغفار، والتسبيح.

ج– حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد، كبر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان لليتيم والمسكين.

---

(١) ـ التفسير الإسلامي للتاريخ، ص: ١٨٥،١٨٦.

(٢) ـ التحرير والتنوير، ١/ ١٣٤.

ء- الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها، كالصدق، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد.

هـ- الأخلاق الربانية: كحب الله ﷻ، ورسوله ﷺ، وخشية الله ﷻ، والإنابة إليه، والصبر، والشكر، والرضا.

و- الفروض الكفائية، كالجهاد، والأمر بالمعروف عن المنكر، وكل عمل اجتماعي نافع[١].

ز- الأخذ بالأسباب التي أمر الله ﷻ بها. ومراعاة السنن الكونية[٢].

ح- الحاجات الضرورية التي يؤديها المسلم لدافع الغريزة: كالأكل، والشرب، ومباشرة الزوج لزوجته، إذا توفرت فيها النية[٣].

ط- إذا صحح الإنسان نيته كانت حياته كلها عبادة لله ﷻ [٤].

٢- العبادة تشمل الزمان كله والمكان كله

يتميز النشاط التعبدي في الإسلام، في أنه لا يقتصر على فترات متقطعة من الزمن، أو أماكن محددة من العالم، وإنما ينساح ليشمل كل الأماكن والأزمان. بل إنه في جوهره:

- تذكُّر للوجود الإلهي في الكون، وإدراك لأبعاده الشاملة: قدرة، وإرادة، وإحاطة، ورقابة، وعلما.

- كما أنه اتصال دائم بالله ﷻ في كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال ظاهرة مرئية، أو إرادات لم تتشكل في أفعالها بعد، أو نيات وخواطر وتأملات وهواجس تدور في أعماق النفس.

- وتقدير لعظمة الله ﷻ الذي خلق الكون والحياة والإنسان على أروع وأدق نظام.

- واعتراف بالجميل للخلاق المبدع، الذي هيا للبشرية ظروفا تمكنها في كل وقت من تحقيق السعادة الكاملة في الأرض والسماء.

إن التعبد بهذا المعنى يمتد إلى كل مساحات الحياة البشرية الظاهرة والخفية، الخاصة والعامة، الفردية والجماعية، المادية والروحية، تماما كما تمتد الدماء وتسري في أوصال الجسد البشري وخلاياه[٥].

---

[١] - انظر كتابنا: نور الوعد الإلهي، ١- لزوم الفروض الكفائية، ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني.

[٢] - العبادة في الإسلام، ص: ٥٠.

[٣] - المصدر السابق، ص: ٦٤.

[٤] - العبادة في الإسلام، ص: ٦٥.

[٥] - التفسير الإسلامي للتاريخ، ص: ١٨٦.

والحق أن من الصعوبة بمكان الفصل بين الشعائر الإسلامية وبين القاعدة التعبدية، نظرا للارتباط الدقيق بينهما، فضلا عن أن هذه الشعائر نفسها لا تنصب على الجانب الروحي التأملي فحسب، بل تنساح إلى كل جوانب النشاط الإنساني الحركي: جسدا، وعاطفة، وروحا، وعقلا، وفلسفة، ووجدانا.

فالإسلام يرسم لأتباعه برنامجا عمليا للصعود والترقي، ينتهي بأبعد آفاقه في تلك اللحظات التي يتوحد الإنسان فيها مع ذاته وعقيدته، ويغدو تعبيرا حيا عنها، بحيث أنه لا يمارس عملا إلا وهو يستشعر خلال تلك الممارسة الوجود الإلهي المحيط المريد، وحينذاك يكون المسلم قد حقق أقصى درجات إسلاميته وهي (الإحسان) ويكون الإسلام قد أدى دوره الكامل[١].

سؤال: قد يبادر إلى الذهن سؤال: وهو إذا كانت العبادة الإسلامية تمتد وتشمل هذه المساحة الواسعة من حياة الإنسان، فلماذا أضاف إليها الإسلام شعائر يومية وموسمية محددة، تتمثل بالصلاة والصيام والزكاة والحج، وأوجب على المسلمين الالتزام بها، واعتبر التخلي عنها حدا بين الكفر والإيمان؟

الجواب: إن الإسلام جاء ضابطا، ومحددا، ومنظما، انطلاقا من إيجابيته، وواقعيته، في تحديد الأشياء، والعلاقات، والقيم، ذلك لأن ترك الإنسان حرا في ممارسة تبعده لا يضمن قيام هذا التعبد لدى بعض المنتمين واستمراره لدى بعضهم الآخر. فلابد إذن من وجود حد أدنى مُلزِم يكون بمثابة قاعدة يمكن أن يُبْنى فوقها المزيد من النشاطات التعبدية التي تصل بالمسلم – اختيارا – وعلى حسب المقدرة، إلى درجة الإحسان، وإلى تحويل الحياة كلها إلى ساحة للتعبد والتذكر.

والتجربة الحياتية الكبرى قائمة على توازن فذ عجيب بين الأخذ والعطاء، والإنسان يبلغ قمة إنسانيته عندما يصل تلك النقطة التي يحقق فيها ذلك التوازن بحيث يبلغ أقصى درجات الانسجام، والتوحد الباطني، والحيوية الحسية، والنشاط الروحي، والتفتح العقلي، والحركة الجسدية، لأن الله ﷻ، وهو أدرى بخلقة، جعل عبادته التي هي هدف الخليقة جميعا، مفتاح هذه المصير الذي يطمح إليه كل إنسان، وأي إنسان في الأرض يطمح لأن يكون متوحدا، منسجما، حيويا، نشيط وحركيا.

كما إن العبادة في الإسلام لا تعني – كما هو الحال في كثير من الأديان والعقائد – حوارا جزئيا مع الله ﷻ في ساعات معينة من الليل أو النهار، بأداء بعض حركات محددة، واستعادة تعابير وصلوات مكتوبة سلفا، وهدوءا جسديا موقوتا بزمن هذا الحوار تسوده الآلية والكسل الروحي في معظم الأحيان، بل تعني أن

---

[١] - المصدر السابق، ص: ١٨٧.

ينقلب الإنسان إلى تيار الحياة الهادر الصاخب لكي يحرك مكوناته التي جمدتها لحظات الصلاة، ثم بعد ذلك ينطلق متعاملا مع الآخرين بشخصيته الثانية، الشخصية الدنيوية العلمية الحركية.

ففي الإسلام كل فاعليات الإنسان تبدو عبادة لله ﷻ ما دام الإنسان قد وضع الله ﷻ نصب عينيه، وكلما كان الله ﷻ أكثر تجليا للإنسان خلال إحدى ممارساته، كلما جاءت تلك الممارسة أكثر انسجاما مع مفهوم العبادة الشامل العميق. وهذا لا يتحقق للإنسان إلا بالصبر والمران والدأب، لكي ما يلبث أن تجيء ثماره حلوه كالرحيق المختوم[١].

وبالتوجه إلى الله ﷻ تنمو عواطف الإنسان، وبالعبادة لله ﷻ فقط ترتقي هذه الإحساسات، فالله ﷻ قد أعطى الإنسان كثيرا من صفاته، وكثيرا من أسمائه، وطالبه بالعبودية له. فقد أعطاه: الرحمة، والكرم، والرأفة، والإرادة. وعندما يعرف الإنسان الله ﷻ، ويتقدم له بالعبادة، فإنه ينمي خصائصه الإنسانية.

والثقافة الإسلامية هي الوحيدة التي تنمي إنسانية الإنسان، وتضعه في محله الصحيح في هذا الكون، وفي الوقت نفسه توجهه نحو جوانب التقدم البشرى جميعا، نحو جوانب الحضارة[٢].

والعبادة هي إعطاء الاهتمام الأكبر لأمر من الأمور. وقد تحدث (توماس كارليل) في كتابه: (فلسفة الملابس) عن عشيرة المتأنقين، فقال عنهم: " إن لهم معابدهم، وهي دور الأزياء. ولهم صلواتهم في الليالي الطويلة التي يقضونها ساهرين في سبيل الأناقة. وقد تحدث رسول الله ﷺ عن بعض أنواع العبادة لغير الله ﷻ حيث قال: **(تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة** – أي الثوب **)**[٣]. فالمعبود: هو الشيء الذي تفكر فيه أكثر من أي شيء آخر، وتبذل من أجله جل وقتك وجهدك ومالك[٤].

٣– العبادة تشمل الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة

العبودية اسم جامع للأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة:

أ– الأقوال الباطنة: وهي (أقوال القلب): باعتقاد ما أخبر ﷻ به على لسان رسوله ﷺ، عن نفسه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، ولقائه.

---

(١) ـ التفسير الإسلامي للتاريخ، ص:١٨٧:١٨٩.

(٢) ـ حوى: سعيد، كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر، الرسالة الأولى: منطلقات إسلامية لحضارة عالمية حديثة، ط: دار عمان، ص: ٢٣،٢٤.

(٣) ـ من هَدْي سورة النور، ص: ١٢٧.

(٤) ـ مقولة للفيلسوف الأمريكي الشهير: رالف والدو إمرسون.

ب- الأقوال الظاهرة: وهي الإخبار عنه سبحانه (باللسان)، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

ج- الأعمال الباطنة: وهي (أعمال القلب): كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر له على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه..... وهذه الأعمال فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله ﷻ من مستحب أعمال الجوارح، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

ء- الأعمال الظاهرة: وهي (أعمال الجوارح): كالصلاة، والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمع والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك[١].

٤- العبادة تشمل كيان الإنسان كله والأحكام الخمسة كلها

العبادة تشمل الفكر والقلب واللسان والجوارح، ولكل منها عبودية بالأحكام الخمسة: الواجب، والمستحب، والحرام، والمكروه والمباح، ومن أمثلة ذلك:

- **الفكر:** بالتأمل في النفس والآفاق، والتفكر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله ﷻ من شيء، والتدبر لآيات الله ﷻ المنزلة، والنظر في مصائر الأمم، وأحداث التاريخ، وما فيها من عظة وعبرة، قال عز وجل: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ** ﴾[٢].
- **القلب:** وهو ملك الأعضاء، تصلح بصلاحه وتفسد بفساده:

- واجب عليه: الإخلاص (إفراد الله ﷻ بالعبادة)، والنية في العبادة. والصبر باتفاق الأمة، وكذلك يجب عليه أمور أخرى: كالتوكل، والمحبة، والصبر، والإنابة، والخوف، والرجاء.
- ويستحب له: كل واجب من الواجبات القلبية له ظرفان: واجب مستحق كما سبق، وهو مرتبة أصحاب اليمين، وكمال مستحب، وهو مرتبة المقربين.
- ويحرم عليه: الكفر، والنفاق، والشرك، وتوابعها. والمعصية بنوعيها: الكبائر: كالرياء، والعُجب، والكِبر، والحسد، والغفلة، والنفاق، والقنوط من رحمة الله ﷻ ، واليأس من روح الله ﷻ ، والأمن من مكر الله ﷻ ، والفرح بأذى المسلمين. والصغائر: كشهوة المحرمات وتمنيها.

---

(١) - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١/ ٣٧٨.

(٢) - العبادة في الإسلام، ص: ٧٣.

- ما يباح للقلب: ما سوى ذلك[1].

- **اللسان:**

أ- واجب عليه: النطق بالشهادتين، وتلاوة ما يلزم لصحة صلاته من القرآن الكريم، والاذكار الواجبة في الصلاة، ورد السلام، وابتداء السلام (فيه قولان)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وإداء الشهادة المتعينة، وصدق الحديث.

ب- المستحب: تلاوة القرآن، ودوام الذكر لله ﷻ، والمذاكرة في العلم النافع، وتوابع ذلك.

ج- يحرم عليه: النطق بكل ما يبغضه الله ﷻ ورسوله، كالبدع، والدعاء إليها، وتحسينها وتقويتها، وقذف وسب المسلم، وأذاه بكل قول، والكذب، وشهادة الزور، والقول على الله ﷻ بلا علم، وهو أشدها تحريما.

ء- المكروه: التكلم بما يكون تركه خير من الكلام به، مع عدم العقوبة عليه.

هـ- المباح: الراجح أن حركة اللسان بالكلام، ليس لها مباح، فكل ما يتلفظ به اللسان إما أن يكون مما يرضي الله ﷻ ورسوله، يكون هو الراجح في النطق، وما لا يرضيهما فهو مرجوح، وما لا ينتفع به من الكلام فهو ضار لصحبه؛ لأن أكثر ما يكب الناس على مناخرهم في النار حصائد ألسنتهم[2].

- **الحواس والجوارح:**

منها على سبيل المثال[3]:

أ- السمع: يجب عليه أمور: كالاستماع لما أوجبه الله ﷻ ورسوله من الإسلام والإيمان وفروضهما، ويحرم عليه أمور: كاستماع الكفر والبدع إلا لمصلحة، ويستحب له أمور: كاستماع المستحب من العلم، وقراءة القرآن والذكر، ويكره له: استماع كل ما يكره شرعا، ولا يعاقب عليه. والمباح للسمع: ما سوى ما سبق.

---

[1] - المهذب من مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية، ص: ٥١.

[2] - المهذب من مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية: ص: ٥٢.

[3] - يرجع إلى ذلك بالتفصيل، إلى مدارج السالكين، للإمام ابن القيم. أو مهذبه، لصالح أحمد الشامي. أو تهذيبه: لعبد المنعم صالح العلي العزي.

ب- النظر: يجب عليه أمور: كالنظر في المصحف، وكتب العلم عند تعين الواجب منها، والنظر لتمييز الحلال من الحرام فيما يأكل أو ينفق أو يستمتع، ونحو ذلك. ويحرم عليه أمور: كالنظر إلى الأجنبيات بشهوة مطلقا، وبغيرها إلا لحاجة، كنظر الخاطب، والشاهد، والطبيب، وفي التعاملات. ويستحب له أمور: كالنظر في كتب العلم، ووجوه الصالحين، ويكره له أمور: كفضول النظر الذي لا مصلحه فيه. ويباح له النظر الذي لا مضرة فيه ولا منفعة، في العاجل والآجل.

ج- آثار شمول العبادة في النفس والحياة

شمول معنى العبادة في الإسلام، له آثار مباركة في النفس والحياة، يجدها الإنسان في ذاته، ويلمسها في غيره، ويرى ظلالها في الحياة من حوله، وأبرز هذه الآثار وأعمقها أمران:

١- يصبغ حياة المسلم وأعماله فيها بالصبغة الربانية، ويجعله مشدودا إلى الله ﷻ في كل ما يؤديه للحياة، فهو يقوم به بنية العابد الخاشع، وروح القانت المخبت، وهذا يدفعه إلى الاستكثار من كل عمل نافع، وكل إنتاج صالح، وكل ما ييسر له ولأبناء نوعه الانتفاع بالحياة، على أمثل وجوهها. فإن ذلك يزيد رصيده من الحسنات والقربات عند الله ﷻ. كما يدعوه هذا المعنى إلى إحسان عمله الدنيوي وتجويده وإتقانه، مادام يقدمه هدية إلى ربه سبحانه، ابتغاء رضوانه وحسن مثوبته.

٢- يمنح المسلم وحده الوجهة، ووحدة الغاية في حياته كلها، فهو يرضي ربا واحدا بسعيه كله: الديني والدنيوي، وبهذا ينصرف همه كله إلى الله ﷻ، ويجتمع قلبه كله على الله ﷻ، ولا يتوزع شمل حياته وفكره وإرادته ووجدانه بين شتى الاتجاهات، والتيارات والانقسامات. فحياته كلها وحدة لا تتجزأ، منهجه فيها عبادة الله ﷻ، وغايته رضوان الله ﷻ، ودليله وحي الله ﷻ [1].

أسرار العبادة

من أهم المباحث: البحث عن سر العبادة وتأثيرها وسر مشروعيتها لنا، وذلك أن الله ﷻ خلق هذا العالم ليكون مظهرا لكمال صفاته ﷻ: الوجود، والعلم، والقدرة. وجعل قبول الإنسان للكمالات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ علمه وقدرته من علم الله ﷻ وقدرته، وأودع فيه الروح والعقل اللذين بهما يزداد التدرج في الكمال ليكون غير قانع بما بلغه من المراتب في أوج الكمال والمعرفة، وأرشده وهداه إلى ما يستعين به على مرامه

[1] - العبادة في الإسلام، ص: ٦٦.

ليحصل له بالارتقاء العاجل رقي آجل لا يضمحل، وجعل استعداده لقبول الخيرات كلها عاجلها وآجلها متوقفا على التلقين من السفرة الموحى إليهم بأصول الفضائل. ولما توقف ذلك على مراقبة النفس في نفراتها وشرداتها وكانت تلك المراقبة تحتاج إلى تذكر المجازي بالخير وضده، شرعت العبادة لتذكر ذلك المجازي لأن عدم حضور ذاته واحتجابه بسبحات الجلال يسرب نسيانه إلى النفوس، كما أنه جعل نظامه في هذا العالم متصل الارتباط بين أفراده فأمرهم بلزوم آداب المعاشرة والمعاملة لئلا يفسد النظام، ولمراقبة الدوام على ذلك أيضا شرعت العبادة لتذكر به، على أن في ذلك التذكر دوام الفكر في الخالق وشؤونه وفي ذلك تخلق بالكمالات تدريجا فظهر أن العبادة هي طريق الكمال الذاتي والاجتماعي مبدأ ونهاية، وبه يتضح معنى قوله ﷻ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ فالعبادة على الجملة لا تخرج عن كونها محققة للمقصد من الخلق، ولما كان سر الخلق والغاية منه خفية الإدراك عرفنا الله ﷻ إياها بمظهرها وما يحققها جمعا لعظيم المعاني في جملة واحدة وهي جملة: ﴿ **إلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [1].

أهم أركان العبادة

قوله ﷻ: ﴿ **وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكم تُرْحَمُونَ** ﴾

يبين ﷻ بعد ذلك أهم أركان عبادته، فقال ﷻ: ﴿ **وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكم تُرْحَمُونَ** ﴾[2] أي: وأقيموا الصلاة، وأدوا الزكاة على الوجه التام، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم؛ رجاء رحمة الله ﷻ .[3]

عَقَّب ﷻ على هذا الوعد بأهم أركان العبادة، وهي الصلاة، والزكاة، فقوله تعالى: ﴿**وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ**﴾ معطوف على قوله ﷻ: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ ويفيد: أن عليكم أن تفعلوا ذلك في كل الأحوال: قبل الاستخلاف، وبعده، ﴿ **وأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ فيما يدعوكم إليه.

وكأن الله ﷻ يفصل لنا هنا شروط الاستخلاف السابقة، فتوحيد العبادة لله ﷻ يتضمن إقامة لشبكة علاقات سليمة مع الله ﷻ، والناس، والكون:

- فإقامة الصلاة: تحقيق لعلاقة العبودية مع الله ﷻ.

---

(1) - التحرير والتنوير، ١٨٢/١.
(2) - سورة النور، الآية رقم: ٥٦
(3) - موقع: الدرر السنية: موسوعة التفسير، تفسير سورة النور، https://dorar.net/tafseer/٢٤/١٦.

- وإيتاء الزكاة: تحقيق لعلاقة العدل والإحسان مع الناس.
- وطاعة الرسول ﷺ: تشمل تنفيذ شريعته، واتباع سنته، التي في جوهرها كشف للسنن، وأداء للأسباب للوصول إلى تسخير الكون، ومن الواضح أن رسول الله ﷺ لم يبن المجتمع المسلم بالخوارق، وإنما بالسنن، والقيام بالأسباب[١].

وكُررت طاعة الرسول ﷺ تأكيدا لوجوبها، ولأنها فإنها من مستجلبات الرحمة في الدنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿ **لَعَلَّكم تُرْحَمُونَ** ﴾، فالقيام بهذه الأوامر الثلاثة يحقق لكم الرحمة في الدنيا والآخرة:

– فإقامة الصلاة فيها رحمة وسكينة للقلب المؤمن، وهو يخوض معمعة الحياة.

– وإيتاء الزكاة يحقق الرحمة لقلب المعطي، إذ يرتاح من الحرص والشح والأثرة، وهي أمراض للقلب مؤلمة، ويحقق الرحمة لحياته، إذ يحميه من حقد الناس وحسدهم، ويحقق الرحمة لجماعة المؤمنين، فهم متحابون متكاملون، لا يعرفون الحقد، ولا الصراع الطبقي.

– كما أن طاعة رسول الله ﷺ رحمة كبرى، فقد وصفه ﷻ بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهو ﷺ ما دعاكم إلا لما يحييكم، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما. رحمة بأتباعه [٢].

ويجري مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثيرا، فبعد أن يستوفي أمر الرد على الكافرين، وبعد أن تقام الحجة في وجه المعاندين، ويفضح جليا أمر المنافقين المخادعين، وتبلغ الحجة غايتها وتستكمل نصابها، يعود إلى أهم ما يوجه إليه اهتمام المؤمنين، فيأمرهم بإقامة الصلاة التي هي عماد الدين، وذلك كما يجري في التخاطب المتعارف، فإنك تجد هذا الأسلوب كثيرا ما تنساق إليه العقول، إذ يفيض المتكلم في بيان حجته وتقرير دعواه، حتى يبلغ القصد منها، ويصبح ولا حاجة له في المزيد على ما قرر بشأنها، فيقول لمخاطبه: ولنعد إلى أهم ما يعنينا: إنه يجب أن عمل ما فيه مصلحتنا، ونعرض عن الاهتمام بأولئك بعد ما بلغنا منهم ما أردنا. فلنعمل الصالحات ولنقوم شؤوننا[٣].

---

[١] - من هَدْي سورة النور، ص: ١٢٨،١٢٩.

[٢] - الأساس في التفسير، ٣٨٠٣/٧، النسفي: عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠ هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، تحقيق: يوسف على بديوي، ط: دار الكلم الطيب – بيروت، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨م، ٥١٧/٢، من هَدْي سورة النور، ص ١٢٨.

[٣] - الجبالي: إبراهيم، شفاء الصدور بتفسير سورة النور، ط: مطبعة الإرشاد لصاحبها (أمين عبد الرحمن الجزيري)، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، ص: ٢٢٢،٢٢٣.

والصلاة عماد الدين، فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن أضاعها فهو لما سواها أضيع. ووهي تنهي عن الفحشاء والمنكر إذا أقيمت كما ينبغي لها أن تُقام. وهذا يمثل الجانب الفردي، والعمل الجماعي.

والزكاة تكاد تلازم في القرآن الكريم ذكر الصلاة؛ وذلك لأن فيها من كمال الفائدة العائدة على جماعة المسلمين ما يقوى الأواصر، ويصفى الضمائر، ويزيل الشحناء، ويوكد التراحم والتعاطف. والزكاة هي المخبار الذي نختبر به من كانت صلاته حقيقية ومن كانت صلاته مجرد حركات وسكنات[١].

أما قوله ﷻ: ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾

فهو تعميم لكل الأحكام التي جاء بها المصطفى ﷺ، ومن جهة أخرى تنصيص على ما سيق الكلام السابق لتقريره، وهو طاعة الرسول ﷺ فيما تحبه النفس وفيما تكرهه، بل أن تجل النفس هواها تبعا لما أمر به ﷺ، ولفظ (لعل) في القرآن الكريم يفيد التعليل المصحوب بالرجاء في جانب المؤمنين. وحاصل معناها: أدوا ما أمرتم به، فإنه أرجى للرحمة، وأدنى إلى انتظارها وإحرازها: والتعليل به غير التعليل (باللام و(كي) ونحوهما؛ فإن ذلك فيما يكون فيه الارتباط بين العلة والمعلول مطردا البتة، وأما (لعل) و(عسى) فهو تعليل يتصل به أشياء لابد من توافرها، كإخلاص النية، ومزيد التوفيق، والقبول عند الله ﷻ[٢].
وتحقيق هذه الأوامر الثلاثة يحقق لكم الرحمة في الدنيا والآخرة، فإقامة الصلاة فيها رحمة وسكينة للقلب المؤمن وهو يخوض معمعة الحياة. وإيتاء الزكاة يحقق الرحمة لقلب المعطي، إذ يرتاح من الحرض والشح والأثرة، وهي أمراض للقلب مؤلمة. ويحقق الرحمة لحياته إذ يحميه من حقد الناس وحسدهم. ويحقق الرحمة لجماعة المؤمنين، فهم متحابون متكاملون لا يعرفون الحقد والصراع الطبقي. وطاعة الرسول (ص) رحمة كبرى، فقد كان (ص) كما وصفه ربه (سبحانه) (عزيز عليه ما عنتم .... رؤوف رحيم) . ورسول الله (ص) ما أمركم وما دعاكم إلا لما يحييكم[٣].

الحد الأدنى من العبادة

التكاليف الشرعية خمسة أنواع: فرض (واجب)، وحرام، ومندوب (السنة / التطوع)، ومكروه، ومباح. والذي ميز الصحابة عن غيرهم، هو أخذهم كل التكاليف كما لو كانت واجبة الفعل أو واجبة الترك. فصاروا

---

[١] ـ شفاء الصدور بتفسير سورة النور، ص: ٢٢٤.
[٢] ـ شفاء الصدور بتفسير سورة النور، ص: ٢٢٣،٢٢٤.
[٣] ـ من هَدْي سورة النور، ص: ١٢٩.

خير جيل. لكن الحد الأدنى الذي لا يجب أن يقل عنه المسلم، بأي حال من الأحوال: فعل المفروض، والانتهاء عن الحرام. كما تنقسم التكاليف الشرعية إلى تكاليف عينية، وتكاليف كفائية.

النوع الأول: التكاليف العينية

وهي كل ما طلبه الشارع من كل فرد بذاته من المكلفين طلباً جازماً. ولا يغني عنه أن يقوم غيره به:

أ- طلب فعل: من فَعَل هذه الأمور فله الثواب بنيته، وعليه العقاب إن تركها، أو قد يعفو الله ﷻ عنه، ومن أمثلة ذلك:

الأمور العِلْمية [١]

- تعلُّم ما تصح به عقيدته، وما يدفع به عن نفسه الشبهات.
- تعلُّم ما تصح به عبادته، وما يكون به إخلاص النية فيها.
- تعلُّم ما تصح به معاملاته مع غيره. وما يُصلِح به أخلاقياته، وسلوكياته.
- تعلُّم فقه مهنته أو حرفته، وما يجعله يمتنع عن الحرام فيها، وكيفية زكاة ماله.
- كل من اشتغل بشيء يُفرض عليه تعلُّم أحكامه الشرعية، ليمتنع عن الحرام فيه.
- كل من هو مقبل على أمر جديد يجب عليه تعلُّم أحكامه الشرعية، كالمقبل على الزواج، أو وظيفة جديدة، أو كالمسافر للعيش في البلاد غير الإسلامية.
- تعلُّم ما يصلح به نفسه، فلو رأى في نفسه مثلا عُجْب أو كِبْر، وجب عليه تعلم ما يصلحه.
- تعلم العلوم التي أصل تَعَلُمها فرض كِفائي، لكن تحولت في حقه إلى فرض عيني، لأحد الأسباب.

الأمور العَمَلية

من أمثلة تلك الأمور:

- الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.
- بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار.

---

[١] - الموسوعة الفقهية الكويتية، ٥/١٣ (بتصرف).

- حفظ حدود الله ﷻ، والوقوف عند أمره ونهيه، وترك المعصية في ساعتها إن كان متلبسا بها.
- التوبة، ورد المظالم المادية والمعنوية، ودفع صداق المرأة.
- حفظ بصره عن النظر إلى الحرام، أو النظر إلى مسلم بنظرة تؤذيه.
- حفظ لسانه من الفحشاء والمنكر، والكلام القبيح، وأَيْمَان الطلاق، وانتهار المسلم، وإهانته، وسبه، وتخويفه في غير حق شرعي.
- حفظ جوارحه، ما استطاع.
- كل فرض كِفائي انتقل إلى فرض عيني لسبب من الأسباب: كالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما إذا لم يكن يوجد غيره، وتعيين ولاة الأمر.
- العدل، وأداء الأمانات، والوفاء بالعقود، وتنفيذ العهود.

ب- **طلب ترك:** من فعل هذه الأمور، فله البغض والعقاب من الله ﷻ، ومن تركها لله ﷻ فله الثواب والرضا من الله ﷻ، ومن أمثلة ذلك:

الأمور العِلْمية

- ترك تعلم العلوم المحرمة: كعلم السحر، والكهانة، والتنجيم، ونحوها.
- ترك تعلم أي علم أصله نافع، ولكن يراد من تعلمه مقصد سيء.

الأمور العَمَلِية المطلوب تركها طلبا جازما

- المظالم المادية والمعنوية.
- الكذب، والغيبة، والنميمة.
- الكبر، والعجب، والرياء، والسمعة.
- الحسد، والبغضاء، ورؤية الفضل على الغير.
- الهمز، واللمز، والعبث، والسخرية.
- الزنا، والنظر إلى الأجنبية، والتلذذ بكلامها.
- أكل أموال الناس بغير طيب نفس، والأكل بالشفاعة، كالهدية والرشوة للموظفين.
- تأخير الصلاة عن أوقاتها.

النوع الثاني – التكاليف الكفائية

والتي لها دور هام في نهضة الأمة، ووقوفها على قدميها، وهي مصدر أساسي من مصادر قوتها وأمنها وحفظ دينها، وسبب من أسباب رفاهيتها، ورفعتها، وسعادتها [١] –[٢] .

[١] - حوى: سعيد، كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر، رسالة: فلنتذكر في عصرنا ثلاثا: فروض العين، فروض الكفاية، لمن تدفع صدقتك، ط: دار عمار - بيروت – عمَّان، ص: ٤٤.

[٢] - أنظر كتابنا: نور الوعد الإلهي، ١- لزوم الفروض الكفائية، ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني، ص: ٥٣،٥٢.

الفصل الثالث : لا يشركون بي شيئا

الفصل الثالث – لا يشركون بي شيئا

اتباع غير منهج الله ﷻ شِرك

من أدى الشعائر، لكن رضي أن يحتكم في شؤون حياته الخاصة أو العامة، أو في شؤون المجتمع والدولة، إلى غير شرع الله ﷻ وحكمه، فقد عبد غير الله ﷻ، وأعطى غيره ما هو من خالص حقه سبحانه. فالله ﷻ وحده هو المشرع الحاكم لخلقه؛ لأن الكون كله مملكته، والناس جميعا عباده، وهو وحده الذي له أن يأمر وينهى، وأن يحلل ويحرم، بمقتضى ربوبيته وملكه وألوهيته.

ومن ادعى من الخلق أن له أن يشرع ما شاء، أمرا ونهيا، وتحليلا وتحريما، بدون إذن من الله ﷻ، فقد تجاوز حده، وعدا طوره، وجعل نفسه ربا أو إلها من حيث يدري أو لا يدري. ومن أقر له بهذا الحق، وأنقاد لتشريعه ونظامه، وخضع لمذهبه وقانونه، وأحل حلاله وحرم حرامه، فقد اتخذه ربا، وعبده مع الله ﷻ، أو من دون الله ﷻ، ودخر في زمرة المشركين من حيث يشعر أو لا يشعر، وفي أمر الرهبان والأحبار الذين اطاعهم الناس واتبعوهم فيما شرعوا لهم مما لم يأذن به الله ﷻ، قال عز وجل: (اتخذوا أحبارهم.... عما يشركون)[1].

الإيمان بالله ﷻ أصل العقائد كلها

الإيمان بالله ﷻ روح الدين، وأصل العقائد كلها، قال تعالى: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِ** ﴾ [2]، وفي حديث جبريل المشهور: **(الإيمان أن تؤمن ...)** .

ومن بعد الإيمان بالله ﷻ تأتي كل أركان العقيدة مضافة إليه أو تابعة له. والإيمان بالله ﷻ يتضمن بالضرورة الإيمان بوحدانية الله ﷻ وعدم الشرك به، سواء في ربوبيته، أو ألوهيته، ويتضمن كذلك الإيمان بأسماء الله ﷻ الحسنى وصفاته العليا.

---

(١) ـ العبادة في الإسلام، ص: ٥٤.

(٢) ــ سورة البقرة، الآية: ٢٨٥

التوحيد المأمور به

والتوحيد الصحيح الذي أمر به الخالق ﷻ ، والذي لا يُقبل إيمان أي إنسان بغيره:

١- توحيد اعتقادي علمي خاص بالإثبات: بأن يؤمن بأنه ﷻ واحد متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا شبيه له، ولا ولد له ولا والد له (توحيد الربوبية).

٢- وتوحيد عملي سلوكي خاص بالطلب والقصد والإرادة: بأن يفرده ﷻ بالعبودية الكاملة، والطاعة المطلقة، والذل له، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والخشية منه، والرجاء فيه... إلخ (توحيد الإلهية أو الألوهية). وهذا النوع هو الذي يتبادر على الذهن عند إطلاق كلمة " التوحيد".

وهو الذي بعث الله ﷻ به الرسل، وأنزل به الكتب، وأرى الناس آياته في آفاق الكون وفي أنفسهم، وهو الذي من أجله قامت سوق الجنة والنار، وانقسم الناس إلى فريق في الجنة وفريق في السعير. وعنوان هذا التوحيد هو "لا إله إلا الله".

التوحيد حق الله ﷻ على العباد

والتوحيد حق الله ﷻ على العباد، فقد روى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: **(يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله)**؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **(حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا)**. قلت: يا رسول الله. أفلا أبشر الناس؟ قال: **(لا تبشرهم فيتكلوا)**.

والسر في هذا الحق أن الله ﷻ قد خلق الناس من عدم، ثم أمدهم بنعم لا تُحصى، وسخر الشمس والقمر، والليل والنهار لخدمتهم، وآتاهم العقل، وعلمهم البيان. فمِن حقه ﷻ: الخالق، المنعم، المُعَلم، الرحمن، الرحيم: أن يُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى، ويُطاع فلا يُعصى.

وإقامة التوحيد، والدعوة إلى التوحيد، هي رسالة المسلم في الحياة إلى مماته، قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[١]، والتوحيد أيضا رسالة الأمة إلى العالم كله، وإلى جميع الأمم، وهذا ما كان يقوم به النبي ﷺ.

[١] – سورة الذاريات، الآية: ٥٦

بماذا يتحقق التوحيد

١- إخلاص العبودية لله ﷻ وحده

بإعطاء الألوهية حقها الكامل من التعظيم، والمحبة، والخضوع المطلق، بالأمور التالية:

أ- ألا يبغي ربا يعظمه غير الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ** ﴾[1].

ب- ألا يتخذ وليا يحبه كحب الله ﷻ:﴿ **قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[2].

ج- ألا يبتغي غير الله ﷻ حكَماً (مشرعا)، يطيعه كما يطيع الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ **أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا** ﴾[3] ، ﴿ **إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ﴾[4].

٢- الكفر بالطواغيت

ويتحقق الإيمان أيضا بالكفر بالطواغيت، والبراءة من كل من عبدها أو والاها من دون الله ﷻ، ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[5] . والطاغوت كلمة مشتقة من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، وأضبط معنى له: أنه "كل ما تجاوز به العبد حده بالعبادة أو الاتباع أو الطاعة - برضى من ذلك المعبود أو المُطاع أو المُتبع إن كان من البشر، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ﷻ ورسوله ﷺ، أو يعبدونه من دون الله ﷻ ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ﷻ ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ﷻ ".

---

[1] ـ سورة الأنعام، الآية: ١٦٤

[2] ـ سورة الأنعام، الآية: ١٤

[3] ـ سورة الأنعام، الآية: ١١٤

[4] ـ سورة الأنعام، الآية: ٥٧

[5] ـ سورة البقرة، الآية: ٢٥٦

٣- اتقاء الشرك والحذر منه

أ- الشرك الأكبر : بأن يجعل الإنسان لله ﷻ شريكا فيما هو خالص حقه ﷻ.

- باتخاذ آلهة: يعبدها، أو يطيعها، أو يستعين بها، أو يحبها، أو نحو ذلك. وهذا النوع لا يقبل المغفرة بأي حال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ** ﴾ [(١)]، والجنة حرام على المشرك، والنار مأواه: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ** ﴾ [(٢)].

وهذا الشرك منه:

أ- الظاهر الجلي: كعبادة إله أو أكثر مع الله ﷻ، أيا كان هذا الإله من الشجر، أو الحجر، أو البشر، أو الشمس، أو القمر، أو غيرها.

ب- الخفي: كدعاء الموتى والمقبورين من أصحاب الأضرحة والمقامات، والاستعانة بهم وطلب قضاء الحوائج، وشفاء المرضى، وتفريج الكربات، وما إلى ذلك.

وسبب خفائه: أن الناس لا يسمونه عبادة، ويظنون أن العبادة في الصلاة والصيام ونحوها، رغم أن "الدعاء هو العبادة". وكذلك لأنهم يظنون أن هؤلاء المقبورين وسائط بينهم وبين الله ﷻ، جهلا منهم.

٢- اتخاذ غير الله ﷻ مُشَرِّعا أو حَكَماً، بإعطاء حق التشريع لبعض البشر فيحلون لهم ويحرمون عليهم ما شاءوا، ويشرعون لهم من الأنظمة والقوانين، أو يضعون لهم من المناهج والأفكار ما لم يأذن به الله ﷻ ، رغم أن العالم مملكة الله ﷻ.

ب- الشرك الأصغر

هذا النوع من كبائر الذنوب، بل من أعظمها عند الله ﷻ.

ومنه: الحلف بغير الله ﷻ، ولبس الحلقة والخيط بالعضد كسبب لعلاج أو غيره، وتعليق التمائم من غير القرآن الكريم (اختلف العلماء في التميمة من القرآن الكريم)، والرُقَى: وهي الكلمات التي كان يتعاطاها أهل الجاهلية بألفاظ غير مفهومة لدفع الآفات بالاستعانة بالجن، والسحر، والتنجيم، والتِوَلة، وهو سحر تحبيب الرجل إلى المرأة أو العكس، والكهانة والعرافة، والذبح لغير الله ﷻ ، والطيرة: أي التشاؤم من بعض الأشياء، والرياء.

---

(١) ــ سورة النساء، الآيات: ١١٦،٤٨

(٢) ــ سورة المائدة، الآية: ٧٢

الإسلام يسد المنافذ إلى الشرك

اتخذ الإسلام من الوسائل ما يسد به المنافذ إلى الشرك، ومن ذلك:

١- نهى النبي ﷺ عن الغلو في تعظيمه ومدحه فقال: **(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)**. متفق عليه.

٢- النهي عن الغلو في الصالحين. فأول شرك في الأرض كان بسبب تماثيل لبعض الصالحين عظمها الناس ثم عبدوها.

٣- النهي عن تعظيم القبور، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال قبل أن يموت بخمس: **(وإنَّ مَن كانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إنِّي أنْهَاكُمْ عن ذلكَ)** صحيح مسلم.

كما نهى النبي ﷺ عن الصلاة إلى القبور، أو إضاءتها وإيقاد السُرُج عليها، أو البناء عليها وتجصيصها، أو الكتابة عليها، أو تعليتها ورفعها، أو اتخاذها عيدا.

٤- النهي عن التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

٥- النهي عن الألفاظ المُوهِمَة للشرك: كقول الإنسان: ما شاء الله ﷻ وشاء فلان، أو باسم الله واسم الشعب، ولولا الله وفلان، أو اعتمدت على الله وعليك، وأمثال ذلك. وكذلك التسمي بأسماء الله ﷻ: كالحَكَم، وغيره. وسب الدهر. والتسمية باسم مُعَبَّد لغير الله ﷻ، كعبد الكعبة، أو عبد النبي، أو عبد الحسين، وما شابه.

آثار التوحيد في الحياة

للتوحيد آثار عظيمة في حياة الناس، منها:

١- تحرير الإنسان من كل عبودية إلا لربه الذي خلقه.

٢- تكوين الشخصية المتزنة التي تميزت في الحياة وجهتها، وتوحدت غايتها، وتحدد طريقها. بخلاف المشرك الذي تقسمت قلبه الآلهة والمعبودات.

٣- الأمن النفسي، فلا تستبد به المخاوف التي تتسلط على أهل الشرك.

٤- التوحيد مصدر للقوة النفسية الهائلة، لما تمتلئ به نفسه من الرجاء في الله ﷻ، والثقة به، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، والاستغناء عن خلقه. فهو راسخ كالجبل، لا تزحزحه الحوادث، ولا تزعزعه الكوارث.

٥- التوحيد أساس الأخوة الإنسانية والمساواة البشرية، فليس يتخذ الناس بعضهم أربابا لبعض .

مفاسد الشرك

للشرك مفاسد عظيمة في حياة الناس، منها:

١- الشرك إهانة للإنسان كأن يعبد مثلا بقرة أو شجر أو حجر، فيذل ويسجد لما لا ينفعه أو يضره.

٢- الشرك وكر للخرافات والأباطيل؛ لأن الكون ليس فيه مؤثِّر غير الله ﷻ.

٣- الشرك ظلم عظيم للحقيقة؛ لأن أعظم الحقائق لا إله إلا الله. وهو ظلم للنفس لأنه حقرها. وظلم للغير لأنه أعطاه غير حقه.

٤- الشرك مصدر للمخاوف والأوهام؛ لأنه عكس التوحيد الذي هو مصدر الأمن والطمأنينة.

٥- الشرك معطل لإيجابية الإنسان: لأنه يجعله يتكل على الشفعاء والوسطاء، ويزين له ارتكاب الآثام معتمدا على شفاعة الآلهة المزعومة.

٦- الشرك ذنب لا يغفره الله ﷻ، وكما أن له آثار في الدنيا، فآثاره في الآخرة وخيمة.

الباب السادس – موانع تحقيق الوعد الإلهي

الفصل الأول : معنى المانع

الفصل الأول – معنى المانع

تمهيد

الحكم الشرعي ينقسم إلى حكم تكليفي، وحكم وضعي. والحكم التكليفي يتعلق بأفعال المكلفين، فهو الحكم الذي يقتضي التكليف بفعل أو ترك فعل، أو التخيير بين الفعل والترك. وهذا الحكم التكليفي يكون في مقدور المكلف، وفي استطاعته أن يفعله أو يكف عنه، حتى يمكنه أن يمتثل للتكليف.

أما الحكم الوضعي فيتعلق بالإنسان سواء كان مكلفا أم غيره، كالصبي والمجنون، وليس المقصود منه تكليف، أو تخيير، وإنما هو ما اقتضى وضع شيء سببا لشيء أو شرطا له أو مانعا منه. وسُمي بالحكم الوضعي؛ لأنه يقتضي وضع أمور ترتبط بالأخرى كالأسباب للمُسَبَّبات، أو الشروط للمشروطات.

وهذا النوع من الحكم قد يكون مقدورا للمكلف ومثاله في الأسباب: كاقتراف الجرائم، فهي سبب لترتب أحكامها. ومثاله في الشروط: كإحضار شاهدين في عقد الزواج. ومثاله في الموانع: قتل الوارث مورثه، فيمنع من الميراث. وقد يكون غير مقدورا للمكلف، ومثاله في الأسباب: دخول وقت الصلاة كسبب لوجوب الصلاة. ومثاله في الشروط: بلوغ الرشد شرط لنفاذ التصرفات. ومثاله في المانع: كون المُوصى له وارثا[1].

تعريف المانع

١– المانع في اللغة

المانع: اسم فاعل من مَنَعَ الشيء، والجمع: موانع، وهو ما يحول بينك وبين ما تريد، ما يحول دون ترتب الحكم مع وجود السبب[2].

٢– المانع في الاصطلاح

هو ما رتب الشارع على وجوده عدم وجود الحكم أو عدم السبب أي بطلانه.

ومانع الحكم: هو ما يترتب على وجوده عدم وجود الحكم، بالرغم من وجود سببه المستوفي لشروطه. وإنما كان المانع حائلا دون وجود الحكم؛ لأن فيه معنى لا يتفق وحكمة الحكم، أي لا يحقق الغرض المقصود

[1] ـ أصول الفقه الإسلامي – الزحيلي، ص: ٤٢:٤٤.

[2] ـ قلعجي: محمد رواس، قنيبي: حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ط: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م، ص: ٣٩٨.

من الحكم: كالأبوة المانعة من القصاص إذا قَتَل ابنه عمدا وعدوانا – وإن كانت الدية تلزمه، لأن حكمة القصاص: الردع والزجر، وما في الأبوة من حنان وعطف وشفقة على الابن يكفي لزجره وردعه، وقتل الأب لابنه لا يكون إلا في أحوال شاذة لا تستدعي تقرير القصاص منه، بل تستدعي الاستثناء. كما أن الأب سبب حياة الابن، فلا يكون الابن سبب إعدام الأب.

ومانع السبب: هو الذي يؤثر في السبب، بحيث يبطل عمله، ويحول دون اقتضائه للمُسَبَّب، لأن في المانع معنى يعارض حكمة السبب. ومثاله: الدَّيْن المُنْقِص للنصاب، في باب الزكاة. فالنصاب سبب لوجوب الزكاة، لأن ملكية النصاب مظنة الغِنَى، والغَنِي قادر على عون المحتاجين، ولكن الدَّيْن يعارض هذا الملحوظ في الزكاة – وهو الغِنَى؛ لأن ما يقابل الدَّيْن من مال مالك النصاب، ليس ملكه على الحقيقة – فهو ملك الدائن – فلا تكون ملكية النصاب في هذه الحالة مظنة الغِنَى، فلا يكون في النصاب المعنى الذي من أجله صار سببا للزكاة، وبالتالي: لا يكون سببا مفضيا إلى مسببه، وهو وجوب الزكاة.

والمانع من حيث هو مانع لا يدخل في خطاب التكليف، فليس للشارع قصد في تحصيله ولا في عدم تحصيله، وإنما مقصود الشارع: بيان ارتفاع حكم السبب، أو بطلان المسبب إذا وجد المانع. لكن لا يجوز للمكلف أن يتقصد إيجاد المانع للتهرب من الأحكام الشرعية، فهذا من باب الحيل، والحيل لا تحل في شرع الإسلام ويأثم صاحبها[١].

العلاقة بين السبب والشرط والمانع

السبب إنما يستوجب مُسَبَّبه إذا توفرت شروط عمله وفعاليته واستدعاءه لمُسَبَّبه. كما لا بد من انتفاء الموانع التي تعيق عمل هذا السبب، أو تسلبه فعاليته، بحيث يصبح غير قادر على استدعاء مُسَبَّبه.

فالأكل مثلا سبب للغذاء والشبع واستدامة الحياة، لكن بشرط سلامة أعضاء الإنسان الضرورية لتلقي الطعام والاستفادة منه، وانتفاء الموانع، أي العوائق التي تعيق عمل هذه الأعضاء وفي انتفاعها من الأكل. والزرع سببه حرث الأرض وإلقاء البذر، وشرطه صلاحية الأرض للإنبات، وصلاحية هذا البذر للنبات، وتوفر الماء الكافي، كما يتطلب انتفاء الموانع التي تمنع من خروج النبات والثمر، كانتفاء الآفات التي تهلك الزرع والثمر، أو تمنع نموه وهكذا[٢].

---

[١] ـ زيدان: عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه، ط: مؤسسة قرطبة، ص: ٦٣،٦٤.
[٢] ـ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٢٨.

وقد صرح غير واحد من العلماء بضرورة تحقق شروط السبب وانتفاء موانعه حتى ينتج هذا السبب مُسَبَّبه، ومن ذلك قول الإمام الشاطبي: " وأما إذا لم تفعل الأسباب على ما ينبغي، ولا استكملت شرائطها، ولم تنتف موانعها، فلا تقع مُسَبَّباتها، شاء المُكلف أو أَبى؛ لأن المُسَبَّبات ليس وقوعها أو عدم وقعها لاختياره. وأيضا فإن الشارع لم يجعلها أسبابا مقتضية لمُسَبَّباتها إلا مع وجود شرائطها وانتفاء موانعها، فإذا لم تتوفر، لم يستكمل السبب أن يكون سببا شرعيا، سواء علينا أقلنا إن الشروط وانتفاء الموانع أجزاء أسباب أم لا، فالثمرة واحدة "[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فكل سبب فهو موقوف على وجود الشرط وانتفاء الموانع "[٢]. وقال أيضا: " فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله ﷻ وقدره، وليس شيء من الأسباب مستقلا بمطلوبه، بل لا بد من انضمام أسباب أخرى إليه، ولا بد من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود"[٣]. وهذه الأسباب الأخرى التي ذكرها ابن تيمية هي التي يسميها البعض بالشروط، وقد سماها ابن تيمية نفسه شروطا في موضع آخر من كلامه[٤]. كما أشار الإمام الشاطبي إلى هذه التسمية بقوله السابق ذكره: " وسواء علينا أقلنا إن الشروط وانتفاء الموانع أجزاء أسباب أم لا "[٥].

الفرق بين السبب والشرط والمانع

١- **الفرق بين الشرط والسبب:** الشرط والسبب، كلاهما يتوقف عليه وجود الشيء، إلا السبب يلزم من وجوده وجود المُسَبَّب، ومن عدمه عدم وجود المُسَبَّب، أما الشرط، فإنه إذا ما توفر السبب، لا يلزم من وجوده وجود المسبب، لكن يلزم من عدم وجوده عدم وجود المسبب. فمثلا: النصاب سبب لوجوب الزكاة، عند تحقق الشرط، وهو حَوَلان الحَوْل (مرور سنة على بلوغ النصاب). ويلاحظ هنا أنه لو كان هناك سبب أدى إلى حدوث المُسَبَّب بدون هذا الشرط، فإن ذلك يعني أنه ليس شرطا فيه[٦].

---

[١] - الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠ هـ)، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ط: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م،٣٤٤/١،٣٤٥.

[٢] - مجموع الفتاوى، ١٣٣/٨.

[٣] - مجموع الفتاوى، ١٦٧/٨.

[٤] - المصدر السابق، ٧٠/٨.

[٥] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ٢٩.

[٦] - الوجيز في أصول الفقه الإسلامي - الزحيلي، ١/ ٤٠٥.

٢- **الفرق بين الشرط والمانع:** المانع عكس الشرط، حيث يلزم من وجوده عدم وجود المُسَبَّب، ولا يلزم من عدم وجوده وجود المسبب ولا عدمه، أما الشرط فيلزم من عدم وجوده عدم وجود المُسَبَّب، ولا يلزم من وجوده وجود المسبب ولا عدمه[١].

٣- **الفرق بين السبب والمانع:** المانع عكس السبب أيضًا، لأنه يلزم من وجود السبب وجود المُسَبَّب، ومن عدمه عدم المُسَبَّب، أما المانع فيلزم من وجوده عدم المُسَبَّب، ولا يلزم من عدمه وجود المُسَبَّب ولا عدمه[٢].

موانع تحقيق الوعد الإلهي

قال ﷻ: ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ في الأَرْضِ ومَأْواهُمُ النّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾.

مانع تحقيق الوعد الإلهي يشبه مانع السبب الوضعي، فبعد أن بين الله ﷻ سبب الوعد الإلهي (الإيمان والعمل الصالح)، وبين شرط تحقق هذا الوعد (عبادته بلا شرك)، ذكر سبحانه مثالا لما قد يكون مانعا من تحقيق الوعد الإلهي رغم توفر أسبابه وتحقق شرطه.

فيأمر ﷻ بألا يُحسب حسابا لقوة الكافرين الذين يحاربون المسلمين، ويحاربون دينهم الذي ارتضى لهم، فيظن مسلم بأن الكافرين لا يُغلبون، قال تعالى: ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ في الأَرْضِ** ﴾[٣]. أي لا يفوتون الله ﷻ ، ﴿ **ومَأْواهُمُ النّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾ أي المرجع. وأي مصير أفظع من النار، وبئس المآل، وبئس القرار، وبئس المهاد. وفي النص إشارة – بعد البشارة بالاستخلاف، إلى أن الكافرين قد يمتلكون من أسباب القوة أكثر مما يملكه المسلمون، حتى لا يتوهم أحد أن قوة الكافرين تحول دون استخلاف الله ﷻ للمسلمين [٤].

---

(١) ـ المصدر السابق، ٤١٦/١.
(٢) ـ المصدر السابق، ٤١٦/١.
(٣) ـ في ظلال القرآن، ٢٥٢٩/٤.
(٤) ـ الأساس في التفسير، ٣٨٠٣/٧.

فالآية الكريمة تعالج حالة الهزيمة النفسية التي قد تتعرض لها الأمة عندما تفقد إحساسها بكرامتها، ورفعة مكانتها، ويصيبها اليأس من مستقبلها، فهي تفتح باب الأمل أمام الأمة، فما على المؤمنين إلا تحصيل شروط الاستخلاف، وأما قوة أعدائهم فقد تكفل الله ﷻ بردها مهما بلغت [1].

وقوله ﷻ: ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ومأواهم النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ يفيد رفع ما عسى أن يلحق ببعض النفوس من استبعاد تحقق الوعد السابق، فكأنهم لما وُعدوا بهذه العدة العظمى، وهي أن يُستخلفوا في الأرض ببسط السلطان، وأن يُمكَّن لهم في الدين بالإعزاز وقيام البرهان، وأن تزول عنهم المخاوف ويعمهم الأمن والأمان، وكانت هذه المنن بحيث تتطلع النفوس شوقا إليها، وتتلهف حرصا عليها، والعادة أن يدركها مع عظيم التشوف شيء من الهواجس والترقب، ولا سيما مع ملاحظة ما كان فيه الكافرون من كثرة وقوة وسعة. ففي الآية تبديد لمخاوف المؤمنين من ناحية أنه ﷻ واسع القدرة، المهيمن على جميع الأشياء، القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، واهب القوى والقدر، المعز المذل، أفلا يكون حقا عليه أن ينصر عباده على أعدائه.

فقال الله ﷻ لمن يتأتى منه الحسبان: لا تغفلوا عن حالهم الحقيقية، وأنهم لا قدرة لهم من ذاتهم، وكل ما هم فيه إنما هو إمداد منا، وهم في كل حال في قبضة قدرتنا، فلا يحسبن حاسب أنهم يعجزوننا أو يخرجون عن قدرتنا.

و (الإعجاز) بمعنى الفوت عن أن تلحق بهم قدرته ﷻ، والهرب من وصول أثرها إليهم، وقوله ﷻ: ﴿ **فِي الأَرْضِ** ﴾ تنبيه للأذهان إلى ما يقتلع جذور ذلك الحسبان. أي فإين يذهبون؟ وكيف يغلبون؟

وقوله ﷻ: ﴿ **ومأواهم النَّارُ** ﴾ وعيد لهم بالعذاب في الآخرة، بعد وعيدهم بالإهلاك في الدنيا؛ فإن الآية الأولى وإن كانت نهيا عن الحسبان، فهي دلالة ظاهرة على الإخبار بأنهم هالكون لا محالة. فكأنه قيل: لا تحسبنهم يعجزوننا، بل هم البتة واقعون في قبضتنا، ذائقون في هذه الحياة مر النكال منا، ومأواهم النار

وقوله ﷻ: ﴿ **وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ تذييل لسابق الكلام، متضمن معنى راحة المسلمين من ناحيتهم، فإن مثل هذه الجملة إنما تقال لمن ذهبت ريحه، واستراحت النفوس منه في النهاية[2].

ونسوق في الصفحات التالية بعض الموانع التي قد تمنع من تحقيق الوعد الإلهي للمؤمنين:

---

[1] ـ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٥/٢٤٤.

[2] ـ شفاء الصدور بتفسير سورة النور، ص: ٢٢٤:٢٢٦.

الفصل الثاني: الهزيمة النفسية

الفصل الثاني: الهزيمة النفسية

معنى الهزيمة النفسية

أحد موانع تحقيق الوعد الإلهي للمؤمنين هي الهزيمة النفسية، والتي تعني انهزام القلب، وانهيار الشخصية، واستصغار النفس واستذلالها، وانكسارها، أمام أعدائها وخصومها، حتى قبل المعركة، سواء كانت حربية، أو فكرية، أو حضارية[١]. وإلى ذلك يشير قوله عز وجل: ﴿ **فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ** ﴾[٢]، فقد انهزم هذا الجيش من بني إسرائيل بمجرد إبصار العدو، وقبل أي منازلة معه؛ لأنه كان يستصحب عوامل الهزيمة في نفوس افراده.

وهذه الهزيمة هي المعنى الذي حواه حديث: " **تداعي الأمم** " الذي رواه أبو داود، والذي أرجع فيه الرسول ﷺ سببَ تكالب العدو الخارجي إلى انهيار البنيان الداخلي والتكوين النفسي بالأساس، وسماه الوهن، وقرنه بالجبن أمام التحدي المحدق؛ وإنما ينهزم الناس عندما تتمكن منهم الأوهام، وتتضخم في أعينهم قدرات العدو أو الخصم، وتضعف نفوسهم عن طلب الغايات الكبرى وبذل الثمن المناسب، ويرضون بالحياة التافهة المتسمة بالعجز والمسكنة.

ولا يحدث كل هذا في ساحة الحرب العسكرية وحدها؛ بل ينسحب على جميع الحالات التي يفقد فيها المؤمنون الفعالية؛ لذا نرى من فقدوا القدرة على المواجهة في ميادين الفكر، والرقي المادي، والمنافسة الحضارية – يتزمتون ويفرُّون إلى الماضي، ويتشبثون بالأشكال والقشور على حساب الحاضر بتفاعلاته وإكراهاته، وعلى حساب الجوهر الذي يحتاج إلى جهد جهيد لإدراك مقاصده وسبر أغواره.[٣]

---

[١] - موقع: إسلام ويب، الانهزام النفسي، أسبابه وأثره على الأمة والدعوة، مقال منشور يوم ٢٠٠٧/١١/١٤م. https://www.islamweb.net/ar/article/١٤١٦٠١/الانهزام-النفسي-أسبابه-وأثره-على-الأمة-والدعوة
كحيل: عبد العزيز، حول الهزيمة النفسية، مقال منشور على موقع الألوكة، يوم ١٤٣٦/٣/٣ هـ - ٢٠١٤/١٢/٢٥م. https://www.alukah.net/sharia/٠/٨٠٢٩٦/حول-الهزيمة-النفسية/

[٢] - سورة البقرة، الآية رقم: ٢٤٩.

[٣] - حول الهزيمة النفسية (مقال).

بعض مظاهر الانهزام النفسي

أ- رفض أي مسئولية ولو كانت جزئية، ومحاولة التخلص من أي أمر له تبعة ولو كان بسيطا.

ب- القعود عن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجاهدة الكافرين والمنافقين، بدعوى تفشي الشر، وانتشار المنكر، واستحالة التغيير.

ج- الخضوع والانقياد والاستسلام للأهواء، والإغراق في زخارف الدنيا ومباهجها، والانشغال بالتنافس على حطامها.

ء- اعتزال البعض للمجتمع، والانكفاء على النفس، هربا من مواجهة المنكر والباطل، واختيارًا لسبيل الراحة والدعة عن مدافعة الظلم والظالمين.

هـ - الخوف من الباطل والانقياد له مع ظهور روح اليأس من إمكانية المجابهة والمواجهة بحجة أن الباطل يملك كل شيء وأننا لا نملك أي شيء.

و- الانبهار الواضح بثقافات الآخرين، والتساهل في قبول أفكارهم وطرائق معايشهم، بل وفي بعض الأحيان تبني أجنداتٍ تحقق لأعداء الدين مآربهم ومطامعهم.

ولا شك أن لهذه الهزيمة وذلك الاستخذاء أثره المدمر على من أصيب به وعلى أمته؛ فالأمة المهزومة نفسيا لا تنتصر أبدا، فالنصر حليف الجِدّ والمثابرة، والمنهزم نفسيا لا جد ولا عمل، بل ولا تطلع ولا أمل..

ومن هنا كان القرآن والسنة يحذران المسلمين من سلوك هذا السبيل والوقوع في ذلك المأزق.. قال ﷻ : **﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾**[١]، وقال: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾**[٢]-[٣] .

---

[١] - سورة آل عمران، الآية رقم: ١٣٩

[٢] - سورة محمد، الآية رقم: ٧

[٣] - الانهزام النفسي، أسبابه وأثره على الأمة والدعوة (مقال).

خطورة الهزيمة النفسية

الهزيمة النفسية سقوط حضاري لا يضاهيه نوع آخر من الهزائم العسكرية التقليدية، وخطورتها تكمن في كونها استعماراً للعقول والقلوب، قبل أن تكون استعماراً لخيرات الأرض ومقدراتها .

وعلى شدة وقع الاستعمار العسكري إلا أنه وسيلة قوية لإيقاظ الأمة من غفلتها، وتقوية لُحمتها، وتحرُّك غيرتها، وإحياء حميّتها الدينية، وفي النهاية طال هذا الاستعمار أم قصر فإن مصيره الرحيل . أما الاستعمار النفسي فيتغلغل في نفوس معظم أبناء الأمة دون أن يدركوا أثره وخطره؛ بل دون أن يشعروا بإصابتهم به!

ولأثر هذا الغزو النفسي فطنت بعض الدول إلى أهميته، حتى غدا عنصراً مهماً في الحملات الفكرية والإعلامية الموجهة للدول المغزوّة أثناء الصراعات الحضارية، كي يدب فيها الوهن ويدوم اليأس [١] .

أسباب الهزيمة النفسية

لعل من أهم أسباب هذه الهزيمة النفسية التي أصابت الأمة في مقتل وأدى إلى ضعفها ووهنها:

١- بُعد كثير من المسلمين عن دينهم وجهلهم بحقيقته، ومرارة الواقع الذي يعيشونه.

٢- خذلان المسلمين بعضهم بعضاً، وعدم اتحادهم أمام قوة أعدائهم.

٣- عدم إدراكهم لأسباب المد والجزر في تاريخ أمتهم، وعدم إلمامهم بعوامل النصر والهزيمة.

٤- تأثرهم بوسائل الإعلام الموجهة إليهم التي يحرص الغرب من خلالها على إبراز أنشطته العسكرية وقدراته الحربية واستعراض أسلحته وتقنيته المتطورة، وإشهار اكتشافاته العلمية وغزوه حتى للفضاء الخارجي.

٥- عدم التعود على تحمل المسؤولية من الصغر، والتي تمنح المرء الثقة بالنفس، واحتراما وتقديرا لها، وأنها قادرة على تخطي الصعاب وتحمل المشاق.

٦- العيش وسط بيئة المنهزمين؛ فبيئة الذل والاستكانة ماديا واجتماعيا أكثرها منهزمون، كما أن أكثر المثقفين المستغربين منهزمون ثقافيا وفكريا.

---

[١] ـ الحسيني: عبد العزيز عبد الله، الهزيمة النفسية وفقه المرحلة، مقال منشور في مجلة البيان، شوال ١٤٢٦ هـ، العدد: ٢١٨، ص: ٦.

٧ – حب الدنيا وكراهية الموت، فحب الدنيا رأس كل خطيئة، وحب الدنيا يقود إلى التنازل عن كثير من الصيانة والأنفة والعزة، مع التزلف والتذلل لمن كانت الدنيا في أيديهم (في الظاهر) لينال بعض فتاتها. وحب الشهوات يوقع المرء في المعاصي، فينكسر انكسار المهزوم، وتضرب عليه ذل أهل المعاصي. ومن انهزم أمام نفسه وهواه وشيطانه، انهزم أمام عدوه الظاهر من باب أولى.

٨– عدم الثقة في الله ﷻ ومنهجه؛ لأن ﴿ **العزة لله ولرسوله وللمؤمنين** ﴾، والنصر لمن علم موعود الله ﷻ وأيقن أنه متحقق لا محالة، والاعتزاز إنما يكون بالانتساب لهذا الدين. ومن شك في موعود الله ﷻ، أو ظن أن الله ﷻ يخذل دينه وأهله، لا يسعه إلا أن ينهار فينهزم نفسيا، وربما انقلب فصار من حزب الخاسرين.

بالإضافة إلى ما يراه المسلمون من هيمنة أعدائهم على معظم المنظمات والبنوك والهيئات الرسمية واستغلالها لإخضاع الدول الإسلامية وإخضاع بعضها بالعقوبات والمقاطعات الاقتصادية، وأحياناً بالقوة والتدخل العسكري إذا لزم الأمر [1] .

آثار وعواقب الهزيمة النفسية على الأمة

الهزيمة النفسية لها عواقب وخيمة، وآثار مدمرة جسيمة، على الأمة، ولا يحتاج المرء إلى كبير تأمل ليدرك إلى أي مدى أثرت هذه الهزيمة النفسية في واقع أمته؛ فهي لا تعاني من شيء كمعاناتها من عواقب، وآثار هذه الهزيمة:

١– الهزيمة النفسية دمرت معنويات الأمة، وحطمت دوافعها، وأحبطت تطلعاتها، وأصابتها بالضعف والهوان، وجعلتها تلقي بنفسها في أحضان عدوها، ومكّنته من كيانها، ودانت له بالتبعية، والولاء التام، وانقادت له مستسلمة دون أي مقاومة تذكر، حيث تشعر بمرارة العجز والقهر واليأس إلى درجة أنه قد زال لدى معظم المسلمين أية بارقة أمل في نهضة حضارية جديدة أو مستقبل مشرق واعد، فتحقق لعدوها ما أراد من السيطرة على معظم أفرادها نفسياً، ومن ثم ثقافياً وسياسياً واقتصادياً بل وسلوكياً .

[1] ـ الهزيمة النفسية وفقه المرحلة (مقال)، الانهزام النفسي، أسبابه وأثره على الأمة والدعوة (مقال).

٢- الهزيمة النفسية تدفع إلى مداهنة الظالمين: فالمهزوم نفسيا مبتلى باحتقار النفس مع تعظيم الآخر، فيرتمي في أحضانهم أو يداهنهم على نحو ما نرى في واقع أمتنا اليوم على جميع أصعدتها ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ** ﴾[١]، كما قال عبد الله بن أبي بن سلول عن موالاته لليهود: "إني لا أدع موالاتهم إني امرؤ أخشى الدوائر".

٣- الهزيمة النفسية مقدمة للهزيمة العسكرية، واحتلال الأرض بعد احتلال العقل والقلب، فأمثال هؤلاء لا يقاومون ولا يجاهدون؛ فهم في أنفسهم أصغر وأحقر من أن يقفوا في وجه أعدائهم، وقد يعلم الأعداء منهم ذلك فيستبيحون أرضهم وينتهبون ثرواتهم وخيراتهم، ويجرعونهم ذل الاستعباد الحقيقي، بعد الاستعباد الفكري والثقافي.

٤- الهزيمة النفسية تسمح للأعداء بامتهان المقدسات وانتهاك المحرمات: فحين يرى أعداؤنا الهزيمة قد تملكت من نفوسنا، والهلع قد احتل كل زاوية في قلوبنا، داسوا رقابنا، وانتهكوا أعراضنا، واستحلوا محارمنا، وجاهروا بانتقاص ديننا، ورسولنا وقرآننا، وأعلنوا بالاستهزاء بأوامر ديننا ومظاهر شرعنا ولا غرو فلا ملامة على حاقد موتور فإنهم لم يجدوا من يصدهم ولا من يردعهم.

٥ – الهزيمة النفسية لها أثرها السلبي على العمل الإسلامي ككل، وأعظم ذلك الفرقة والتمزق بسبب اختلاف يبدو كأنه اختلاف في وجهات النظر، لكن الحقيقة أنه اختلاف في وجهات القلوب، ذلك أن فريق المنهزمين غالبا ما يطرح وجهات نظر تخالف الآخرين لاختلاف الهمم والرغبات، فيختلف الفريق الواحد إلى مؤيد ومعارض ومساعد ومعاند مما يوهن الصف ويفرق الكلمة ويفتح الباب أمام المتربصين من الأعداء للولوج والإطباق والتطويق. كما وأن الانهزامية تصرف الناس عن اتباع هؤلاء فالناس لا تقتدي إلا بأهل القوة في الدين والثبات واليقين.. أما المنهزمون فإن الناس لا يأبهون بهم ولا يعلقون آمالهم عليهم في قليل ولا كثير. وهذا يؤثر بالسلب على الحركة الإسلامية والدعوة ككل.. بل ويكون من أكبر أسباب تأخير النصر ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾[٢].

---

[١] - سورة المائدة، الآية رقم: ٥٢

[٢] - سورة الأنفال، الآية رقم: ٤٦

علاج الهزيمة النفسية

إن استفحال ظاهرة الهزيمة النفسية بين الناس ينذر بسوء العواقب، وينبه إلى لزوم سرعة العلاج والأخذ بأسباب الارتقاء والعز والقوة ومن أهم هذه الأسباب:

أ- التعرف على الله ﷻ حق المعرفة، وعلى رسوله ﷺ، وتربية النفس على تصديق موعود الله ﷻ لأهل الإيمان بالنصرة والتمكين.

ب- إعادة الثقة إلى النفوس، وربط الناس بمصداقية منهج الله ﷻ وأحقيته في قيادة الحياة بعد فشل كل المناهج الأخرى.

ج- الاعتزاز بالإيمان، واستشعار عظيم نعمة الله ﷻ بجعلنا من أهله؛ مما يدفع إلى العمل الدائب لنصرة هذا المنهج الحق.

ء- العمل على إخراج حب الدنيا من القلوب، والاحتراز من المعاصي والذنوب، فإنما العز لأهل التقوى.

هـ - قراءة سير السابقين، وقصص أهل الثبات على الدين، ومواقف العلماء العاملين الشامخين في مواجهة أهل الباطل والظالمين.

و- أخيرا.. الاستعانة بالله، ﷻ والضراعة إليه أن يخلص المسلمين من الهزيمة النفسية وشر المنهزمين.[١]

---

[١] - الانهزام النفسي، أسبابه واثره على الأمة الإسلامية (مقال).

الفصل الثالث: موانع أخرى لتحقيق الوعد الإلهي

الفصل الثالث: موانع أخرى لتحقيق الوعد الإلهي

أولا – عدم اللجوء إلى الوسائل الصحيحة

لا يكفي لتحقيق وعد الله ﷻ إلا أن يأخذ المسلمون بالأسباب الصحيحة المناسبة لظروف الزمان والمكان والأحوال، فمن الخطأ مثلا الاتجاه إلى تغيير المنكر بالقوة، بدون توافر شروطه، وكذلك الخروج على السلاطين الظلمة، إذا لم تتوفر شروطه وضوابطه، وإلا أصبح الأمر فوضى، خصوصا في عصرنا هذا الذي أصبحت الدولة فيه تمتلك قوات مسلحة برية وبحرية وجوية، لا تستطيع أي جماعة شعبية أن تملك ما يكافئها أو يقاربها، ومعنى الصدام المسلح هنا: الدخول في معركة فناء أو انتحار، لا تحقق هدفا، ولا تؤتي ثمرة[١].

ويرى د/ يوسف القرضاوي، أن الذي يملك التغيير في عصرنا واحد من ثلاثة:

أ– إما البرلمانات المنتخبة دستوريا في الدول الديمقراطية، لمن يملك أغلبية كبيرة، تستطيع أن تغير التشريعات والقوانين، بطريقة سلمية.

ب– أو القوات المسلحة، إذا اتفقت مجموعة كبيرة من الضباط الكبار على ذلك، بحيث لا تحدث فتنة. لكن د/ يوسف القرضاوي، لا يجيز الانقلابات العسكرية، لما تحمله من أخطار، وما تفرزه غالبا من أنظمة عسكرية مستبدة، كثيرا ما يطول أمدها.

ج– أو ثورة شعبية عامة تقف فيها جماهير الشعب، خلف زعامة مطاوعة مَرضيّةِ، كما حدث في إيران[٢].

ورأيه – رحمه الله – بالنسبة لموضوع الانقلابات العسكرية معتبر بلا شك، لكن ربما كان الأمر مناسبا اكثر إذا وصلت التربية الإسلامية العميقة للمجتمع إلى الضباط والجنود، وضُمن انحيازهم للجماهير. أما بالنسبة للديمقراطيات، فإن الأمر في رأينا أن الديمقراطية لا تعتبر تمكين إلا إذا آتت آكلها، من تربية المجتمع، ونشر العقيدة الصحيحة، والفهم السليم، والسلوك القويم. ولم يتغير الأمر بتغير الحكام.

ربما كان الرأي الثالث أوقع بالنسبة لظروف الأمة الإسلامية حاليا، ومثل هذه الثورة لن تحدث، ولن تكون على مستوى التغيير المطلوب، إلا إذا توافرت أسباب الوعد الإلهي، وتحققت شروطه، وانتفت موانعه، في

---

[١] ـ فقه الجهاد – القرضاوي، ص: ١٧.

[٢] ـ المصدر السابق، ص: ١٧.

عموم المجتمع، بالحد الأدنى المقبول على الأقل، والذي يساوي في تقديرنا الشخصي ما لا يقل عن ثلثي المجتمع (حوالى ٧٠ ٪)، مع اشتراط ميل كفه القوة إلى هذين الثلثين. وعلى كل فإن أي طريقة من طرق التغيير تحتاج إلى إعداد طويل، وشروط وضوابط، لابد من توافرها، قبل اتخاذ قرار بأي منها. هذا يحتاج إلى حاضنة شعبية، وعصبية حامية.

ثانيا – اهمال تكوين الحاضنة الاجتماعية

الإسلام دولة، لكن بمفاهيم أمة. ومن المفاهيم الأممية للإسلام، ذات البعد الاجتماعي والسياسي، مفهوم (الحاضنة الاجتماعية / الشعبية)، وهي ببساطة المجتمع الذي تعيش وتتحرك فيه[١].

وهذه الحاضنة الشعبية لا يجب أن تقل – في تقديرنا – بأي حال من الأحوال عن نسبة (٧٠ ٪) من المجتمع، مع اشتراط استحواذها على عناصر القوة اللازمة. ولعل هذه النسبة تتأكد لنا من استطلاعات الرأي التي تجري في غزة أثناء معركة طوفان الأقصى، حيث يؤكد ٧٠٪ من المستطلع آراؤهم أنهم مع المقاومة، يتحملون كل ما يحدث لهم، حتى يتحقق لهم نصر الله ﷻ، أو يستشهدوا.

وهذه الحاضنة هي الضمانة لنجاح أي حركة تحرير شعبية، وهي السد المنيع الذي يقف أمام الثورات والانقلابات المضادة، ولعل وقوف الشعب التركي أمام انقلاب ٢٠١٦، واسقاطه دليل على ما نقول، وكذلك وقوف الشعب الفنزويلي أمام انقلاب ٢٠٢٤، وافشاله.

ثالثا – الجهل بمقاصد الشريعة

نقصد بمقاصد الشريعة: "الغاية التي من أجلها وضعت تلك الشريعة في كلياتها وجزئياتها، متحرية أن تجري حياة الإنسان المَشَّرع له على ما فيه خيره وصلاحه"[٢]، أو هي: "المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في

---

[١] - الديلمي: طه حامد، الحاضنة الاجتماعية.. من مفاهيم الأمة في إقامة الدولة، مقال منشور على الموقع الرسمي للتيار السني في العراق، يوم ٢٠٢١/٢/٢٧م. https://sunni-iraqi.net/٢٠٢١/٠٢/الحاضنة-الاجتماعية-من-مفاهيم-الأمة-في-٢/

[٢]- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: ١٦.

جميع أحوال التشريع أو معظمها"[١]، أو هي: "الغاية من الشريعة والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[٢].

وإذا كانت الغاية من خلق الإنسان هي أن يكون خليفة في الأرض، خلافة قائمة على العادة، كما تحدد ذلك في قوله ﷻ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٣]، وفي قوله ﷻ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[٤]، وإذا كانت هذه الخلافة لا يمكن للإنسان تحقيقها إلا بأن بكون الإنسان الفرد منتظما ضمن هيئة جماعية، أصبح إذن المقصد من الشريعة مرتبطا بتحقيق الإنسان غاية الخلافة في الأرض من خلال بعديه الفردي والجماعي. وينتج من هذا الارتباط أن يُقال إذن إن المقصد الأعلى للشريعة الإسلامية هو تمكين الإنسان من تحقيق ما فيه خيره ومصلحته بتحقيق غاية وجوده وهي الخلافة في الأرض، وذلك بصلاح الذات الفردية والهيئة الاجتماعية بما يفضي إلى سعادته في الدنيا والآخرة[٥].

وإذا علمنا أن العلم بمقاصد الشريعة يفيد إيما إفادة في الفهم الصحيح أولا، ثم في التطبيق الرشيد ثانيا، بحيث يكون كل من الفهم والتطبيق مفضيا إلى تحقيق الهدف المقصود الذي ابتغاه المشرع، وأن المقصد حين يكون مجهولا أو مختلطا غير محرر، فإن الفهم قد يفقد دليله الموجه، وكذلك التطبيق[٦].

وإذا أضفنا إلى ذلك: أهمية العلم بمقاصد الشريعة للمجتهد في أحكام الشريعة، في مجالي فهم الأحكام وتنزيلها على الواقع، وأن العلم بمقاصد الشريعة قد يكون أحيانا ميزانا في تحصيل الأحكام، وذلك بقبول الآثار من السنة أو ردها[٧]. وأن العقل الذي يفكر بالطريقة المقاصدية، يكتشف الطاقات، فيضع لها الخطة والهندسة المناسبة، ويؤصل المنطلقات، ويحدد الأهداف المرحلية والاستراتيجية، ويضع البرامج، ويبتكر الوسائل، ويحدد المسؤوليات، ويُبَصِّر بمواطن القصور والخلل، ويكتشف أسباب التقصير، ويدفع للمراجعة والتقويم، واغتنام الطاقة، والتقاط الفرص التاريخية، والإفادة من التجربة، ويكسب العقل القدرة على التحليل والتعليل، والاستنتاج والقياس، واستشراف المستقبل في ضوء رؤية الماضي، ويحمي من الإحباط والخلط بين الإمكانيات والأمنيات، أي أن العقل المقاصدي الغائي ينعكس عطاؤه على جميع جوانب الحياة الفردية

---

[١] ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ــ ابن عاشور، ١٦٥/٣.
[٢] ـ الفاسي: عَلَّال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ط: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص: ٧.
[٣]- سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠
[٤] ـ سورة الذاريات، الآية رقم: ٥٦
[٥] ـ مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: ١٦.
[٦] ـ المصدر السابق، ص: ١٩.
[٧] ـ المصدر السابق.

والاجتماعية، ويحقق الانسجام بين قوانين الكون ونواميس الطبيعة، وسنن الله ﷻ في الأنفس، وامتلاك القدرة للتعرف على الأسباب الموصلة إلى النتائج، وإمكانية المداخلة والتسخير المطلوب شرعا، وغير ذلك من أهمية العلم بمقاصد الشريعة[1].

إذا علمنا ذلك كله، يتضح لنا أهمية العلم بمقاصد الشريعة للتمكين للأمة الإسلامية، والأثر السلبي للجهل بهذه المقاصد على ذلك التمكين.

رابعا – عدم وضوح الرؤية وتحديد الأهداف

عندما تغيب الرؤية الواضحة والنظر الإستراتيجي العميق للواقع، تظهر لنا مجموعة مِن الآثار السلبيَّة، والتي تتمثل في:

١- التخبُّط في الأعمال وعدم الثبات.

٢- طول الطريق وعدم سلامته.

٣- عدم إدراك مآلات الأفعال وتشوُّش الذِّهن.

٤- كثرة العقبات المؤدية للفشل في الحياة.

٥- عدم حدوث التغير.

٦- جلب الفساد أكثر من الإصلاح.

مما يؤدي إلى ظهور مجموعة من النتائج حين تغيب هذه الرؤية المنتظمة:

أ- الابتعاد عن الأعمال المُنتجة التي تحتاج إلى الوقت والجهد للقيام بها.

ب- الشعور بالملل والفتور لعدم تحقيق أي شيء يُذكَر.

ج- الهروب أكثر إلى الأعمال السريعة التي لا تَحتاج للوقت والجهد.

ء- التسرُّع في الحكم على الجهود وتقويمها.

هـ - عدم القدرة على مواجهة العراقيل.

و- الحِرمان مِن التوقُّع المسبق للمشكلات.

تُساعدنا الرؤية الواضحة في معرفة طبيعة المرحلة التي نحن فيها، والأولويات التي يَنبغي البدء بها، وإلى أين نُريد أن ننتهي، وحدود المَجال الذي سنعمل فيه، فبفضلها أيضًا نُدرك حجم التحديات التي نواجهها،

---

[1] - نحو تفعيل مقاصد الشريعة، ص: ٢٢٨.

وبذلك نتمكَّن من استبصار الحاضر واستشراف المستقبل، هنا تظهَر أهمية معرفة الذات واكتشاف الطاقات والأهداف، عن طريق بناء هذه الرؤية التي تجعل الإنسان فاعلاً وقادرًا على برمَجة ذاته وخَطِّ طريقه.

لا يُمكن للرؤية الواضحة أن تتحقَّق إلا بفعل نسج مجموعة مِن المهارات المكتَسبة والتي يُمكن أن تُجْمَلَ في أربع نقط محورية، هي:

١- التنظيم الجيد في كسب الجهد وحسن إدارة الوقت.

٢- تحديد الأهداف والتخطيط لها بدقة مِن خلال التعامُل معها بالحكمة.

٣- وضع الأولويات والبدائل.

٤- التحلِّي بالثقة في النفس في مواجَهة المعيقات وحل المشكلات.

لا بدَّ أن تكون أهدافنا واضحةً أمامنا حتى لا نَفتقِدَ بوصلة السير في خضمِّ سعْي الإنسان لتحقيق رسالته، والدَّور الذي يعيش من أجله في الحياة على أكمل وجْه، فقيمة الإنسان تتحدَّد بعملِه وإنجازه وعطائه وسعيه في تطوير ذاته وفق تَفكيرٍ سليم، مِن هنا يُثبت الإنسان إنسانيَّتَه ودَوره في الوجود، وبقيامه بواجباته نحو نفسه يتطور ذهنيًّا وفكريًّا بالعلم والمعرفة، وكذلك نحو أسرته ومجتمعه بالحب والمشاركة والإنتاج، فيَختار واجباته حسب أولويتها، والمهمُّ أن يكون هناك توازُن بينها، فيُحقِّق الفرد النجاح والسعادة في كل ما يقدِّمه ويُنجِزه، ويظهر بذلك الإبداع.

إنَّ وضوح الرؤية يقوِّي القدرة على جذب ما يريده الفرد في حياته من نجاح، ويُمكن تسريع حدوث ذلك عن طريق التركيز على النقاط الثلاث الجوهرية الآتية :

١- التصالُح مع الماضي للتقدُّم إلى الأمام، بمعرفة المراحل والحالات التي أوصلت الفرد إلى ما هو عليه اليوم؛ أي: الأمور الإيجابية والسلبية.

٢- استكشاف الطاقات الكامنة في الشخص وتحديدها.

٣- الوضوح مع النفس وكتابة الأفكار لكي ترى بشكل واضِح، وبذلك يتمُّ معرفة ما يُراد تحقيقه في الحياة من نجاحات.

المهم هو السير على الطريق الصحيح في الحياة، والثبات أمام التحديات، فلا فراغ يستطيع أن يقتلنا، ولا سلبية الآخرين تستطيع أن تتحكم بنا، ولا أهواء النفس تستطيع أن تسيطر علينا.[١]

خامسا – تعسف الطريق وعدم مراعاة السنن الكونية

من ذلك ما يظنه البعض من أن التمكين حتمي حتى ولو لم يأخذون بأسبابه، ويقيمون شروطه، لذلك تجد من الظواهر الغريبة في ساحة العمل الإسلامي أن تتقدم حركات إلى مواقع القرار والحكم، دون أن تأخذ بأي من الأسباب المادية والمعنوية، فلا هي بلغت المستوى الإيماني المطلوب، ولا هي استحوذت على مقومات القوة والتمكين، ثم هي بعد ذلك تستأخر النصر، ملقية باللائمة على الظروف المُعيقة، والقوى المضادة، ودون أدنى فقه لسنة التمكين. إنه لابد من تقييم صادق للنهج، وتفحص دقيق للتربية، ومكاشفة صريحة للنفوس، وغربلة حقيقية للصفوف[٢]: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣].

سادسا – عدم استكمال الكوادر اللازمة

(الكادِر) مصطلح مفرد يجمع على (كوادرُ) ويعني: الطاقة البشريّة التي تساعد في تنمية المجتمع وتقدُّمه إذا أُحْسِن استغلالها. تقول مثلا: "تمَّ الاستعانة بالكوادر المحلّيّة المتميِّزة لتطوير الجهاز الإداريّ"[٤].

والتمكين بإقامة دولة الخلافة العالمية على منهاج النبوة، يتطلب توفير الكوادر اللازمة – للأمة الإسلامية – في كافة مناشط الحياة، وهذا يحتاج إلى تخطيط وإدارة واعية، وخطة بينة المعالم، محددة الأهداف، متطورة المناهج، شرعية في أسبابها ووسائلها[٥]. وإعداد الكوادر قد تقوم به الحركة الإسلامية، أو قد يكون على المستوى الفردي، أو على مستوى مؤسسات المجتمع المدني[٦].

---

[١] - أمكاح: أمين، وضوح الرؤية في الحياة وقود النجاح، مقال منشور على موقع الألوكة الاجتماعية، يوم ١٤٣٦/٩/٢٧ هـ ، ٢٠١٥/٧/١٣م.
https://www.alukah.net/social/٠/٨٩٢٢٠/وضوح-الرؤية-في-الحياة-وقود-النجاح/

[٢] - فقه التمكين – فتحي يكن (مقال)، ص: ٤٥.

[٣] - سورة الروم، الآية رقم: ٤٧

[٤] - معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٨٨٩/٣.

[٥] - تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين، ص: ٣١٩.

[٦] - أنظر كتابنا: نور الوعد الإلهي، ١- لزوم الفروض الكفائية، ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني.

خاتمة

كلمة أخيرة

من الأمور الأساسية التي يجب أن يعيها المسلمون في طريقهم إلى التمكين هي أن النصر من عند الله ﷻ، فهو الذي يقدر وقته، ومكانه، وطريقته، وكل ما يتعلق به، وذلك بعد توفر الأسباب وتحقيق الشروط، وانتفاء الموانع، وأن النصر الذي يريده الله ﷻ قد يكون غير النصر الذي يريده المؤمنون، لأن المنظور إليه في (مفهوم النصر) هو ما يعده الله ﷻ نصرا، وإن لم يعده الناس نصرا[١].

كما إن النصر لا يتحقق ويتبين ويُعرف إلا عند انتهاء الحرب والقتال، وليس بعد انتهاء معركة واحدة، ولكن لا يجوز للمسلمين أن يعينوا ميعادا محددا لنصرهم، ولا صوره معينة، ولا شكل معين، وحسبهم أن يثقوا كل الثقة في وعد الله ﷻ [٢].

وقد يكون من أسباب تأخر النصر والتمكين، بعض أو كل ما يلي:

أ- حتى تبذل الأمة كل ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزا ولا غاليا، إلا وقد بذلته رخيصا في سبيل الله ﷻ [٣] .

ب- وحتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن تلك القوى وحدها لا تكفل النصر، وإنما يتنزل من عند الله ﷻ بعد بذل ما في الوسع، ثم التوكل عليه سبحانه[٤].

ج- النصر السهل، وفقدانه وضياعه أيضا سهل؛ لأنه رخيص الثمن؛ ولأن الذين نالوه لم يدربوا قواهم على الاحتفاظ به، فالطاقات التي لم تحشد لكسب النصر، لن تتحفز وتحتشد للدفاع عنه[٥] .

فيأتي الإبطاء لإعطاء الأمة الوقت لاستكمال نضوج بنيتها، وإعطائها الوقت لحشد كل طاقاتها، والتعرف على أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات، فلو نالت النصر قبل ذلك لفقدته سريعا لعدم قدرتها على حمايته طويلا [٦] .

---

[١] ـ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٨١

[٢] ـ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص: ١٨١.

[٣] ـ في ظلال القرآن، ٢٤٢٦/٤.

[٤] ـ المصدر السابق.

[٥] ـ المصدر السابق.

[٦] ـ المصدر السابق.

ء- دفاع الأمة عن نفسها يوقظها، ويجعلها تحشد كل قواها، وتوفر كل استعداداتها، وتجمع كل طاقاتها، فتنمو وتنضح، وتتهيأ لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها[١].

هـ- التربية الوجدانية، والتدريب العملي الذي ينشأ من الكر والفر، ومن النصر والهزيمة، والقوة والضعف، والتقدم والتقهقر، ومن المشاعر المصاحبة له، ضروري للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس[٢].

و- قد تكون الأمة في حاجة إلى زيادة صلتها بالله ﷻ ، ولا يحدث ذلك إلا وهي تعاني وتتألم وتبذل، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله ﷻ ، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله ﷻ [٣].

ز- وقد تكون الأمة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ﷻ ولدعوته، فقد تكون تقاتل لمغنم، أو حمية لذاتها، أو شجاعة أمام أعدائها، والله ﷻ يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله [٤].

ح- وقد يكون في الباطل الذي تحاربه، بقية من خير، ويريد الله ﷻ لها أن تتمحص من الشر [٥]، أو لم ينكشف زيفه للناس تماما، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة [٦].

ط- أو تكون البيئة نفسها لم تتهيأ بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة، فلو انتصرت حينئذ لوجدت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار، ويظل الصراع قائما [٧] .

---

[١] - في ظلال القرآن، ٢٤٢٥/٤.

[٢] - المصدر السابق، ٢٤٢٦/٤.

[٣] - المصدر السابق، ٢٤٢٧/٤.

[٤] - المصدر السابق.

[٥] - المصدر السابق.

[٦] - المصدر السابق.

[٧] - المصدر السابق.

النتائج

- التمكين سنة إلهية، والتمكين لأمة الإسلام بُشرى نبوية.

- فقه التمكين: **(** هو الفهم والعلم اللازم لإقامة خلافة على منهاج النبوة، والمحافظة على بقائها، وتنميتها المستدامة، بحيث يهيمن فيها دين الإسلام الكامل الشامل، على قلوب المسلمين وواقع حياتهم- الأفراد والمجتمعات والحكام - وتسترد بها الأمة الإسلامية: حريتها، ووحدتها، وخيريتها، ووسطيتها، وتقيم حضارتها على أساس العقيدة، لتكون شاهدة على الأمم في الدنيا والآخرة، تحقيقا لمراد الله ﷻ من خلقه**)**.

- فقه التمكين فقه حركي، تطبيقي عملي، وليس مجرد أفهام وعلوم نظرية، ليس لها من الواقع نصيب.

- الآية رقم (٥٥) من سورة النور، يجعلها عمدة قضية التمكين، ودرة تاجها، والمعلم الرئيسي الذي تنسج حوله خيوطها، ومعها الآيات (٥٦،٥٧).

- وَعْد الله ﷻ في هذه الآية الكريمة: بشارة، وصدق، وهو وعد عام، ويتناغم مع البُشرى النبوية بخلافة على منهاج النبوة، كما أنه يقتضي المعونة من الله ﷻ.

- السبب الموجب للوعد الإلهي: الإيمان والعمل الصالح. وبدون الإيمان والعمل الصالح، بالحد الأدنى المقبول في الأمة، لا تكون الأمة موعودة.

- إذا نقصت بعض معاني الإيمان والعمل الصالح في المسلمين ينقص استحقاقهم في الاستخلاف الذي وعدهم الله ﷻ به، فيكون لهم بعض معاني الاستخلاف لا كلها.

- الاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن، مقاصد للوعد الإلهي في قوله ﷻ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾ . يجب مراعاتها في البحث النظري، والبرنامج العملي لفقه التمكين.

- لاستخلاف الأمة الإسلامية والتمكين لها مقاصد تبعية فيما يخص الفرد، والأسرة، والأمة ، والإنسانية.

- شرط الوعد الإلهي هو (العبادة بلا إشراك) المذكور في قوله ﷻ: ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾. وتحقيق الوعد الإلهي متوقف على حصوله.

- قوله ﷻ: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ في الأَرْضِ ومَأْواهُمُ النّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾. إشارة إلى الموانع التي قد تمنع تحقيق الوعد الإلهي مع توفر سببه وشرطه، وهي هنا في الآية: الهزيمة النفسية.

- من الموانع الأخرى التي تمنع تحقيق الوعد الإلهي: عدم اللجوء إلى الوسائل الصحيحة، واهمال تكوين الحاضنة الشعبية، والجهل بمقاصد الشريعة، وعدم وضوح الرؤية وتحديد الأهداف، تعسف الطريق وعدم مراعاة السنن الكونية، وعدم استكمال الكوادر اللازمة.

- الله ﷻ قبل ذلك كله، هو المحيط بكل شيء، عالم الغيب والشهادة، وهو الذي يقدر وقت النصر، ومكانه، وأهله، وطريقته.

المصادر والمراجع

المصادروالمراجع

- **الآمدي:** علي بن محمد (ت ٦٣١ هـ)، **الإحكام في أصول الأحكام**، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، (دمشق – بيروت)، ١٤٠٢ هـ.

- **ابن القيم:** محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١ هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: مجموعة من العلماء، ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

- **ابن القيم:** محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ)، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ط: دار ابن كثير، دمشق، بيروت – مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م

- **ابن تيمية:** أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ)، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٣م.

- **ابن حنبل:** أحمد (ت ٢٤١ هـ) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ت: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

- **ابن حيان:** محمد بن يوسف، بن علي بن يوسف، أبو حيان، أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠ هـ.

- **ابن سيده:** علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، ت: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

- **ابن سيده:** على بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)، **المخصص**، ت: خليل إبراهيم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٧ هـ.١٩٩٦م.

- **ابن عاشور:** محمد الطاهر بن محمد الطاهر (ت ١٣٩٣ هـ)، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت ١٣٩٣ هـ)، **التحرير والتنوير**، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

- **ابن عبد السلام:** عبد العزيز، عز الدين، سلطان العلماء (ت ٦٦٠ هـ) ، **معنى الإيمان والإسلام، أو الفرق بين الإيمان والإسلام**، ت: إياد خالد الطباع، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، ١٩٩٥.

- **ابن كثير:** إسماعيل بن عمر، أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩ هـ

- **ابن مسلم:** مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، ت: محمد ذهني أفندي، وأخرون، ط: دار الطباعة العامرة – تركيا، ١٣٣٤هـ

- **ابن منظور:** محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، حواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، ط: دار صادر – بيروت ١٤١٤ هـ.

- **أبو البقاء الكفوي:** أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤ هـ)، **الكليات**، ت: عدنان درويش – محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.

- **أبو دوح:** خالد كاظم، **الأمن الغذائي، أوراق السياسات الأمنية**/ المفاهيم الأمنية، بحث بمركز البحوث الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

- **أبو زهرة:** محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت ١٣٩٤ هـ)، **زهرة التفاسير**، ط: دار الفكر العربي.

- **أحمد:** عمر محمود عمر، **القواعد الفقهية لمقصد الأمن وضوابطه في الإسلام**، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، ٢٠١٧.

- **أحمد:** مريم داوود، شمس الدين: صفية، الأطرش: رضوان جمال، **التمكين الاقتصادي في القرآن الكريم**، بحث منشور في مجلة الرسالة، الصادرة عن كلية المعارف الإسلامية، والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، المجلد: ٧، رقم: ٢، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م.

- **الإسنوي:** عبد الرحيم بن الحسن بن علي (ت ٧٧٢ هـ)، **نهاية السول شرح منهاج الوصول**، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

- **الأشقر:** عمر سليمان، **تاريخ الفقه الإسلامي**، ط: مكتبة الفلاح – الكويت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

- **أمكاح:** أمين، **وضوح الرؤية في الحياة وقود النجاح**، مقال منشور على موقع الألوكة الاجتماعية، يوم ١٤٣٦/٩/٢٩هـ، ٢٠١٥/٧/١٣م. https://www.alukah.net/social/٠/٨٩٢٢٠/وضوح-الرؤية-في-الحياة-وقود-النجاح/

- **باقاسي:** يحيى بن عبد الفتاح بن عبد الله، **الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة – كلية التربية - جامعة أم القرى، ١٤٠٩ هـ.

- **البخاري:** محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ)، **صحيح البخاري**، ت: د. مصطفى ديب البغا، ط: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

- **البدري:** توفيق، **مفهوم الأمة وأوصافها في القرآن الكريم**، بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة – سابقا)، السنة: ٢٤، العدد: ٩٤، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م.

- **البدري:** توفيق، **مفهوم الأمة وأوصافها في القرآن الكريم**، بحث منشور في مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة – سابقا)، السنة: ٢٤، العدد: ٩٤، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م.

- **المناوي:** عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي ١٠٣١ هـ، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط: عالم الكتب – القاهرة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

- **بلعربي:** كريمة، **سنة الابتلاء والتمكين في القرآن الكريم، نظرات في الغايات والأهداف**، مقال منشور على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية. https://tafsir.net/article/٥٤٧١/snt-al-abtla-a-waltmkyn-fy-al-qr-aan-al-krym-nzrat-fy-al-ghayat-wal-ahdaf

- **بن سكا:** عمر، **نظرات وقضايا في فقه التمكين، قراءة في أسباب وشروط نهضة الأمة من خلال القرآن الكريم**، بحث منشور في مجلة الشباب، الصادرة عن معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي – الجزائر، مجلد: ٤، عدد: ٤ (ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ - ديسمبر ٢٠١٨م).

- **بهاء الدين:** شيماء، **الاستخلاف**، مقال منشور على موقع الفكر الإسلامي والدراسات المعاصرة، يوم ١٧ يناير ٢٠٢٢. الاستخلاف – مركز الفكر الإسلامي والدراسات المعاصرة(citcs.center)

- **البوشيخي:** الشاهد، **نظرات في مفهوم الأمن في القرآن الكريم**، محاضرة ألقيت في الملتقى الثاني للقرآن الكريم بمكناس – المغرب، منشورة على موقع: ملتقي أهل التفسير، القسم العام/ الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن، يوم ٥ إبريل ٢٠٠٧.

- **البوطي:** محمد سعيد رمضان (ت ١٤٣٤ ه)، **ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية**، ط: مؤسسة الرسالة.

- **بيزات:** صونية، **الأمن البيئي**، بحث منشور في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الصادرة عن جامعة باتنة – الجزائر، العدد: ٣٠، يونيو ٢٠١٤.

- **الترابي:** حسن، **الإيمان، أثره في حياة الإنسان**، ط: دار القلم – الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

- **الترمذي:** محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي (الجامع الكبير)** ، ت: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، ط: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

- **التهانوي:** محمد بن علي بن محمد حامد بن محمد صابر (ت بعد ١١٥٨ هـ)، **-كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ت: د. على دحروج، ترجمة من الفارسية: د. عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية: د. جورج زيناني، ط: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١٩٩٦م.

- **الجبالي:** إبراهيم، **شفاء الصدور بتفسير سورة النور**، ط: مطبعة الإرشاد لصاحبها (أمين عبد الرحمن الجزيري)، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

- **جبل:** محمد حسن، **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ط: مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠م.

- **الجزار:** عمر لطفي، **فقه التمكين و أثره في تطبيق الأحكام الشرعية**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الفقه المقارن، كلية الشريعة والقانون، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية. ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

- **جلال:** سليمة، **أسماء السور في القرآن الكريم - مقاربة لسانية سيميائية**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص: لسانيات اللغة العربية، مقدمة إلى قسم اللغة وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ٢٠٠٨م - ٢٠٠٩م.

- **حافظ:** فاطمة، **التمكين بين الرؤية القرآنية والرؤية الحداثية**، مقال على موقع: إسلام أون لاين. https://islamonline.net/التمكين-بين-الرؤية-القرآنية-والرؤية-ا/

- **حامدي:** عبد الكريم بن محمد الطاهر، **مقصد حفظ الأمن في القرآن الكريم**، مقال منشور على موقع: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

- **الحسيني:** عبد العزيز عبد الله، **الهزيمة النفسية وفقه المرحلة**، مقال منشور في مجلة البيان، شوال ١٤٢٦ هـ، العدد: ٢١٨.

- **حمادة:** عبد الله، **بين النظرية والتطبيق**، مدونة على موقع الجزيرة، يوم ٢٠١٧/٥/٢٧م.
https://www.aljazeera.net/blogs/٢٧/٥/٢٠١٧/بين-النظرية-والتطبيق

- **حمادي:** سهام، **مقصد العدل و أثره في رعاية حقوق الإنسان**، بحث منشور في مجلة الشريعة والاقتصاد، الصادرة عن كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة – الجزائر، المجلد السابع، الإصدار الأول لسنة ٢١٠٨م، يونيو ٢٠١٨م.

- **الحميري:** نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، ت: د. حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، ط: دار الفكر المعاصر -بيروت، ودار الفكر – دمشق، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م.

- **حوى:** سعيد (ت ١٤٠٩ هـ)، **الأساس في التفسير**، ط: دار السلام – القاهرة.

- **حوى:** سعيد، **كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر، الرسالة الأولى: منطلقات إسلامية لحضارة عالمية حديثة**، ط: دار عمان.

- **حوى:** سعيد، **كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر، رسالة: فلنتذكر في عصرنا ثلاثا: فروض العين، فروض الكفاية، لمن تدفع صدقتك**، ط: دار عمار - بيروت – عمَّان.

- **الخادمي:** نور الدين بن مختار، **علم المقاصد الشرعية**، ط: مكتبة العبيكان، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م.

- **الخادمي:** نور الدين مختار، **القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل**، بحث منشور في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الصادرة عن جامعة نايف الغربية للعلوم الأمنية، المجلد: ٢١، العدد: ٤٢، رجب ١٤٢٧هـ.

- **الخازن:** علي بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٤١ هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ.

- **الخالدي:** صلاح عبد الفتاح، **في ظلال الإيمان**، ط: دار القلم – دمشق، ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣م

- **الخالدي:** صلاح عبد الفتاح، **وعود القرآن بالتمكين للإسلام**، ط: دار القلم – دمشق، ٢٠٠٤م.

- **الخطيب البغدادي:** أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٢ هـ)، **الفقيه والمتفقه**، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ط: دار ابن الجوزي – السعودية، ١٤٢١ هـ.

- **الخطيب:** حذيفة تقي الدين، **التمكين، أسسه وأساليبه** – دراسة بلاغية تطبيقية، ط: دار الكتب الوطنية – هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي)، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.

- **الخطيب:** عبد الكريم يونس (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، ط: دار الفكر العربي – القاهرة.

- **دراز:** محمد عبد الله، **الدين**، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ط: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٦م.

- **الدرويش:** محي الدين (ت ١٤٠٣ هـ)، **إعراب القرآن وبيانه، تفسير سورة النور**، ص: ٦٤٢،٦٤١. منشور على موقع الموسوعة القرآنية، https://quranpedia.net/surah/١/٢٤/book/٦٤

- **درويش:** نبيل محمد، **الأمن، أسبابه وموانعه وآثاره النفسية في ضوء القرآن الكريم**، مقال منشور في حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، المجلد: ١١، العدد: ٢٩، الرقم المسلسل للعدد: ١، ٢٠١٧م.

- **الدوسرى:** محمود بن أحمد، **مقاصد السنة النبوية، ٦- حفظ الأمن**، مقال منشور على موقع الألوكة، ١٤٤٢/٦/٩ هـ - ٢٠٢١/١/٢٣م.

- **الديلمي**: طه حامد، **الحاضنة الاجتماعية.. من مفاهيم الأمة في إقامة الدولة**، مقال منشور على الموقع الرسمي للتيار السني في العراق، يوم ٢٠٢١/٢/٢٧م. /https://sunni-iraqi.net ٢٠٢١/٠٢/الحاضنة-الاجتماعية-من-مفاهيم-الأمة-في-٢/.

- **الذهبي: محمد** بن أحمد، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

- **ذيب:** فيصل، **الأمن السياحي وتأثيره على الظاهرة السياحية**، بحث منشور في المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد: ٦٠، العدد: ٢، ابريل ٢٠٢٣.

- **الرازي:** محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦ هـ)، **مختار الصحاح**، ت: يوسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

- **الرازي:** محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للرازي)**، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ.

- **الراغب الأصفهاني:** الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية، دمشق – بيروت.

- **رامي:** صباح أسد محمود، **أنواع الأمن وأهمية كل منها**، مقال منشور على موقع مجلة التدريب، https://moias.org/content.php?id=٦٠٩

- **رشيد:** كهوس، **في تعريف السنن الإلهية**، مدونة على موقع الجزيرة، يوم ٢٠١٨/٧/١٧م. https://www.aljazeera.net/blogs/ ٢٠١٨/٧/١٧/في-تعريف-السنن-الإلهية

- **الرصاع:** محمد بن قاسم (ت ٨٩٤ هـ)، **شرح حدود ابن عرفة**، ط: المكتبة العلمية، ١٣٥٠ هـ.

- **رضا:** محمد رشيد، **الخلافة**، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة.

- **رفعت:** جيهان محمد، **السنن الإلهية الفاعلة و أثرها في التطور الاقتصادي في القرآن الكريم**، مع المقارنة بفلسفات معاصرة في التطور، ٢٠٢١ .

- **الريس:** محمد ضياء الدين، **النظريات السياسية الإسلامية**، ط: مكتبة دار التراث – القاهرة.

- **الريسوني:** أحمد، **الفكر المقاصدي قواعده وفو ائده**، ط: جريدة الزمان، سلسلة: كتاب الجيب، ديسمبر ١٩٩٩م.

- **زايد:** أحمد عبد الله، **مقدمة في علم الاجتماع السياسي**، الطبعة الثانية.

- **الزحيلي:** وهبة، **أصول الفقه الإسلامي**، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر – دمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- **الزحيلي:** محمد مصطفى، **الوجيز في أصول الفقه الإسلامي** (المدخل – المصادر – الحكم الشرعي ط: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

- **الزحيلي:** محمد مصطفى، **مقاصد الشريعة الإسلامية** .

- **الزحيلي:** محمد، **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه**، ط: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩١م.

- **الزركشي:** بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله (ت٧٩٤ هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧م.

- **الزركشي:** بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله (ت٧٩٤ هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧م.

- **زرمان:** محمد، **وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم – دلالاتها وأبعادها الحضارية**، بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، - جامعة قطر، العدد ١٦، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

- **زهير:** محمد أبو النور، **أصول الفقه**، ط: المكتبة الأزهرية للتراث،

- **زيدان:** عبد الكريم، **أصول الدعوة**، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- **زيدان:** عبد الكريم، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

- **زيدان:** عبد الكريم، **الوجيز في أصول الفقه**، ط: مؤسسة قرطبة.

- **السبكي:** على بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هـ)، وولده عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ)، **الإبهاج في شرح المنهاج**، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

- **السِّجِسْتاني:** سليمان بن الأشعث بن إسحاق – أبو داود (ت ٢٧٥ هـ)، **سنن أبي داوود**، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

- **سحتان:** أنيسة بنعيم، **مقاصد السنن الاجتماعية في بعدها الاجتماعي والحضاري** /١، بحث منشور على موقع مركز الشهود الحضاري، للدراسات الشرعية والمستقبلية، ٣٠ مارس ٢٠٢٢. https://shuhoud.com/مقاصد-السنن-الاجتماعية-في-بعدها-الاجت/

- **السعدي:** إسحاق بن عبد الله، **دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه**، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ٢٠١٣م.

- **السعدي:** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

- **السعيدي:** عيسى بن عبد الله، **الوعد الأخروي شروطه وموانعه**، ط: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

- **السلطاني:** إيمان مطر مهدي، **وظائف العنوان النصية في القرآن الكريم - السور المكية أنموذجا**، بحث منشور في مجلة اللغة العربية وآدابها – جامعة الكوفة، ١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤م.

- **السيوطي:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١ هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.

- **السيوطي:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١ هـ)، **تاريخ الخلفاء**، ت: حمدي الدمرداش، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- **الشاطبي:** إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠ هـ)، **المو افقات**، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ط: دار ابن عفان، ١٤١٧هأ – ١٩٩٧م.

- **الشامي:** صالح أحمد، **المهذب من مدارج السالكين، للإمام ابن قيم الجوزية** (ت ٧٥١ هـ)، ط: دار القلم – دمشق، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

- **شرفة:** حسين، **خلافة الإنسان في الأرض في ضوء القرآن الكريم**، بحث منشور في مجلة الإحياء، العدد الثاني، ٢٠٠٠/١٢/١م،**خليل:** عماد الدين، **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ط: دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- **الشعراوي:** محمد متولي، **تفسير الشعراوي - الخواطر**، ط: مطابع أخبار اليوم

- **الشنقيطي:** محمد الحسن ولد الددو، **سنن التمكين**، المؤتمر الإغاثي الدولي لصالح الشعب السوري، بتركيا، سنة ٢٠١٤.
https://dedewnet.com/index.php/component/elmedia/?view=media&id=

- **الصاحب بن عباد: إسماعيل** (ت ٣٨٥ هـ)، **المحيط في اللغة**، ت: محمد حسن آل ياسين، ط: عالم الكتب – بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

- **صافي:** لؤي، **العقيدة والسياسة، معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية**، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (١١)، الصادرة عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

- **صالح:** شكر إسكندر، **سورة النور البلاغية**، رسالة دكتوراة مقدمة لقسم الدراسات العليا، العلوم الإسلامية (تفسير)، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة يوزنجوييل – الجمهورية التركية.

- **صبرينة:** حمود، **بوسعدية:** وهيب، **الأمن الثقافي دراسة في المفهوم والمهددات**، بحث منشور في مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد: ١١، يونيو ٢٠١٧.

- **الصلابي:** علي محمد، **تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، ط: مكتبة الصحابة – الإمارات، مكتبة التابعين – القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- **الطبري:** محمد بن جرير (٣١٠ هـ)، **تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر- د. عبد السند حسن يمامة، ط: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – مصر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

- **عبد الحليم:** علي، **فقه الدعوة إلى الله**، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ١٤١١،١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- **عبد القادر:** معن، **ثمرات العلم بمقاصد الشريعة**، مقال منشور على موقع مجلة رواء، العدد الخامس، ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٠. https://rawaamagazine.com/ثمرات-العلم-بمقاصد-الشريعة/

- **عبد الكافي:** عمر، حلقة تليفزيونية من برنامج الدين القيم، راديو وتليفزيون الشارقة.

- **عبد الله:** عصام أبو اليزيد، **مقومات الأمن المائي في ضوء السنة النبوية "دراسة موضوعية"**، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، العدد الأول، المجلد الأول، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م.

- **عثمان:** محمد رأفت، **رياسة الدولة في الفقه الإسلامي**، ط: دار الكتاب الجامعي، ١٩٧٥م.

- **عدلان:** عطية، **فقه التمكين، المعنى والملامح وو اقع الأمة**، حلقة تليفزيونية على قناة التناصح الفضائية، تقديم: د/ فوزي الغرياني، يوم ٢٣ أغسطس ٢٠٢١. https://www.youtube.com/watch?v=M٦U٢ofeK٩CI

- **العسكري:** الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥ هـ)، **الفروق اللغوية**، ت: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- **عطية:** جمال الدين، **نحو تفعيل مقاصد الشريعة**، صادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (١٧)، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سورية، رجب ١٤٢٢ هـ - أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م.
علم المقاصد الشرعية.
- **عمر:** أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. **الآمدي:** علي بن محمد (ت هـ)، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، (دمشق – بيروت)، ١٤٠٢ هـ
- **عودة:** عبد القادر (ت ١٣٧٣ هـ)، **الإسلام وأوضاعنا السياسية**، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- **العُوَيد:** عصام بن صالح، **أسوار العفاف قبس من سورة النور**، ط: مركز تدَبُّر للدراسات والاستشارات، الطبعة الأولى.
- **الغريب:** رمضان خميس زكي، **سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم**، بحث منشور على موقع المنتدى العالمي للوسطية، يوم ١٧ فبراير ٢٠١٨، https://www.wasatyea.net/ar/content/سنة-التمكين-في-ضوء-القرآن-الكريم
- **الغزالي:** محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، **إحياء علوم الدين**، ط: دار المعرفة – بيروت **الحكيم الترمذي:** محمد بن على (ت ٣٢٠ هـ)، **كتاب إثبات العلل**، ت: خالد زَهْري، ط : مكتبة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- **الغزالي:** محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ)، **منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين**، ت: محمود مصطفى، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م.
- **فؤاد:** جدو، **المذهب المالكي ما بين متطلبات الأمن الفكري وضروريات الأمن الديني**، مداخلة في إطار المشاركة في الملتقى الدولي الثالث عشر بعنوان المذهب المالكي تاريخ وآفاق، أيام: ٢٨:٣٠ نوفمبر ٢٠١٠م.
- **الفاسي:** عَلَّال، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، ط: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- **الفرماوي:** عبد الحي، **سورة النور، تفسير ودروس وأحكام**، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.
- **الفوزان:** صالح بن فوزان بن عبد الله ، **التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية**، ط: دار العاصمة للنشر والتوزيع.
- **الفيروزآبادي:** محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)، **القاموس المحيط**، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م،
- **فيلالي:** مريم، **فقه التمكين ودلالاته للنهوض الحضاري**، بحث منشور في مجلة الإحياء الصادرة عن كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة ١ – الجزائر، مجلد: ٢٠، العدد: ٢٥، جوان ٢٠٢٠.
- **الفيومي:** أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠ هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ط: المكتبة العلمية – بيروت.
- **القرافي:** أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن (ت ٦٨٤ هـ)، **الفروق**، ط: عالم الكتب.
- **القرضاوي:** يوسف، **الإيمان والحياة**.
- **القرضاوي:** يوسف، **العبادة في الإسلام**، ط: مكتبة وهبة، عابدين – القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

- **القرضاوي:** يوسف، **مفهوم كلمة الدين**، مقال على موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي. -https://www.al qaradawi.net/node/٢٠٧٩

- **قطب:** سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ط: دار الشروق.

- **قطب:** سيد، في **ظلال القرآن**، ط: دار الشروق، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

- **قطب:** محمد، **كيف نكتب التاريخ الإسلامي**، ط: دار الشروق ١٩٩٢.

- **قلعجي:** محمد رواس، قنيبي: حامد صادق، **معجم لغة الفقهاء**، ط: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

- **القمزي:** عبد الله، **الإبداع بين النظرية والتطبيق**، مقال منشور على موقع الإمارات اليوم، ١٠ يوليو ٢٠٢٣. https://www.emaratalyoum.com/opinion/٢٠٢٣-٠٧-١٠-١,١٧٦٥٤١٩

- **القونوي:** قاسم بن عبد الله بن أمير (ت ٩٧٨ هـ) ، **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، ت: يحيى حسن مراد، ط: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٤م.

- **كابويا:** رشيدة، **حق الأمن الفردي في الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي الجز ائري – دراسة مقارنة**، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الشريعة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، الجامعة الأفريقية العقيد أحمد دراية أدرار، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

- **الكاساني:** أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧ هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشر ائع**، ط: مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر، ١٣٢٧ - ١٣٢٨هـ.

- **كالو:** محمد محمود، **أمن الإنسان في ضوء القرآن**، بحث منشور في مجلة مقاربات، الصادرة عن المجلس الإسلامي السوري، العدد السابع، شعبان ١٤٤١ هـ- نيسان ٢٠٢٠م. https://sy-sic.com/?p=٨٢٦٠

- **كحيل:** عبد العزيز، **حول الهزيمة النفسية**، مقال منشور على موقع الألوكة، يوم ١٤٣٦/٣/٣ هـ - ٢٠١٤/١٢/٢٥م. https://www.alukah.net/sharia/٠/٨٠٢٩٦/حول-الهزيمة-النفسية/

. **كريم جان:** سناء بنت فضل الدين، **مقومات التمكين في الكتاب والسنة وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية – جامعة أم القرى، ١٤٢٨ – ١٤٢٩هـ.

- **لاشين:** موسى شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، ط: دار الشروق ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ٤٦٦/١ ؛ موقع: رابطة علماء إرتريا، غربة الإسلام وأهله، مقال منشور يوم ٢٠ أكتوبر ٢٠٢١، https://ulamaaeritrea.org/١١٨٤/ ؛

- **لحام:** حنان، **من هَدْي سورة النور**، ط: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- **اللحام:** محمود عزت، الشمايلة: ماهر عودة، كافي: مصطفى يوسف، **الإعلام الأمني**، ط: الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥ هـ-٢٠١٥م.

- **لحساسنة:** حسن، **الحاكمية في الفكر الإسلامي**، إصدارات مجلة الأمة – كتاب الأمة، العدد رقم ١١٨، ربيع الأول ١٤٢٨ هـ- آذار، مارس ٢٠٠٧م.

- **لعريض:** سعيد، **نحو منظومة للقيم الحضارية البانية على أساس أمانة الاستخلاف**، مقال منشور على موقع: مركز الأمانة للأبحاث والدراسات العلمية. https://alamanaweb.ma/نحو-منظومة-للقيم-الحضارية-البانية-على/

- **اللوح:** عبد السلام حمدان، عنبر: محمود هاشم، **التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم** " دراسة موضوعية"، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد: ١٤، العدد: ١، ١٤٢٧هـ- يناير ٢٠٠٦م.
- **الماوردي:** علي بن محمد بن محمد بن حبيب، أبو الحسن (ت ٤٥٠ هـ)، **الأحكام السلطانية**، ط: دار الحديث – القاهرة.
- **المجدوب:** أحمد علي، **الأمن الفكري والعقائدي، مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه**، بحث منشور ضمن أوراق الندوة العلمية: نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية. ط: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب – الرياض ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.
- **محمد:** آمنة على البشير، **الأمن السيبراني في ضوء مقاصد الشريعة**، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الأول، العدد السابع والثلاثين.
- **المرهبي:** يحيى أحمد، **دور الفروض الكفائية في تحقيق التنمية المستدامة** - رؤية إسلامية، الجمهورية اليمنية، العاصمة صنعاء - محافظة عمران. ١٤٤٢هـ, ٢٠٢٠ م.
- **مسلم:** مصطفى، مشرفا على نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠م.
- **مشعل:** طلال، **ما هي شروط تمكين الله لعباده في الأرض**، مقال منشور على موقع "موضوع" ، يوم ١٩ سبتمبر ٢٠٢٢. https://mawdoo٣.com/ما_هي_شروط_تمكين_الله_لعباده_في_الأرض
- **المطيري:** حاكم، **السنن الاجتماعية الإلهية في تغيير المجتمعات الإنسانية**، مقال على موقعه الرسمي، http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TkRrM٠psTjFZbEJoWjJVbU١RPT٠.jsp==rdQ
- **المطيري:** حاكم، **فقه التمكين، رؤية سياسية في واقع القوى الإصلاحية الخليجية**، ورقة مقدمة للمركز العربي ٢٠٠٨م، منشور على الموقع الرسمي للشيخ الدكتور حاكم المطيري. http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TlRVeEpsTjFZbEJoWjJVbU١RPT٠.jsp==rdQ
- **المودودي:** أبو الأعلى بن أحمد حسن (ت ١٣٩٩ هـ)، **المصطلحات الأربعة في القرآن**، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الألباني.
- **الموسوعة**: الفقهية الكويتية، الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، ط: من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ .
- **موسى:** نظمي خليل أبو العطا، **حاجة المسلمين إلى تعلم فقه التمكين**، مقال منشور على موقع إعجاز القرآن والسنة، ديسمبر ٢٠١٩. https://quran-m.com/حاجة-المسلمين-إلى-تعلم-فقه-التمكين/
- **الموقع** الرسمي للشيخ الدكتور/ حاكم المطيري/ السيرة الذاتية. http://www.dr-hakem.com/Portals/Content/?info=TVRRbVVHRm٥aU١l٤K٣.jsp=U
- **موقع:** إسلام ويب، **الانهزام النفسي، أسبابه وأثره على الأمة والدعوة**، مقال منشور يوم ٢٠٠٧/١١/١٤م. https://www.islamweb.net/ar/article/١٤١٦٠١/الانهزام-النفسي-أسبابه-وأثره-على-الأمة-والدعوة
- **موقع:** الخليج، **الوعد الحق، من كنوز البلاغة القرآنية**، (مقال)، منشور يوم ٧ يناير ٢٠١٠. https://www.alkhaleej.ae/ملحق/الوعد-الحق-٠

- **موقع:** الدرر السنية، **الموسوعة العقدية، الكتاب الثامن / الباب الأول/ المبحث الثاني: تعريف الإيمان اصطلاحا.** ٢٥٢٢https://dorar.net/aqeeda/

- **موقع:** الدرر السنية: **موسوعة التفسير، تفسير سورة النور،** /١٦/٢٤https://dorar.net/tafseer

- **موقع:** الشبكة الإسلامية، لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية، فتاوى الشبكة الإسلامية، **التمكين للإسلام**، فتوى رقم: ١٠٠٩١، ٢٠٧٤٨/١١.

- **موقع:** سورة، **التفسير الموضوعي/السنن الإلهية/التمكين.** -https://web.surahapp.com/ar/objective -٨٦٪٩D٪٨٦٪٩D٪٣B٪٨D٪٨٤٪٩D٪٧A٪٨-%D٣٢interpretation/ -٣٢٠/٩A٪٨A%D٨٪٩D٪٨٧٪٩D٪٨٤٪٩D٪٥A٪٨D٪٨٤٪٩D٪٧A٪٨%D ٨٦٪٩A%D٨٪٩D٪٨٣٪٩D٪٨٥٪٩AA%D٪٨D٪٨٤٪٩D٪٧A٪٨%D

- **موقع:** لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا – WSCWA، **مصطلح: تمكين.** ٨٦٪٩A%D٨٪٩D٪٨٣٪٩D٪٨٥٪٩AA%D٪٨https://www.unescwa.org/ar/sd-glossary/%D

- **موقع:** منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ عن المنظمة. https://www.fao.org/about/about-fao/ar/

- **الميداني:** عبد الرحمن حسن حبنكة (ت ١٤٢٥ هـ)، **كواشف زيوف**، ط: دار القلم – دمشق ١٤٢١هـ- ١٩٩١م.

- **النجار:** عبد المجيد عمر، **فقه التحضر الإسلامي**، ط: دار الغرب الإسلامي، ١٩٢٧ هـ- ٢٠٠٦م.

- **النجار:** عبد المجيد، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، بحث في جدلية النص والعقل والو اقع**، ط: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٣ هـ- ١٩٣٣م.

- **النجار:** عبد المجيد، **مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة**، ط: دار الغرب الإسلامي, ٢٠٠٨ م.

- **الندوي:** على أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين(ت ١٤٢٠ هـ)، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، ط: مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر.

- **النسفي:** عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠ هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**، تحقيق: يوسف على بديوي، ط: دار الكلم الطيب – بيروت، ١٤١٩ هـ.

- **الهادي:** محاسن إدريس: **فقه التمكين بين الإيمان على مستوى الفرد والدولة**، بحث منشور على موقع الألوكة، يوم ١٤٣٥/٩/٢٥ هـ- ٢٠١٤/٧/٢٣. /٧٣٨٧٤/٨٠١١https://www.alukah.net/social/

- **هاشمي:** ملكية، **بن يحيى:** نبيلة، **الأمن المجتمعي: دراسة في المفهوم النظرية والتهديدات**، بحث منشور في المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد: ١٢، العدد: ١، يناير ٢٠٢٣.

- **الواحدي:** علي بن أحمد بن محمد (ت ٤٦٨ هـ)، **أسباب نزول القرآن**، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح – الدمام، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.

- **يكن:** فتحي، **فقه سنة التمكين**، مقال منشور بمجلة المجتمع، العدد ١٢٤٩، ٦ محرم ١٤١٨ هـ- ١٣ مايو ١٩٩٧م.

- **يونس:** شهرزاد بن، **البنية اللغوية في القرآن الكريم من خلال العنوان والاعتراض والفاصلة - دراسة دلالية نصية**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في اللغويات، مقدمة إلى قسم الآداب واللغة العربية. كلية الآداب واللغات – جامعة قسنطينة ١، ٢٠١٢-٢٠١٣م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع **الصفحة**

الباب الثاني – الوعد الإلهي

الباب الثالث – سبب الوعد الإلهي

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع **الصفحة**

الباب السادس – موانع تحقيق الوعد الإلهي

خاتمة

كتب للمؤلف *

- دراسة وتحقيق جزء من أول كتاب: الوديعة إلى آخر كتاب: قَسم الفيء والغنيمة من مخطوط: " الابتهاج في شرح المنهاج" للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى ٧٥٦ هـ). [رسالة ماجستير]

- نور الوعد الإلهي، ١- لزوم الفروض الكفائية ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني.

- نور الوعد الإلهي، ٢- مقدمات فقه التمكين.

* جميع كتب المؤلف متوفرة على شبكة الإنترنت.


تم بحمد الله